مسعود براهيمي

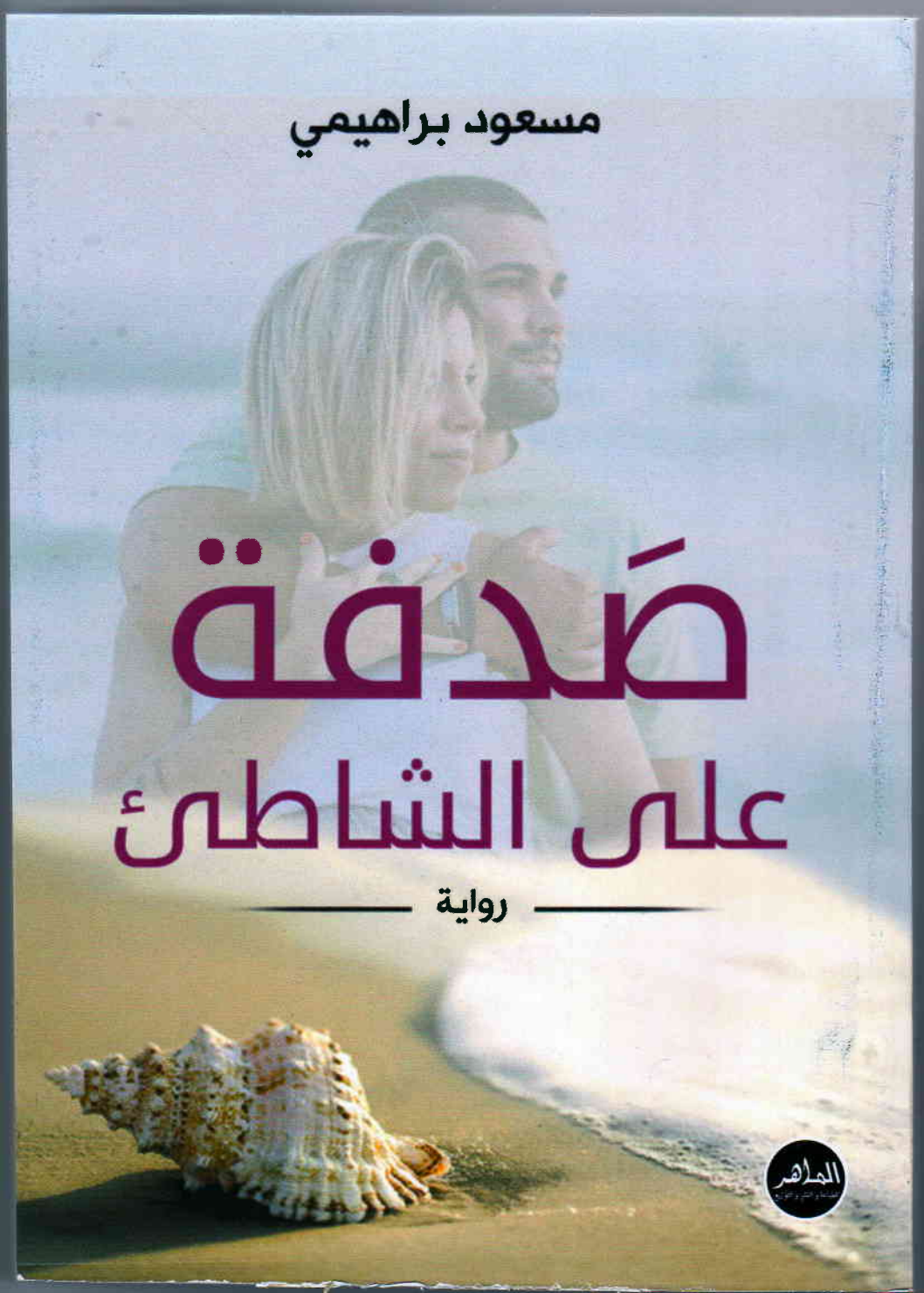

صَدفة على الشاطئ

رواية

الماهر

مسعود براهيمي

صَدفة على الشاطئ

إلى روح والدي

المجاهد بلقاسم براهيمي.

بداية لابد منها

تتواصل جميع المخلوقات فيما بينها بأشكال مختلفة، كل نوع أو فصيلة حسب مؤهلاته الفيزيولوجية، وطبيعة وسطه البيئي، منها الحيتان التي تستخدم النداء على شكل ترددات من أجل الرفقة والتزاوج كما يعلم الجميع، ولعل الكثير منكم قد سمع قصة الحوت ذو التردد 52 واهتم له غاية الاهتمام.

في الحقيقة نحن جميعا نشبه الحيتان وباقي المخلوقات في خلق رابط بيننا بوسيلة معينة أهمها اللغة (كلام - نبرة - صوت - لغة الجسد) مع أهمية بالغة في الاستفادة من ظروف معينة لخلق ألفة وتواصل عميق، سواء كان الأمر عفويا أو مقصودا، لكن يبقى إيجاد لغة وأرضية مشتركة بيننا وبين من نريدهم يشكل تحديا صعبا على أغلبنا.

هذا ما عايشه بونيفاسيو رودريغيز وأراد تحقيقه لاستمالة ماريانا، أنا وأنت وبُونيفاسيو مع جميع البشر مجرد حيتان تنادي بالتردد غير المناسب للشريك الذي تريده، الحقيقة أن هذا ما يجب أن نتعلمه في رحلتنا في الحياة، أن نصنع لغة التواصل السليمة والمشتركة بيننا، التي تسمح بنشوء علاقة دائمة ومثمرة، عكس ما ينشده التائهون في البحث عن علاقات متنوعة ومؤقتة.

أراكم تتساءلون عن بونيفاسيو، لا عليكم, فالرواية هذه كتبت من أجل أن تعرفوه تمام المعرفة، سأبدأ بسرد

الرسائل الإثني عشرة, التي أرسلها عام 2013 لطالبة مجهولة باسمها المستعار كتالينا، كانت قد ألفت كتابا اسمه صَدفة على الشاطئ , صدر عام 2012، تطلب فيه أن يأتيها أحدهم بنسخة من الكتاب, وقد ملأ الصفحات الإثني عشرة التي تُركت فارغة عن قصد، لعلها كانت تريد ارتباطا فكريا عميقا قبل الارتباط العاطفي، لعلها تنادي بتردد معين لتجذب شريكا مثاليا.

بونيفاسيو ملأ الكتاب، ملأ الصفحات الفارغة لمتعته الشخصية، لكنه آثر أن يرسل رسالة مستقلة كل شهر على مدار عام كامل, بدلا من مجاراتها فيما ذهبت إليه، هل استجابت هي لرسائله؟ هل التقى بها؟ وكثير من التساؤلات التي ستعرفون إجابتها في هذه الرواية، وأنا بدوري سأنقل الأحداث كما هي، أتمنى لكم متعة لا تنقضي .

الفصل الأول -الرسائل

الرسالة الأولى (الصندوق)

إلى كتالينا

من هذه الأرض البعيدة عنك آلاف الأميال, أكتب لك هذه السطور، لأعبر لك عن امتناني عن كتابك المذهل صَدفة على الشاطئ، بالإضافةً إلى كونه يحمل صبغة شخصية تعبر عن احتياجك لعلاقة حقيقية مع رفيق, تشبع جانبك الفكري والروحي والعاطفي، وهذا حقا شيء مميز فأنت لا تكتبين للقراء بل تكتبين لنفسك، ما جعل منه كتابا خاصا أكثر منه كتابا عاما، مع ميزة تفاعلية جميلة على أقل تقدير بينه وبين القارئ.

بالرغم من أنكِ تبحثين من بين جميع القرّاء عن قارئ واحد فقط، وهذا هدف تأليف الكتاب، لتنتهي إليه زفرة الشوق وشهقة الحب فتعود إليك من قِبَلِه بنفس القوة والدرجة, مليئة بالحب، إلا أنكِ في الحقيقة تبحثين فيه عن الجميع، وهذا قد يكون مستحيلا، ما يجعلني كل مرة أعيد التفكير فيما تريدينه على وجه الحقيقة، ربما هي خصلة واحدة أو خصلتان تجعلك في غنى عن كل الخصال الأخرى التي لا تجتمع في شخص واحد، وهذا الرجل المنشود لن يكون في النهاية إلا بشرا يشوبه النقص يا كتالينا، لكنني أؤمن أن هذه التجربة ستبصرك أكثر في البشر والوقت كفيل بإثبات هذا.

كنت في كل فصل من العام أشغل نفسي بشيء ما، أُجوِز به الأيام والليالي، إلى أن أجد شيئا آخر, وهكذا دواليك، لكني مؤمن أن الأمر سيكون مختلفا هذه المرة، فهذا الكتاب الذي أصبح شغلي الشاغل وهمي الدائم, كان بالغ الأثر داخلي، وسيكون لي مع فصوله وأجزائه صولات وجولات، وستصلك رسائلي تباعا.

من جميل حظي أني أجيد لغتك الأدبية ولغة كتابك هذا، ومن محاسن الأقدار التي ألقت به بين يدي هذا المزارع في ترينداد, الذي قرر أن يخوض معك هذه التجربة لا لشيء غير اللذة الفكرية التي لا تعدلها لذة، على أنه يوجد شيء في شخصيتي يجعلني أتعاطا معك باهتمام وصبر وأناة بالغة دون شكوى أو تذمر، كوني أمتهن هذه المهنة النبيلة، الزراعة أقصد، فقد علمتني أشياء كثيرة.

كتالينا, هذا المزارع ينفق جهدا كبيرا وأياما طويلة فقط ليَجني المحصول في يوم واحد، أترين كيف؟ جهد مضني وطويل المدة, يتوقف على يوم واحد ثم ليبدأ بعدها الكرة وهكذا، محاصيلنا, تعبنا, شقاؤنا, عرقنا, لا نرى نَتيجته إلا في يوم واحد, نهاية الموسم، لنَبيع المحصول بثمن بخس لتَاجر يربح من وراءه الكثير، لهذا نحن المزارعون نعرف معنى الصبر وطُول النَفَس، في هذا الموسم كذلك تكون أيدينا على قلوبنا فالمطر قد يفسد المحصول وكذلك الصقيع والثلج أو الفيضانات، حتى الطيور وقطعان

أبقار وأغنـام الرعـاة تعيـث فسـادا, إذا تركـت بـلا رقيـب، وهذا ما يحصل لكل المزارعين في العالم، دون أن أحدثك عـن سـاعات السـقي غيـر المنتظمـة بـين المـزارعين، مـا يجعلك تستنتجين أنني مزارع بسيط، يملك فـدانا أو اثنـين, يتشارك مع عشرين مزارعا أخر نفس البئر، إنهـا تشـكيلة معقدة من الخطوات والاحتياطات لا تقبل إلا شكلا واحـدا ومحددا للوصول إلى موسم زراعي ناجح، ما يعنـي أنهـا ضرب من المخاطرة هو الأصعب على الإطلاق.

المـزارع يـتعلم مـن الأرض أشـياء كثيـرة دون أن يشـعر، فهو يحرثهـا ويشـقها شـقا بمحراثـه دون أن تـئن أو تشـكو فيغدو صبورا إلى أبعد حد، تلك المحاصيل التـي نهـتم بهـا تنبت في صمت بلا صخب أو جلبـة وعلـى مهـل، وإنـي تعلمت من هذه الأرض أن الحياة فـي النمـو وأن النجـاح في الصمت والعمل الدءوب.

ومع كل هذا تجدنا نحن المزارعون الأسعد مـن بـين كـل النـاس، والأكثـر شـبهًا بـالأرض، فالتُربـة تحـت أقـدامنا خصبة ولينة على الدوام ما ينعكس على طبيعتنا النفسـية فنكون ألين جانبا وأرق معاشرا, علـى عكـس مـن يسـكن الأراضـــي الـــوعرة والصـــخرية فيبـــدوا علـــيهم القســـوة والجفاء، ما يعني يا عزيزتي كتالينا أنني أفهمك وأفهم شدة رغبتك في الحب واختيارك أصعب الطرق للوصول إليـه،

الأشياء السهلة والصعبة لا يستويان في الطعم، وأني الأقدر عليك يا كتالينا لأني الأقدر على الصبر.

توقيع الفتى المزارع 05 / 01/ 2013

الرسالة الثانية (الأمل)

كتالينا

اسمحي لي أن أخرج من القالب الذي وضعتِه، فأنا لا أجيد إتباع القواعد هذا من جهة ومن جهة أخرى أنا أرسل هذه الرسائل وأتَجاوب مع هذا الكتاب لمتعتي الشخصية، فأُجدد شكري لك على هذه الفرصة التي تحقق المعنى الذي كنت أريده وأبحث عنه.

سبق وحدثتك في الرسالة الأولى عما يعني كوني مزارعا متواضعا، والآن سأحدثك عن كوني أحد أبناء هذه القرية التي لا تعرفين عنها شيئا، هذه القرية أشبه بالفُسيفساء الرومانية، تشكيلة من الأجناس والأعراق، تجمعهم رابطة واحدة وهي خروجهم صباحا لكسب رزقهم وطلب معيشتهم، أرى الحياة تتجلى في وجه ذلك الصبي الذي يكدح في سبيل توفير مصاريف الدراسة، أعلم جيدا أنه لا يستحق أن يحمل هذا العبء ولا أن يعي ما يفعل، لكنه على كل حال الناجي الوحيد من سرطان اليأس الذي حل بالجميع.

الناس هنا طيبون ومُسالمون، لكنهم بؤساء, بؤساء جدا يا كتالينا، غير أن البعض منهم استغلاليون، يجيدون اللعب بعدة أوراق لينالوا ما يريدون بسهولة ويُسر، ويَتسلطوا على رقاب الناس، ومنهم رئيس البلدية, ورئيس مخفر الشرطة، وأثرياء القرية من التجار وكبار المزارعين،

الذين يملكون المال، والمال في جميع أنحاء العالم لغة مفهومة, وفي جميع الأوساط مهما تشعبت, ومرهم ملين للعلاقات الشيطانية, مهما كانت أطرافها, كما لا يخفى عنك.

لست هنا لانتقاد الظلام ولا يهمن إشعال شمعة، من العبث محاولة إنقاذ غريق يحمل بندقية مصوبة نحوي، ولست بذلك الدهاء الذي يجعلني استدرجه لمحيط آمن دون أن يضغط على الزناد، لست كذلك أبدا، أنا من أولئك الذين يدعونك حتى تأتي إليهم، فإذا جئت بنفسك، فحتما أنت طور التشكل ومستعد من الداخل للرؤية والتغيير, حينها فقط لن يصعب عليك إنقاذ نفسك، فقد انقشع الضباب عن الطريق خاصتك.

في النهاية كل كلمة أو تصور أو مفهوم أو قضية ثورية كانت أم غير ذلك، كانت نبيلة حتى احْتكرها الانتهازيون، فأفرغوها من محتواها، يصعب جدا أن تميز بين من هو صادق وبين من هو كاذب، وحتى صادق اليوم سيكون كاذب الغد، والصادق لا يقدر على عبء المسؤولية والقادر عليها ليس صداقا بعد أن تم تدجينه بطريقة ما بقدرة قادر.

لعل من بين هؤلاء, **باولا** أمينة مكتب العمدة، لكنها أقلهم شرًا وأكْثرُهم نبلا، تلك التي تساعد الفقراء بقدر المستطاع وتقضي حوائجهم بغير مِنة، الجميع يذكرها بخير، هي

تؤمن بضرورة وجود شخص صالح في بيئـة فاسـدة حتـى يكون الحصن الأخير لمن يريد أن يقضـي حاجتـه دون أن يلطخ يديه بوحل السياسية المتعفن.
على كل حال, التفكير في الأمر مقيت جدا، وربمـا يكـون هذا الجو الفاسد هو ما حبب إليّ الزراعة أساسا، فـي هـذه السويعات لم أجد ما أكتب عنه فأفْضيت لك بهذا.

الفتى المزارع التاريخ 08/ 02 /2013

الرسالة الثالثة (تأمل)

كتالينا

كنت قد حدثتك في الرسالة السابقة عن الفتى الذي يكدح لتوفير مصاريف الدراسة و**باولا** سكرتيرة العمدة, التي تساعد الفقراء من غير منة، في هذه الرسالة أريد أن أسهب في الحديث عنهما، فعلى الأغلب تتشابه الحالات بين البشر ما يعني أننا قوالب وأصناف تمر على ظروف هي الأخرى أيضا قوالب بشكل ما.

قبل أن أحدثك عنهما أحب أن أوضح سبب اهتمامي بهما، كنت دائما أرى هاجس مَاضِيّ في وجه الفتى، فغدوت أرغب في أن يتجاوز الفتى ما لم أتَجاوزه أنا، كنت أرى فيه مستقبل القرية، نعم مستقبل القرية الذي ينبغي لها، فَوسط ركام اليأس كان هو أمل القرية والقرويين الفقراء، ما يكسر القاعدة اللعينة أن الفقراء لا يحق لهم التعليم وليسوا أهلا له، الفتى كان يملك المرونة والليونة الكافية التي تسمح له بالعمل والتعب وهذا جهد يأخذ منا اليوم بطوله, ولا نملك إلا أن نوفر باقي اليوم للراحة من هذا العناء إضافة لتعب وعناء الدراسة, والمذاكرة، فهو يحاول دائما الموازنة بينهما، وأن يبتكر حلا لكل مشكلة ولا يقف عندها، ويبحث عن أسهل الطرق وأيسرها للوصول إلى ما يريد، العجيب أنه لا يصاب بالإحباط أبدا، هو فتى يعيش المثالية في التوجه إلى أحلامه

وطموحاته بخطوات ثابتة، لا للذة الشعور بالمستقبل فقط، يملك تصورا ورؤية لأحلامه والطريق إليها، كأنه يملك حسا عاليا بالزمن، ليونة شخصيته ومرونة أسلوبه يسمح له بالتشكل حسب ظروفه، وكأنه يعي أن هذا ليس مصيرا حتميا ودائم، فهذه فقط مرحلة عليه اجتيازها بسلام، وسيتغير الوضع للأفضل، إنه يؤمن بذلك، هو حالة نادرة تستحق أن يحكيها مزارع إلى فتاة مجهولة وراء البحار.

أما **باولا** الأمينة العامة لمكتب العمدة والقائمة على كل صغيرة وكبيرة تخص الكَابيتال, مبنى البلدية، من تسيير ومشاريع ومتابعة وتخطيط، فهي الرجل الثاني "إن جاز التعبير" من بين خمسة هم من يملكون زمان القرية ومصيرها، وهم العمدة, ورئيس مخفر الشرطة, وكبير التجار, وكبير المزارعين، بالإضافة إلى **باولا** كما وضحت، المرأة الحديدية الناعمة التي لولاها ما كان هناك نشاط اجتماعي وخيري, في هذه القرية النائية، أتَمثلها على غرار الجميع, مَلاك القرية، وصمام الأمان فيها ، على أنه هناك من يجزم أن وجودها في هذا المنصب ومنحها هذه المكانة وهذا النفوذ, هو عملية إلهاء ناجحة للسكان وخطة ناجعة كمسكن ألم لما يتجرعه السكان من بؤس وحرمان، فيُسميها هؤلاء مَلاك الشيطان، أنا لا يعنيني هذا أو ذاك، يهمن كونها مقتنعة

تماما بما تفعله وتُنجزه، يهمن جدا أنها اختارت أن تكون إنسانا حتى في طريق الشر الذي اختارته وسارت فيه، وقاومت الرغبة الدفينة لدى كل إنسان في العمل على خط مصالحه الشخصية، وآثرت أن يكون منصبها مفيدا لغيرها، واستطاعت الموازنة بين هَذين البعدين في نفسها واللذان قلما ينجو شخص من تغليب أَسوئهما على الآخر.

لقد ارتأيت أن هذين الشخصين، الفتى والسكرتيرة أقصد، يستحقان الذكر بغض النظر عن مصيرهما أو الخفايا التي لا نعلمها عنهما، لكن في النهاية أنتِ لن تعترض في أنهما هما مثالان يستحقان الذكر.

هل حصل لكِ ما يحصل لي عادة حيث لا تجد ما تقوله أو ما تكتبه، ثم تشعر أن أعماقك فارغة، لا تتفاعل مع محيطها بالحرارة الكافية أو المطلوبة؟

توقيع الفتى المزارع التاريخ 12/ 03/ 2013

الرسالة الرابعة (رغبة)

كتالينا

سأخاطبك بالعزيزة كتالينا في كل الرسائل القادمة لأنك كذلك فعلا، وهذا ليس مجرد مجاملة مني يا كتالينا لأني أريد أن أجعلك أكثر من شخص مجهول يتلقى خطاباتي تباعا، خطاباتي التي ستغدو طقسا لا أتخلى عنه أبدا.

لا أخفيك سرا أن التعارف التقليدي ليس مهما بيننا، أنا رجل يحتاج إلى امرأة تحلق به بعيدا حيث تجليات الجمال بفكرها وكلماتها، ولقد وجدت ما يميزك عن البقية، فقد استطعتِ الغوص عميقا وإخراج أجمل المشاعر بأجمل الألفاظ وأعذبها في قالب فكري راقي ومتفوق، وبهذا الصدد كَوْني أريد أو كما قد يبدو أني طموح لأكثر من الصداقة، ما يجعله يبدو شيئا متعجلا، من جهتي وحتى من جهتك، قد لا يكون هذا إلا معيارا واحد من جملة معايير أسقط بها جميعا، لكن الأمر برمته ليس مهما، مادمنا نعالج شؤوننا بالأقلام والحبر.

أما بخصوص معرفة من تكونين، قد لا يعني لي ذلك شيئا, وهو ليس بذي بال على الأقل في الوقت الراهن، على أنه من الجميل أن يكتشف المرء نبع الماء العذب الذي يشرب من جدوله أسفل الجبل, ولو كان النبع على القمة، وإنها رحلة تحتاج أن تأخذ كامل وقتها.

قد يتبادر إلى ذهنك تساؤل عن هذا المزارع الذي يرسل هذه الرسائل، وهذا ما لا يتعارض مع طبيعتك كونك إنسان بدرجة أولى وكونكِ امرأة بدرجة ثانية، في النهاية أنا بغض النظر عن كل تلك الصفات اللصيقة بي، ربما أنا التجربة، ربما أنا الوعي أو الإدراك، ربما أنا طالب ينشد الجمال أو ربما أنا شاردة تريد السكون، أما حياتي الشخصية فما أسهل أن أكشفها رغم عدم أهميتها، لكنه يسعدني تشاركها معك عندما يحين وقت ذلك، ذلك الوقت الذي يمكنك تمييز طرقي على الباب من بين ألف طارق، وتميز أسلوبي من ألف أسلوب وأسلوب، في تلك اللحظات التي يصادفك فيها شيء جميل، أكون أول من يخطر في خيالك، ويا له من نصر لي حينها، أن أكون بذلك العمق في وجدان أنثى كبيرة الاتساع.

مع الوقت سنغدو كالوتر نعزف عزفا واحدا، إذا استمر التوارد بيننا، فخواطري ما هي إلا صرخات في الأثير وصدى لا يرتد لي إلا مع الإنسان المناسب المؤهل لذلك, والذي يملك نفس الطاقة وتتراقص أفكاره ومشاعره على نفس الذبذبات والتردد.

أنا أمد يدي وأفتح قلبي يا كتالينا للصداقة العميقة والحميمة، والتي تمثل طوق النجاة الوحيد في زماننا هذا، ثم إني أعدك أن الرحلة معي ستكون آمنة, والإبحار معي سيكون ممتعا.

توقيع الفتى المزارع 02 / 04 / 2013

الرسالة الخامسة (التجربة)

العزيزة كتالينا

هذه رسالتي الخامسة لك، وإن كنت لم أتلق أي جواب منك, إلا أن الأمر يسعدني إلى حد بعيد، فالكلمات بذور تشكل الوعي، وإني أحاول جاهدا أن أستودع فيها أجمل الأفكار وأقوى المشاعر وبأوجز أسلوب وألطف لفظ، حتى إذا ما صادفتِ فترة ما تعيدين فيها تشكيل وعيك وتَجديد نظرتك للعالم كان لكلماتي من هذا التحول والتجديد نصيب، وما أجمل ملامحي في أعماقك عندما ترتسم بكلمات صادقة ونبيلة.

أنا بطبعي أقلق بشأن القرية والمزرعة وحياتي بشكل عام، لكن في هذه الفترة صرت أقلق على أشياء أخرى مغايرة تماما، فمثلا موعد الرحلات الجوية بين بلدينا، لأن نقل الطرود البريدية يتوقف عليها، إذا تأخرت الرحلة يوما واحدا، فهذا يعني سَلِسة من الأحداث التي تؤثر سلبا على خطة وصول رسالتي إليك في وقتها المناسب، أجل يهمنِ أن تصلك الرسالة في نهاية الأسبوع، ويهمنِ أن تنتظرك الرسالة في بريد الجامعة بعد قضائك العطلة، ويهمنِ أن تكوني في كامل استعدادك، ويهمنِ أن تقرئي الرسائل وأنت في أفضل حالاتك, حتى لا تضعف حظوظي في مقدار تجاوبك مع مع كل رسالة، على كل حال هي أشياء تخصني لا أدرى حتى لما أخبرك بها.

ليكن الله في عونك على الدراسة، أتمنى أن يكتب بيننا لقاء في أجمل يوم تنتظرينه, ولعلـه يـوم تخرجـك، أو أي يـوم يعد يوما فارقا في حياتك، صحيح أني لا أعلم عنه وعنك أي شيء، لكن يسعدني أن نبقى فترة كافيـة ونحـن نعـيش لذة الغموض والانتظار.

توقيع الفتى المزارع 06 /05 / 2013

الرسالة السادسة (الأهم)

العزيزة كتالينا

كغيري من بؤساء قريتي تمر علينا الظروف الصعبة، ولا يخفى عنك أن أهم أسبابها هو الإنسان، لتأتي المعاملات الرسمية والتعامل مع الدوائر الحكومية في المرتبة الثانية، على أنه لها ارتباطات بالأشخاص إلى حد كبير، منا من ينفعل فيَتذبذب حقل طاقته، ومنا من يلوذ بالصمت والتجاهل, لكنه يجمع الحمل الذي يقصم ظهره يوما ما، ومنا من يعالجه بالنزعة السلوكية غير السوية كالعنف أو السُبَاب أو إظهار التذمر أو الأحقاد، لكنها كالعلاج بالكي تضر وتترك أثرا.

لا بأس ببعض الكلام الذي لا معنى له، ربما لمجرد الفضفضة، يستحق أي شخص أن نصغي له، ولو لم يستطع أن يُعْرِب عما في دواخله المضطربة، أعي جيدا أن في القراءة علاج حيث يمكنك بناء الوعي الذي يحميك، وينهض بك ويُقَوِم السلوكيات والتصورات.

في الكتابة أيضا علاج أكثر تأثيرا، فتَصويرك لعالمك الداخلي على الورق كفيل لتحجيم المشكلة أو ردها لحجمها الطبيعي, فتَتأكد أنها لا تستحق أن تأخذ كل وقتك وتشغل كل ملكات ذهنك، على أن تحديد المشكلة أساسا يشكل تحديا لدى الكثيرين لهذا يُعتقد أن الكتابة مِعول حفر يزيل التراكمات التي كانت حائلا بيننا وبين أعماق وعينا, التي

تحاول التواصل معنا بأي طريقة، لكننا كنا منهمكين بحيث لا نعرف ما الذي تريده، وأحسن الناس حظا هم من يجيدون قراءة أعماقهم، وكأني أجزم يقينا أن الأميّ ليس الذي لا يقرأ ولا يكتب، بل هو الذي لا يجيد قراءة أعماقه ولا يحسن الإصغاء إليها، لهذا يمكن اعتبار الكتابة وسيلة فعالة للغوص في أعماقنا والتعرف عليها بشكل أعمق.

وفي التأمل كذلك مسلك آمن من وطأة المشكلات والآفات، فهو يجلب الراحة التي تمكنك من التفكير بعقلانية، ويرتقي بك إلى النظر إلى أي شيء أو أي مشكلة من عدة زوايا ما يجعل فهمك لها أعمق، وبالتالي سيكون تعاملك معها على أعلى درجات الدراية والكفاءة، إن التأمل منهج سليم وأسلوب حكيم في جعلنا أرضية غير صالحة للطاقة السلبية والأفكار الهدامة، ما يعني أنه أفضل التفاف على المشكلات لتفتيتها، كل هذا صنيعة التحرر الذي ولد في رحم التأمل.

كذلك الطبيعة والاستجمام والسفر, تخرجك من الدائرة السلبية للمشكلة أو الآفة التي أنت ترزح تحت وطأتها وضغطها، بالإضافة إلى الخروج من البيئة المسببة للمشكلة, حتى توقف الاستنزاف ما يسمح بفعل شيء ما قبل تفاقم الأمر، هذه أمور متعلقة ببعض, لهذا ذكرتها جملة واحدة، على أن التفكير في الحل بدل التفكير في المشكلة أولى أولويات المعنيّ بهذه الإشكالات والتعقيدات،

ليتسنى له في ما بعد تحليل المشكلة وأسبابها وعوارضها وتداعياتها، ليستطيع التطلع لمستقبل أكثر حيطة وحذرا.
الفضفضة مع شخص نثق فيه يسمح بتفريغ الضغط والكبت، فما أن تتحدث حتى تشعر أن ما تعرضت له أو ما تمر به شيء عادي، الوقت أيضا كفيل بعلاج كل مشكلة، عدم المبالغة في تقديرها يعد خطوة إيجابية، لاشيء يستحق الخوف أو الذعر، من يتمالك نفسه أمام التحديات يملك رهانها.
عن نفسي لا أملك الوقت للتفكير في المشكلات والهموم, فيُوم عمل متعب كفيل بجعلك تتهاوى على فراشك مثل الجثة، لتقوم صباحا أكثر نشاطا وحيوية.

توقيع الفتى المزارع 04 / 06 / 2013

الرسالة السابعة (إحصاء)

العزيزة كتالينا

هذه هي الرسالة السابعة التي أرسلها لك، وهذا الرقم تحديدا مهم بالنسبة لي، دونما داعي لذكر السبب أو شرحه، فقط أحببت تشارك هذا الشعور معك، أو على الأقل ذكره.

يروقني تذكر لحظة الوعي تلك لأنها كانت لحظة التحرر، فبعد أيام متواصلة من التفكير في أميرة خيالية، بدلا من البحث عن امرأة من قريتي، جاءت هذه اللحظة لتكون تتويج لكل ما سبق وبرهان على نجاح هذا المسلك وإن كان مختلفا، لقد خرجت من الأفق المحدود الذي كنت رهينهُ لسنين طويلة، تحررت من طلب ود أي فتاة أعرفها أو أعرف محيطها، كان لدائرة محيطي تأثير في تَصوري لشَكل شريكة الحياة، وبصري ينتهي عند حدود قريتي، والآن تجاوزها فلم يعد الشكل, ولا أي معيار آخر مهما، لقد غدا الإشباع الروحي هو الأهم، والتوافق الفكري شرط ضروري والتكامل نتيجة نصل لها وغاية نصبوا إليها، بعد أن تَعْتركنا الكثير من المواقف والتحديات، لا شيء مهم سوى روحها يا كتالينا ولو كانت في آخر الدنيا.

سأقول لها حرفيا وبلغة الروح:

أيتها المنشودة, في منتصف المسافة بيننا, سنصنع معجزة الحب الخالدة, والألفة ذات الرباط الوثيق، ما أسعدني بك يا حظي من النساء، سأنتظرك إلى الأبد، فإن لم يكن لنا لقاء في هذا العالم، فسيكون في العوالم الأخرى متسع.

في لحظة الوعي تلك خاطبتها كأنها موجودة معي، وكأنني هناك موجود معها، لقد تحررت حينها واكتملت، ولا أدري هل أكون محظوظا للدرجة التي تجعلني ألتقي بها في هذا العالم أم لا، لكن يسعدني أني كنت أشعر بها.

توقيع الفتى المزارع 07 / 07 / 2013

الرسالة الثامنة (ذكرى وأثر)

العزيزة كتالينا

سأحدثك عن والدي الراحل، لأنه أهم رجل في تكوين هذا الشخص الذي أنا عليه، ولأنه كان مختلفا عن بقية الآباء والرجال الذين عرفتهم وتأثرت بهم، ولست أقول هذا لأنه والدي بل لأنه فعلا ليس كالبقية، رجل سبق عصره ورحل قبل الأوان, قياسا على تفكيرنا نحن البشر، لكنها إرادة من في السماء، ولقد علمني هو ذاته الرضا بحكمها.

أذكر جيدا أنه في جميع المسابقات التي خضتها مع أقراني، لم يكن يعنيه الفوز بقدر ما يعنيه النمو واختبار المزايا التي لدينا، حتى يكون لها الأثر في مسيرة حياتنا، كان يقول: **يا بني تفوقك على الآخرين لا يعني شيئا أمام تفوقك اليوم على ما أنت عليه في الأمس، جوهر المنافسة معرفة إلى أي مدى يمكنك أن تصل، فهي إذن اختبار جيد لتُقيّم نفسك حتى تنجح في الاختبار الأهم، وعَلى الساحة الأهم وهي ساحة الحياة.**

أذكر جيدا أنه علمني فلسفة الحب، وقال إن فاقد الشيء لا يعطيه، لهذا أمنح ما تريد أن تأخذه، كن بالغ العطاء، أعلى قمة لا تبنى إلى على أعمق أساس، لهذا يجب أن يصل ذلك النور أعمق أعماقك، لتستطيع أن تبلغ أعلى قمة ممكنة، وهذا مرهون بمدى العطاء والحب، فعليك أن تبلغ فيهما كل مبلغ مُمكن، هما مثل البذرة لا تنمو إلا إذا

بذرت في الأرض، فلا تسمح لها بأن تبقى تتأرجح وتطفو في أعماقك، بل دعها تشق طريقها إلى أعمق الأعماق حتى تنمو وتزهر وتثمر.

أذكر جيدا أنه أحسن التعامل معي عندما وقعت في حب **باولا**، كنت فتى يافعا يدرس في الإعدادية، لم يتعامل معي بذهنية القروي، بل راح يناقشني بعقلانية، ويطرح الأسئلة حتى غدت فكرة التعلق بفتاة سخيفة أمام فكرة التعلق بالنجاح, وفعل شيء ما يمكن أن يسجل في التاريخ، وفكرة أن ينجح الإنسان في كسب نفسه وضميره أولى من أي كسب آخر.

أذكر أنه صاحب التوصيات البليغة، والنصائح الرشيدة، فهو الذي يعرف أن النضج قرين التجربة لهذا يطلب أن تجرب الأشياء قبل أن يخوض معك في الحديث عنها، ثم يكشف ما خفي عنك في حينه، ويصحح لك التصورات.

لم أره في حياتي يتذمر أو يشتكي أو يغضب، رأيته يكد ويسعى لكسب رزقه، رأيته يتشارك مع الآخرين، رأيته محبوبا، رأيته يتمنى الخير لكل الناس ، رأيته يحلم بزراعة الأرض رغم فقره الشديد، ولقد خذلته لأنني لم أصبح شخصا ناجحا مثل أن أكون طبيبا أو قبطان سفينة، وآثرت تحقيق حلمه في استصلاح قطعة الأرض التي مات و تركها.

المخلص الفتى المزارع 04/ 08/ 2013

الرسالة التاسعة (تحول)

العزيزة كتالينا

رأيت أنه ينبغي أن تعرفي قصة حبي **لباولا** حين كنت تلميذا في الإعدادية، صحيح أن القصة أو لنقل بداية القصة مضت عليها سنوات طويلة، والأمر برمته مجرد ذكرى، وعلاقتي بباولا لا تعدو علاقة صديق بصديق له عليه يد، إلا أن فيها ما يستحق الذكر، بعيدا عن شخصية باولا الآن ولا ما أنا عليه اليوم.

بدأ الأمر في الصف السادس إعدادي، حيث تغير شكل المبنى الذي ندرس فيه وابتعد قليلا عن البيت، ولم يعد يرافقنا الأهل إلى أبواب المدرسة، وتعدد المدرسون، أصبحنا في عالم آخر إن كنت تفهمين، هذا التحول من حولنا رافقه تحول فكري ونفسي، في هذه المرحلة أظهر ما يكون في الصبي هي رغبته في أن يكون رجلا يبحث عن الحب في محيطه، على أن تحقيق هذا ليس بالأمر اليسير.

ولأنها كانت مختلفة ومميزة عن الفتيات الأخريات في المدرسة الإعدادية، لفتت نظري بسهولة وأنا ذلك الفتى الضال المحب للأشياء الرفيعة وعالية الجودة، فمنذ صغري وأنا أتحلى بروح الترفع، ولقد كانت ذات جمال أخاذ وعينان ساحرتان، كان من المتوقع أن يحب فتى مثلي فتاة مثلها، لكنها على عكسي تماما في مظاهر

شخصيتها، فهي جريئة؛ نشيطة؛ حيوية؛ اجتماعية؛ ذات صوت جهوري جميل وجذاب مع مشية ذات وقار وسكينة واطمئنان، مع ترفع كبير وحسن ذوق في كل شيء عدى شيئين أثنين، وهما ذوقها في الرجال واختيارها لصديقاتها، اللواتي كن طائشات، لكنكِ بسهولة تعرفين أنها ليست منهن.

كنت فتًى حَيِيًا وخجولا مع تكتم ملازم، ولمحة بريئة، مع عوز لتلك الجرأة المطلوبة لحسم الأمور، لهذا اكتفيت بمُراقبتها من بعيد، حتى غدت هذه ميزة لصيقة بي، لا أنفك عنها ولو حاولت.

ومرت الأيام والسنوات وأنا على هذا الحال لا أتَحول ولا أتَبدل، رغم معرفتي بانتقالها من أحضان صبي لأحضان آخر، في رحلة علاقات محمومة كأنها تائهة إلى حد بعيد، كان التحول من نصيب كلينا، أنا امتهنت الزراعة، وهي دخلت الكابيتال بجرأتها المعهودة لتبقى فيه إلى الأبد.

لكنها كانت لا تنسى جانبها الطيب واللطيف، فهي تغذيه بالإحسان إلى الآخرين باستمرار، لأكثر من عشر سنوات كنت أهيم بها حبا، لكني في أواخر ذلك العهد تأملت الأمر من جميع الزوايا لأكتشف أن ما أكنه لها ليس حبا، قد يكون مجرد إعجاب استحوذ علي نظرا لمستوى نضجي في ذلك الوقت، لكنه أبدا ما كان حبا، قد تتساءلين, كيف لا يكون حبا وقد صمد لأكثر من عشر سنين, أقول لك إن

الأمـر لا يعـدو نمطـا مـن أنمـاط العقـل، فكـل مـا رجوتـه وحَلمت به وتمنيته ورغبت فيه، ولم أحصـل عليـه، ولـم أسْتنفذ هذا الشعور فيه، بقي العقـل يـذكرني بـه كـل مـرة، ويطفو على وعيي كإيحاء، لأنه أمر لم يتم، وعلي إتمامه وغلق ملفه في ذهني، ثم إني تعودت لذة التفكيـر فيهـا، مـا يسمح للعقل بتكرار التجربة لأنها مدعاة للذة والمتعة، فلا مسوغ ليتركها.

هذه التجربة قد تفهمين منها أن الحب أنماط متعددة تتشكل حسب نوعية شخصـيتنا، قـد يكـون ترجمـان رغباتنـا وقـد يكون تجلي الموازنة بين العقل والرغبة أو الغريزة، وقد يكون حاصل ألفة فقط, أصـنعها كيـف مـا اتفـق، حقيقـة لا أدري.

المخلص الفتى المزارع 05 / 09 / 2013

الرسالة العاشرة (تثمين)

العزيزة كاتالينا

أخشى أن أصل إلى تلك المرحلة التي أرسل فيها الرسائل بلا رجاء في تلقي الرد منك، لكن لا بأس في الوقت الراهن، لأني قريبا سَأتمكن من كتابة الرسالة الثانية عشرة والأخيرة، ما يعني خروجي من عبء التقيد بالشرط الذي ألزمته على نفسي تعاطيا مع كتابك وهو رسالة كل شهر، وبعدها لا يهم إن كان لي رجاء في الإجابة أم لا، غير أن رجائي الآن أن تقرئي رسائلي بإمعان، لفك شفراتها الموجودة بين ثنايا السطور، بعد الرسالة الأخيرة سأعمل على الذهاب معك بعيدا حيث لا يمكنني العودة.

أتمنى أن يراني أحدهم من الداخل، ليستطيع الألفة معي على حقيقتي، حتى الأقوياء يمرون بلحظات ضعف، أو ظروف تجعلهم ينحرفون عن مسارهم، وإني كغيري من البشر الذين يمرون بلحظات يشكّون بأنفسهم، ويفقدون الرغبة في المواصلة بكل هذا التماسك، رغم أنهم يشعرون أنهم لا يملكون رفاهية الانهيار، إلا أنهم يتمنونه، وإني وبسبب عزلتي عن الآخرين في المزرعة وفي فترات ارتيادي الغابة أرغب أحيانا في التخلي عن كل شيء، والمضي قدما صوب المجهول الذي كنت دائما خائفا منه.

يبدو الانهماك في العمل يسرق الحياة، فلن تستفيق إلا بعد التقاعد، لتجد أنك كنت تطارد وهما، لكن ترك العمل بالمثل يسرق الحياة ويولد العوز والحرمان، ويورث الكآبة والحزن والتعاسة، لم أجد بُدًّا من فعل شيء ما حيال كل هذا، وكأني أراه حلما واضحا وغاية نبيلة، أن أكون حيث تأخذني أحلامي التي أستحقها، ولأن تطويع النفس لتقدر على مشقة الطريق أمر مرهق، لكنه أفضل من الاستسلام في الزوايا والتواري في الظلال.

كنت دائما أنشد لحظة التحول النهائية، ربما عليّ صناعتها، وأنا اكتب هذه السطور تذكرت كلمات والدي فقد كان يقول: **"عندما تريد شيئا لا تطلبه، بل هيئ أسبابه مع عِلة وجوده، تذكر دائما أن هذا شيء تصنعه، وليس شيء تحارب من أجله، حتى في الحب وغيره دائما تسير الأمور هكذا، لا تطلب من أحدهم أن يؤمن بك، افعل شيئا يجعله كذلك "**

ربما لا داعي أن أطلب شيئا في رسائلي، ولا أن أطلب الاهتمام يا كتالينا، فقط على كلماتي أن تصنع ذلك في وجدانك، تعلمين أن للكلمات سحر خاص، أتمنى أن أتقن ذلك يوما ما، بحيث تدمنيها، كما أدمنتك طيفا وحقيقة.

المخلص الفتى المزراع 19 / 10 / 2013

الرسالة الحادية عشرة (جمال)

عزيزتي كتالينا

أملك مذكرة ذات غلاف أزرق أحتفظ بها في درج خزانتي المتهالكة، أدون فيها خواطري وكلماتي على فترات متقطعة, في منزلي ذي السقف المعدني الأشبه بالكوخ، ما يجعل قطرات المطر تُحدث صوتا جميلا عند نزولها على صفائح السقف، فكثيرا ما كتبت في هذا الجو تلك الكلمات والخواطر، وأنا أسمع صوت موسيقى المطر الباعثة على الارتياح والصفاء.

هذا الصوت يسعدني كثيرا حتى وأنا أقرأ موسوعة الزراعة، وغيرها من الكتب التي تتعلق بعملي وطبيعة قريتي الزراعية، لكن منذ أن بدأت في مراسلتك، غدوت اقرأ كتب أخرى مثل كتب الرحلات والروايات خصوصا الرسائلية منها، كرواية صاحب الظل الطويل، رسائل كافكا إلى ميلينا ورواية ماجدولين، الأمر ممتع حقا، ويجعل الوقت ينسَل من بين أناملك كحبات الرمل.

أشد ما يَلذّني وأسْتشعره بعمق هو الدخول في حالة الإلهام، التي تجعلني معزولا عن العالم بما فيه، سوى نوتات المطر التي تضبط الكلمات على سُلمها، وإني كنت أدمنت الأمر لدرجة أن أسعد لحظاتي هي قيادة الجرار القديم في طريقي إلى منزلي، لأدلل مذكرتي وأطعمها

بكلماتي، إنها ثورة لا تهدأ إلى بعد أن ينزف قلمي حبرا كثيرا.

على ذكر جمال المطر، لا بأس بذكر بعض جماليات بلدنا كثير الغابات المطيرة، الذي يمثل منطقة عبور رئيسة للطيور المهاجرة، من أمريكا الشمالية إلى الجنوبية، على أن البلد جنة لهواة مراقبة الطيور فنحن نملك 433 نوع مسجل من الطيور منها أبو منجل القرمزي وهو الطائر الوطني عندنا، مع 622 نوع من الفراش، هنا الجمال والألوان والتنوع يا كتالينا، ليتك ترين هذا رؤيا العين.

صحيح أن بلدي صغير لكنه جميل في تَشكيله وتركيبه كأنه خلق للفتنة بطريقة مختلفة، مع تنوع سُكانه وتعدد أعراقهم، وإنه يسعدني أن بدايتي بصفتي إنسان كانت هنا، حيث استنشقت أول نسمة هواء، وتأملت البدر وراقبت الشروق والغروب في بحر الكاريبي.

مهما تكن الأرض التي ستطؤها قدماي أو يستقر فيها مقامي سأبقى أنظر الى ترينداد كالجنة التي منها بدأت مسيرتي وشققت طريقي نحو العالم، وسأبقى أبحث في كل أرض عما يشبه بلدي، التي ستبقى دائما بالنسبة لي جنة آدم التي يريد العودة إليها.

المخلص الفتى المزارع 18 / 11/ 2013

الرسالة الثانية عشرة (الرجل)

العزيزة كتالينا

بما أنها الرسالة الأخيرة أريد التنويه على أشياء مهمة، ما سأقوله ليس تقليلا من احترامك ولا تَهوينا لشأن كتابك الذي كان دافعا لكتابة هذه الرسائل الاثني عشرة من الأساس، بالعكس تماما الكتاب أعجبني كثيرا والفكرة راقتني جدا، لهذا تجاوبت معك بهذه الرسائل وأتمنى أن أواصل مراسلتك إلى ما لا نهاية.

أولا

أنتِ تستحقين ذلك الرجل المنشود وفق معاييرك وبالطريقة التي ترينها مناسبة في الحصول عليه، فالأحلام والآمال وجدت لتتحقق، فقط علينا أن نملك القوة لتحقيقها والرغبة في وجودها على مستوى عميق فينا.

ثانيا

هذه الرسائل مجرد فضفضة، فتحت أي ظرف وفي أي مكان أو زمان وتحت أي سماء وفوق أي أرض وفي هذا العالم أو في أي عالم من العوالم الأخرى, أنا لا أخضع للتقييم، لا أحب أن أكون ضمن قائمة أو جزء من جملة خيارات، أنا الأوحد أو لا شيء، هذا نهجي, لا أجري المسابقات والمنافسات إلا من أجل المتعة أو أن اكسب الرهان على نفسي بأن أجعلها تمضي قدما وترتقي إلى مستوى أعلى، لست من هواة إحراز المراتب

الأولى، ما يعني عزيزتي أن الكتابة لك شيء أستمتع به، مع ما يخلفه ذلك من تطور الأسلوب، كما أن الكتابة إلى شخص مثلكِ يُعد تحديا يجعل الأعماق تتفاعل بشكل أعمق وأفضل.

ثالثا

قد تتساءلين بما أني راسلتك، هل ملأت الصفحات الفارغة الإثني عشرة في الكتاب أم اكتفيت بهذه الرسائل لتكون بديلا عن ملأ صفحات الكتاب الفارغة، أريدك أن تعلمي أني فعلت ذلك حقا، ولكني سأحتفظ بالكتاب عندي ولن أرسله أبدا.

رابعا

قد يتطرق إلى ذهنك سؤال آخر متعلق بالسؤال الذي قبله، وهو هل الرسائل التي أرسلها لك كل شهر مستنسخة من كتاباتي في تلك الصفحات الفارغة، أم هي رسائل مستقلة وغير مقيدة بشرط الكتاب، ما يعني أنك ستلاحظين بسهولة صعوبة معرفة ذلك، لكنك ستعرفين في النهاية ببعض التدبر في سطور الرسائل، وهذا يسعدني طبعا.

في الأخير عزيزتي كتالينا، إذا قُدّر لنا التعارف أو الصداقة أو حتى الحب فالأمر لن يكون بذلك اليُسر، فأنا أعلم وأنتِ تعلمين أن مسار القدر لن يكون بتلك السطحية أو السهولة في جمعنا معا وترتيب الأمور بيننا، إنها شبكة

من التحديث والصيانة على مستوى تفكيرنا أكثر منها على مستوى واقعنا.
هذه هي النهاية لكنها بداية جديدة ومختلفة لشيء أخر، وأنا أتطلع إلى ذلك بكامل أعماقي.
توقيع المخلص الفتى المزارع 06 /12 /2013

الفصل الثاني

الأراضي الأمريكية مطلع عام 2018 .

في المطعم الشعبي الذي يرتاده الكثير من المهاجرين والمفلسين والفقراء في الضاحية النائية عن قلب المدينة النابض، جلس بونيفاسيو يتناول غذاءه بعد رحلة شاقة للوصول إلى مدينة سانتا باربرا، كان يكفيه خبز وحساء حتى لا ينفق دُولاراته المتبقية، في هذا المطعم البائس , يسمع همْهمات الزبائن غير الواضحة، ويتساءل عن الخطوة التالية في هذا العالم المعقد المثير للارتباك حتى لأكثر العقول رزانة وثباتا، كان عليه الخروج سريعا من هذا المطعم، ليجد مكانا يبيت فيه قبل حلول الليل، يتقدم ببطء نحو القابض,وبهدوء مصطنع وثبات واهٍ لا يكاد يستطيعه, وحتى يتجنب الاندفاع العفوي الذي يتميز به سكان قريته في ترينداد، فهذا مكان آخر, بلد مختلف, يجب أن لا يظهر فيه بمظهر السخيف الساذج، أو هكذا تصور هذا المهاجر الذي انتقل من بعد إلى بعد آخر مختلف تماما، تنتابه رغبة كبيرة في البقاء متخفيا في هذه الضواحي، كيلا يكون عليه التزامات أكبر من نفقة ومظهر وكاريزما تسمح لهُ بالانسياب في قلب وشريان المدينة الشرس بسلاسة، هو يعرف هذا جيدا, وقرأ عنه ولقد لامسه هنا، وفي عاصمة بلده تِرينداد وتوباغو جرّب هذا الأمر.

في نهاية اليوم اضطر مكرها للمبيت في فندق رخيص، ففي الغد ستكون له رحلة أخرى مع أفق آخر، لأنه قاوم هذا النزوع للتواري في الظلال، إنها أمريكا عليك أن تتعرق تحت الشمس من أجل البقاء، وحتى لا تقتله نوازع الإحباط، عليه الانغماس أكثر "ليس من الحكمة البقاء وسط بركة الأوحال، تقدم أكثر وليكن ما يكون" تذكر كلمات والده الراحل.

في بهو الفندق لم يكن يرغب في الاستماع للحوار الإذاعي أكثر مما سمع، لكن شيء ما شده للاستمرار في سماعه للمذيع المشهور رودريغو رغم أنه لا يعرفه ولا يعرف ضيفته، كان المذيع يحاور ويناور أحد ضيوفه، عن أسرار التحكم في النفس لتغدو ناجحا، استمر في الاستماع لراديو مكتب الاستقبال الذي تبدو هيئته كأنه من ستينات القرن الماضي.

المحاور رودريغو يلاطف الضيفة والمتحدثة التحفيزية وخَبيرة التطوير الذاتي ويَستزيدها من الأسئلة، غفا لمدة بسبب الاسترسال في الكلام والتعب، لينتبه لصوت الراديو وقد تغير نمط الكلام، صار يسمع رجلا يهاجم الضيفة ويقول ويؤكد أن التحفيز والتطوير الذاتي مجرد هراء ليضيف "أنا لا أؤمن بمَقدرة إنسان على تغيير حياة إنسان آخر لمجرد الكلام معه" كان الرجل أحد المتصلين المشاكسين الذين يقضون يوما سيئا فيُفرغون كَبتهم بمثل

هكذا تصرفات، استمر في تصلبه لكنه أراد قطع اتصاله بكلمة أخيرة بعد أن ضاق ذرعا منها، فأطلق تحديا على موجات الإذاعة، وقال بالحرف الواحد "أتحداك أن تغيري حياة أربعة أشخاص تغييرا جذريا، ليس فقط بالتحفيز والتطوير الذاتي الذي تقدمونه في دورات تدريبية أو كتب أو استشارات بل يمكنك تقديم مساعدة ملموسة مهما كان نوعها" ثم ضحك وأردف قائلا "أمنحك سنة كاملة لفعل هذا" لتضيف الضيفة "أن التحفيز والتطوير الذاتي هو مساعدة الأشخاص على مساعدة أنفسهم، لسنا نحن من نقوم بالتغيير على مستواهم بل هم من يغيرون أنفسهم، لهذا كلامك لا يدخل في دائرة اختصاصي، أنا أقدم المساعدة لمن يريدون المساعدة ويتقدمون طواعية لنفعل معهم شيئا ما، قد تكون حياة أحدهم متوقفة على شيء ما أو بسببه, وكل شؤونه عالقة بسبب تصور أو فكرة خاطئة يعتقدها، فتوقف إنتاجيته واندماجه مع بيئته والأهم أنها توقف سعادته، مثل الدبوس الصغير الذي يعطل مَكنة كبيرة عن العمل، فدورنا هو رفع وعي المستهدف ليزيل الدبوس الصغير فيسمح لمَكنته أن تشتغل وتنطلق، نحن نمنح الشخص الحرية" لم يرد الرجل التعاطي مع هذا الكلام فقال "هل تهربين من التحدي" ردت عليه "من الغباء مجاراتك في التحدي الذي أطلقته ومع ذلك سأفعل، إذن نلتقي بعد عام

قال لها ثم أنهى الاتصال، استمرت الاتصالات من المستمعين لتدعم الضيفة وتصرح أن التحفيز والتطوير الذاتي فن وأسلوب ضروري لحياة متزنة، حتى أن أحد المتصلين الداعمين، قال: أن المتصل المشاكس صاحب التحدي هو نفسه سيعتبرك غبية إن جاريته في هذا التحدي، فما الذي ستثبتينه له، لا يجب التعامل مع هؤلاء بهذه الطريقة، لأن الواقع الذي يعيشونه أكبر إثبات على أهمية التحفيز.

صرح رودريغو أن القضية محسومة بالنسبة لمستمعي إذاعة سانتا باربرا وليس عليها أن تثبت شيئا، لكنها قالت سأفعل وهذا أمر حتمي، يهمني أن يعيش سكان المقاطعة تجربة حاسمة تجعلهم أكثر تقبلا للتحفيز.

غادر بونيفاسيو بهو الفندق إلى غرفته لينام بعد أن انتهى الحوار الإذاعي وأُطفئ الراديو، راح يهيئ نفسه للبحث عن عمل، فهذا أول شيء على المهاجر أن يفعله في أرضه الجديدة، ليشق طريقه إلى الأحلام.

في الصباح عبر إلى العالم الآخر حيث قلب المدينة النابض، السياح يشكلون أهم ملامح المدينة الواضحة، لم يفهم هذه الخارطة البشرية والعمرانية المعقدة بالأخص شبكة العلاقات بين كل هذه العناصر المزدحمة أمامه وفي عقله رغم السلاسة التي تمكنه من استيعاب هذا الطوفان، استمر طوال الفترة الصباحية يشكل انطباعه الخاص عن

هذه المدينة رغم الصدمة التي ألمت به، وبين قيادته لنفسه وقيادة نفسه له حل المساء سريعا.
كان يعبر الطريق إلى الجهة الأخرى في هذا المساء الغائم، وهو يفكر أين سيذهب وأي وجهة عليه أن يسلكها، حرفيا كان محتارا ماذا سيفعل، يشعر بالضياع والغربة في هذا المكان، تنتابه رغبة ملحة في عبور الطريق كأنه ينتقل بين عالمين في هذه اللحظة متناهية الدقة يغدو عبور الطريق نجاة بشكل ما، بضع خطوات ستكون مخرجا من عاصفة تفكيرٍ لا يقوى عليه، الهرب من ضفة إلى ضفة شيء حسي قد يرافقه انتقال معنوي ينشده داخل ذهنه، قبل بضعة أيام كان مُتلهفا لمغادرة بلده تِرينداد وتوباغو، ليبدأ حياة جديدة في سانتا باربرا حيث يبدو المكان واعدا، كان وحيدا غريبا يملك حلما ولغزا يتصارعان في داخله الهش المحزون، هذه الغربة شديدة الوطأة لم يعهدها أو يشعر بها من قبل وبهذا القدر بعيدا عن ترينيداد وتوباغو، فهو لم يغادر البلد من قبل، وزاد الأمر بؤسا أنه بلا رفقه أو وثائق رسمية؛ أو مال يعيل به نفسه، أو أي إنسان يمكن أن يقدم له مساعدة بأي شكل من الأشكال، كان يائسا ومُحبَطا جدا، فقد تعرّض للنشل قبل ساعات في هذه الصبيحة التي حاول أن يشكل فيها انطباعا جيدا عن هذه المدينة، في النهاية سلب منه كل شيء حتى أحلامه غدت باهتة، كان

النشالون قساة لدرجة سلبه كتاب **صَدفة على الشاطئ** (كتاب قابل للحرق), الذي جاء به من تريندادوكانت له ومعه وفيه ذكريات كبيرة وعميقة.
كان عليه تدبر بعض الدولارات للعشاء ، ومكان يؤوي إليه في هذه الليلة، فجأة لمح سيارة مندفعة نَحوه بكامل سرعتها، السيارة من نوع لامبورغيني حمراء اللون, تصدر صوتا مزعجا وجميلا في نفس الوقت, كأنها أي شيء جميل وصَاخب ومنسق قد يخطر على الذهن، هدير المحرك أو عادم السيارة له صوت بقدر ما هو مزعج بقدر ما هو خلاب، تقودها فتاة شقراء مجنونة تماما، تترك الشمس خلفها تعلن الأفول، لتنهي يوما يبدو ثقيلا على أغلب السكان، لوهلة فكر أن يرتمي أمامها وينهي الأمر، لكنه فكر في أجزاء من الثانية أن تلك الشجاعة التي تسمح له بالارتماء والهلاك بسبب هذه السيارة التي تقودها فتاة جامحة، قد تجعله يستطيع فعل شيء حيال وضعه الصعب، وهذا ما ألقى به إلى الجانب أخر بأمان.
في الجانب المقابل له من الشارع الذي انتقل إليه بسرعة كانت فتاة أخرى جميلة تبدو من مظهرها إنها تسرق العقول بسهولة، تشبه إلى حد ما باوْلا الأمينة العامة لمكتب عُمدة البلدية خورخي ريفيرو، ذلك البرجوازي اللعين ذو البطن الكبير، بعد أن قطع الطريق

بسلام وهذا هو المهم في هذه اللحظات، مرت السيارة كالسهم، مثيرة أزيزا قويا سمح ذهابه وتلاشيه بجعل ضجيج المدينة الصاخب يبدو مقبولا، والتصالح معه ممكننا وكأنه هدوء تام مع توقف الزمن أو بطئه بطريقة عجيبة لا تحدث إلا في هكذا مدن.

وقف إلى جانب الفتاة التي على ما يبدو أن ظاهرها لم يُعره اهتماما ولا كانت لتنتبه له لو هلك في الطريق، عدلت الفتاة نظارتها وصرخت بأعلى صوتها: هاي آناّ ماريا, لتبادلها تلك الأخيرة التحية بود وحب، ويَنطلقا معا وكأنهما على موعد لبعض شَأنهما، كان بونيفاسيو ينظر خلفها إلى يَافطة كبيرة حيث كانت تقف، مكتوب عليها (الأفكار هي التي تعمل) لم يكن غبيا لدرجة أن لا يعلم أن هذا المكان موصد الأبواب مكتبة وأن الفتاة تعمل هنا ولتوها أغلقت، أكمل طريقه في الجهة العكسية، لا يلوي على شيء إلا على حيلة يكسب بها مَالاً على وجه السرعة، انعطف مع أول ممر جانبي في الطريق الرئيس، ليرى في آخر الممر عازف ساكسفون، لمعت في ذهنه فكرة تبدو ثورية في هكذا ظرف، سريعا طبقها وأتقنها، فلا وقت لديه حتى يتردد، أو يفكر في العواقب، مكث ليس بعيدا عن هذا العازف الذي يستجدي المارّة بعزفه وموسيقاه، وضع قبعته على الأرض في الجهة التي يندفع منها المارّة نحو محطة مترو الأنفاق مرورا بالعازف، لم

تمضي ساعة حتى ضمن ثمن العشاء وغذاء الغد، حسنا سرقة جهد الآخرين ليست بالأمر الثقيل ما لم تضرهم، قال في نفسه وهكذا فكر وطرد كل وساوسه، حتى يتجنب وخز الضمير في هذا الظرف الذي لا يمكنه فيه أن يحتمله، ما يجعل مراعاة الضمير مجرد رفاهية هو في غنى عنها الآن.

الناس هنا كرماء خصوصا في آخر النهار، عندهم نزوع عاطفي لإنقاذ يومهم البائس، على الأقل ببعض الإحسان للمحتاجين، ما يمنحهم شعورا بالارتياح نوعا ما، اندفع على إثر الجموع فرادى وزرافات لمحطة المترو، وعند أول كشك ابتاع شطيرة، ونزل السلم نحو المكان الأكثر دفئا وأمانا، راح يكور نفسه في زاوية فوق علبة الكرتون لينام، فقد يحلم بما عجز عنه في اليقظة.

استيقظ مع جلبة وضجيج الصباح، لينطلق مسرعا إلى شوارع المدينة مع الأمواج البشرية، لكن ليس بذلك الحماس الذي يبدوا عليهم، ما إن وطئت قدماه أرض الشارع الرئيس حتى عاد إلى حيرته المعهودة، يبحث عن شيء ما، لا يدري ما هو تحديدا، كانت تهاجمه الأفكار بسرعة، ترهق عقله في عز الاندفاع الصباحي، تلك الأفكار التي لا ترحم الشخص الوحيد، فضلا عن الغريب والبائس، وما إن مر بجانب المكتبة وتأمل اليافطة لبرهة ثم دخل، كان المكان رحبا مملوءا برفوف الكتب، والبائعة

منهمكة في مراجعة سجل كبيرة بني اللون، هي نفسها فتاة الأمس وبنفس ذلك الألق.

- بما نخدمك سيدي؟ سألته البائعة.
- مرحبا أنا بونيفاسيو، أنا هنا أبحث عن عمل، هل يمكن أن ألقى عندك مساعدة؟ أجابها في تواضع.
- سيدي نستطيع أن نزودك بدليل المؤسسات والشركات، وستجد فيه العناوين وأرقام الهواتف التي قد تحتاجها.
- كنت أتساءل إذا ما كنتم تحتاجون إلى خدمة؟
- سيدي هل أنت جدير بالثقة؟

عدل وضيعة وقوفه ليظهر بكامل ثقته بنفسه، ثم نظر في عيني البائعة الجميلة، وترك فاصلا زمنيا لِجَعلها تنتظر الإجابة ما يُكون انطباعا أنه مختلف، مختلف نوعا ما، كأنها معركته الأخيرة التي ينبغي المراهنة عليها وأجاب:

- نعم سيدتي يمكنك الاعتماد علي.
- سيد بونيفاسيو اسمي ماريانا، وسأكون شاكرة لو ناديتني بهذا الاسم.
- طبعا سيدة ماريانا.

لتضيف «مكتبتنا مكتبة عريقة ذات سمعة طيبة، تتلقى الكثير من الطلبات عبر الهاتف، ستكون مهمتك توصيل الطلبات إلى الزبائن وقبض الثمن»

- سأفعل ذلك، أجابها.
- يمكنك ملأ اسْتبانة المعلومات, قالت ماريانا وناولته واحدة.
قال بونيفاسيو في تردد سيدتي لكني لا أملك أي بطاقة تثبت هويتي، فقد ضاعت مني كل أغراضي.
- فقط إملأ المعلومات وسَنتأكد منها في موقع البلدية أو وكالة الهجرة، بعد أن تكتب رقمك في وكالة العمل الدولية.
- نعم نعم لدي رقم تسجيل في وكالة العمل الدولية قال بونيفاسيو، لقد دخلت البلد بشكل قانوني.
- حسنا إملأ المعلومات وتعال غدا صباحا لتُباشر العمل.
قضى بونيفاسيو بقية يومه في التسول مكرها، عاد في آخر النهار إلى محطة المترو لينام، الوضع يتحسن فوق المتوقع، من العجيب أن تفلح في محاولتك الأولى، قال في نفسه.
ثم قضى العشرة أيام التالية في توصيل الطلبات، كانت عبارة عن كتب ودوريات شهرية وحاجيات أخرى، دوام عمله يبدأ من الصباح حتى المساء، وعند إغلاق المكتبة يذهب إلى عازف الساكسفون، لينال بعض الدولارات للعشاء، شيء ما يجذبه إلى عازف الساكسفون بطريقة ما، هل هو الحاجة إلى التسول وجني بعض المال أم شيء

آخر، لطالما فكر أن المال مجرد مسوغ للبقاء قرب هذا العازف ، والأنس به في المساءات التي يعود فيها الناس إلي بيوتهم حيث ينشدون الراحة والاطمئنان مع ذويهم، خياله لا يدعه يرتاح من هذه الأفكار، ربما تَسويغاته ومبرراته بينه وبين نفسه، مجرد أعذار لحفظ كرامته، فهو لا يقوى على الاعتراف أنه مشرد متسول شحاذ، حتى بشأن المال كان على نفس المنهج يتساءل هل المال من حقه أم من حق عازف الساكسفون، لكن الجوع طاغية من أكبر الطغاة فهو لا يعترف بالقيم والأخلاق، بل يدوس عليها ويسحقها سحقا، ثم يعود لمحطة المترو لينام، وهكذا ينقذه النوم كل ليلة من معركة كان سيخوضها وحيدا.

بعد أن تعرف بونيفاسيو على معالم المدينة وضواحيها الراقية والشعبية، صار يؤدي عمله بكفاءة وسرعة أكبر، يختصر الطرق في توصيل الطلبيات، يرضي الزبائن مهما كان الثمن، حتى أن المكتبة تتلقى الكثير من الاتصالات من الزبائن للإشادة به وحسن تعامله معهم.

كان لِفَورة النشاط هذه أثر جعله يشعر بالاحتياج للعلاقات، ليس العلاقات النفعية، إنما العلاقات الحقيقية، احتياج إلى أشخاص يمكنه أن يكون على سجيته معهم، فكر في ماريانا أولا، ثم عازف الساكسفون، أراد حقا أن يبدد هالة الغموض إزّاءهما، لكن كيف ذلك؟ رغم أنه لا

تعوزه الحيلة ولا الحظ ولا الثقة بالنفس، لكنه يريد شيئا عفويا من غير جهد، كمن ينتظر هدية من السماء، لا لشيء إلا لطيبة قلبه ونقاء سريرته.

ترك الأمر على ما هو عليه، أنهمك في عمله وانتظر مفاجأة القدر، ويبدو أن السماء لم تكن غافلة عنه فأول مفاجأة له كان مرور ماريانا عليه، وهو على تلك الحال يشحذ، كان الأمر مخجلا جدا، مرت لكنها تجاهلته، أو هكذا أرادت أن يعتقد، الأمر خطير جدا فقد يفقد عمله بسبب هذا السلوك غير المقبول، على أن الأمر مر بسلام.

مر شهر وكان شهرا مميزا يمكن القول أنه يرضي طموحه المتواضع، شهر حافل بالتجديد، لكنه تجديد في مجال واحد فقط، كل جديده كان في العمل, ومع الزبائن، يشبه أن تبقى مدة طويلة في مكان واحد تتوالى الأحداث في ذلك المكان ما يجعلك مشغولا طول الوقت، لكنك معزول عن أي مكان آخر أو أي تفاعل قد يحدث، فلا علم لك بما يستجد هناك، من حسن حظ بونيفاسيو أن شخصيته ليست متطلبة، شخصية عملية إن جاز التعبير، شخصية تهتم بشأنها فقط، وليذهب العالم إلى الجحيم.

قبض أول راتب كان مائة دولار عدّا ونقدا، طلبت منه ماريانا أن يأخذ بقية اليوم إجازة، انطلق سريعا إلى العازف، ولما أشرف عليه، خفف الخطى ليمكث غير بعيد، متفادياً أي جلبة، كان العازف مُطأطئا رأسه وهو

واقف وقفته المعهودة، يحمل آلته الموسيقية بكلتا يديه، وقبل أن يَلتقمها قال لبُونيفاسيو:
- أمممم لقد جئت مبكرا هذا اليوم !!
- سيدي أرجو أن لا تمانع, ما أفعله..أفعله وأنا مُكره, قال بونيفاسيو بخجل وتردد.
رد عليه العازف: أيها البائس المسكين، منذ مجيئك لم ينقص مدخولي من الدولارات، فعلى ما أمانع أو حتى أقلق.
- أسمع أيها السيد الكريم أنا أريد أن أتعلم منك العزف، هل هذا ممكن؟ سأل بونيفاسيو بلهفة ورغبة كترجمة حرفية لرغبته في شيء خاص بينه وبين العازف.
- إذا كنت تتمتع بالرغبة الكافية والحب فستتعلم يا بني، بل ستنال أي شيء تريده تحت الشمس، أجابه العازف بجدية واضحة.
استدار العازف لحقيبة خلفه فيها بعض أغراضه وأخرج منها قيثارة قديمة، ثم أعطاها له وهو ينظر إليه كأنه فتح كبير، ما يجعل العازف نفسه كان يبحث عن صديق وأنيس فهو لا يختلف عنه في الشعور بالوحدة.
- ما اسمك بني؟ يسأل.
- اسمي بونيفاسيو يا سيدي.

صرخ العازف بأعلى صوته، كأنه كان يحلم بهذا اليوم الذي يسمح له بأن يصرخ بأعلى صوته، كأنه كان ينتظر الشغف والحافز، ليَنفخ على حباله الصوتية أكثر من نفخه على آلة الساكسفون طوال حياته، اسمع يا بونيفاسيو هيا أزعج المارّة بعزفك الرديء، لن نكسب اليوم دولارا واحدا، لكننا سنتعلم، سنخلق الحياة في أناملك الميتة، ستكون أنت ذلك التلميذ الذي طالما انتظره المعلم، أنت تعلم جيدا أن المعلم يظهر من العدم عندما يكون التلميذ مستعدا، قال هذا وقد بدا عليه الحماس الشديد.

بدأ العزف بأنامله المتيبسة، يترنم بتلك الأوتار التي لا تطاوع، أوقفه المعلم وهمس له: اسمع مني أول سر من أسرار الموسيقي، عليك أن تُصغي لما تعزف، تَعلّم الإصغاء في داخلك، ستسمع كل ترنيمات الكون، حفيف الشجر، خَرير الماء، قرع الأحذية على الطريق، ومع الوقت ستولد من جديد، ستكتسب حواس مرهفة جديدة، ستسمع موسيقى الشروق، وكيف تولد الشمس كل يوم من جديد، ستسمع حزن الوداع في الغروب، تجاهله بونيفاسيو وواصل العزف، أحنى برأسه على القيثارة، هنيهة ثم دفعه المعلم ليرفع رأسه، وقال: بني أحني بقلبك فقط، وسَيستجيب جسمك بالوضعية المناسبة.

أستمر في الدندنة لتعلن الشمس نهاية يوم حافل، حافل بشيء مختلف، رفع رأسه ليجد ماريانا تقف على مقربة

منه، تبتسم ويا لجمال المنظر، إنها أول ابتسامة تخصه، ارتسمت على ذلك الوجه الجميل من أجله هو فقط، إنها أول شيء شخصي بينهما، بادلها الابتسامة بكل عذوبة.
- مرحبا ماريانا لم أنتبه أنك هنا!
- أجابت سأكون دائما هنا يا بونيفاسيو، مادمت الموسيقى جزءًا منك.
صرخ المعلم: انتهى دوامك لهذا اليوم يا بني، اذهب مع السيدة الجميلة، أوصلها إلى منزلها، لا تتردد في أخذ رقم هاتفها, وضحك وضحك بونيفاسيو هو الآخر، وقد أعجبته الفكرة، تقدم خطوة إلى الأمام، ثم خطوة أخرى أكثر جرأة، ليجد المرأة الجميلة تخرج من حقيبتها قلما وتمسك يده وتبدأ في تدوين الرقم على كف يده.
ودّعا العازف، وسارا معا جنبا إلى جنب كالحبيبين، عائدين إلى عشهما الآمن والمريح، خطوات وبدأت الفتاة تسأل:
لم أكن أتوقع أن تكون هوايتك الموسيقى، أنت تبدو انطوائيا قليل الكلام، آسفة للحكم عليك، قالت ذلك وهي مبتسمة مع مسحة حياء وخدّين متوردتين وهي تنظر إليه.
كان بونيفاسيو يفكر في الكلمة المناسبة، الكلمة السحرية، تلك الكلمة التي إذا دخلت على فوضى رتبتها، أو دخلت على نظام شلّته وبدّدته، هكذا هي الكلمات التي تأخذ

منعرجا حاسما في العلاقات أو في أي شيء آخر، تفتح الأبواب المقفلة، تصنع جسرا متينا بين قلبين، تذيب الجليد بين عقلين، في لُجّة تفكيره سمعها تنادي : ما بك يا بونيفاسيو؟

صرخ بصوت مثقل إنها الكلمات يا ماريانا.

عقبت عليه: هل تكتب؟ هل أنت شاعر؟

فقط خواطر وفضفضة شعورية يا ماريانا، هذه هي هوايتي قبل الموسيقى ومعها وبعدها وإلى الأبد، سكت هنيهة رفع رأسه إلى السماء وأردف الكلمات فقط من تمنحني الإشباع والاكتفاء، أجدها الشيء الوحيد الذي يملأ فراغ روحي، ويؤنس وحدتي.

أصغت بانتباه، إنها مسرورة كما يبدو لأنه يفكر بذلك العمق.

ظلا يمشيان في هذا المساء كعاشقين كاملا الانسجام، لكنها أبت إلا أن تأخذ نصيبها من الكلمات والشعور، وطلبت منه أن يقول شيئا لها في هذه الليلة، لم يفكر طويلا حتى أوقفها، نظر في عينيها نظرة عاشق متلهف لبريق عينيها، و قال:

أتأمل النجوم كل ليلة

لأتعلم منها كيف أصل إليك ، كم تبدو النجوم قريبة هذه الليلة.

تهللت أسارير وجهها الجميل وقالت في غنج طفولي زدني.
وقف وقفة أستجمع فيها كل الثبات؛ كل الرسوخ، أمعن النظر، وقال من غير خضوع
من الجميل أن تجعل القمر يبتسم، لكن الأجمل من ذلك أن يقبل عليك والابتسامة من نصيبك.
قالت في دلال: أنا الآن في منتصف المسافة بيننا، من الخطأ أن تدعني أرجع خالية الوفاض.
قال:
تشبهين
لحظات التجلي
القصائد والموسيقى
لكن للعمر كله وليس بضع لحظات
قالت:
الانحدار نحوك سهل وممتع، هيا زدني، اجعل ليلتي مميزة.
قال:
تستحقين كلمات خالدة.
قالت: زد
قال:
حظ الناس منك الرؤية
وحظي منك السعادة.

اقتربت وعانقته بقوة، كأنها تتشبث به لألا يتبخر، عانقته عناق الغريب للوطن وهو في المنفى، وعانقها عناق الملاذ الذي يطلب فيه الأمان، طال العناق جدا، لدرجة الحاجة إلى الاعتذار مع كل هذا التوهج ، تراجعت قليلا، آسفة، آسفة بونيفاسيو .

- لا عليك يا ماريانا، لقد كنت بحاجة لهذا.

ابتسمت، نعم لقد كنت موفقة في تصرفي معك, ومسحت الدمع من تحت نظارتها، وهذا ما لم يفهمه أبدا.

لم يملك إلا الصمت والتأمل، إنها شيء فريد يستحق أن تأخذه على مهل، خذ كل وقتك أيها الجاني لثمار روحها.

- بونيفاسيو كنت أتساءل، استبانه معلوماتك، كلها متعلقة ببلدك ترينيداد، لا توجد أي معلومات عنك تخص وضعك القانوني في أمريكا، ما اضطرني لأكون كفيلة لك بشكل رسمي، ترى أين تسكن يا بونيفاسيو؟ سألت.

قال مبتسما: هل ستَكتمين السر؟

ضربته على كتفه بلطف وهي تبتسم، تعرف أنني موضع ثقة.

سيدة ماريانا أنا رسميا رجل مشرد يبيت في محطة مترو الأنفاق.

- حسنا توجد غرفة مع حمام فوق البناية التي فيها المكتبة، سيؤجر لنا المالك تلك الغرفة بثمن بخس، سيكون الإيجار على عاتق المكتبة.

نظر إليها بونيفاسيو وقال: ليتك تصلحين حياتي كلها يا ملاك الأمنيات.
قالت: أعدك أعدك يا بونيفاسيو فقط عدني بأن تستمر في دروس الموسيقى والغناء.
كانا قد وصلا إلى بوابة العمارة التي تسكنها، نظرا لبعضهما نظرة المودع ليقول لها لقد كنتِ راتبا جيدا لهذا الشهر، تصبحين على خير يا مارينا.
قالت في مودة: كف عن الحماقة يا بونيفاسيو، لن تعود لمحطة مترو الأنفاق, ستَنام عندي الليلة، وغدا سنحسم أمر الغرفة.
دخلت قبله رتبت بعض الفوضى بارتباك، وآذنت له بالدخول، أخبرته أنه سينام في سريرها، أما هي فَستنام في غرفة آنّا ماريا شريكتها في السكن.
«لا داعي للتساؤل يحق لي إدخال غريب إلى غرفتي، وليس إلى غرفة صديقتي، خذ راحتك يا بونيفاسيو، سأعد العشاء وأعود» قالت.
خذي وقتك ماريانا, أجاب.
كانت في المطبخ تُصور فيديو عن وجبتها، وتتحدث وتشرح طريقة الإعداد والمقادير بطريقة ممتعة وكأنها تشرح لشخص بكل حب واهتمام، وأثناء ذلك راح

بونيفاسيو يتأمل الغرفة، رف كتب متنوعة، وبغض التحف، وعارض عملات قديمة لبلدان كثيرة.

هيا بونيفاسيو إلى العشاء أنا انتظرك، قالت.

كانت المائدة منظمة وزاهية بألوان الأطباق التي تَبدوا عتيقة من الحقب القديمة، وكَاميرا مسلطة نحو المائدة، قبل تشغيل الكاميرا، استأذنت إذا كان يرغب في مشاركتها تسجيل مرئي لحَلقة برنامج على منصة يوتيوب لهذا الأسبوع عن الطبق الترينيدادي التقليدي وبحضور مواطن من البلد، رحب بالفكرة وسُرّ بها أيمّا سرور، كان الأمر برمته مبشرا يوحي برغبتها في البحث عنه وعن ثقافته وعادات بلده، لكنه مصاب بِلعنه التفكير، قد تكون رأت فيه مجرد فرصة لعمل فيديو يحصد عدد من المشاهدات، ثم تنتهي القصة.

عبر لها عن سعادته وامتنانه بمشاركتها المحتوى الهادف في مواقع التواصل الاجتماعي، بدأ التصوير وتقديم بونيفاسيو كمواطن يعطي رأيه وانطباعه في الأكلة الشعبية المشهورة في ترينيداد التي تحضرها ماريانا أول مرة.

كان الطبق الرَئيس في المائدة هو الطبق الوطني لِترينداد وتوباغو، وهو عبارة عن حساء كالولو المصنوع من خضروات كَالولو مع لحم السلطعون وصلصة الفلفل

الحار، تناولا العشاء بحنين، كان الأمر مرحا جدا فوق ما هو متوقع.
أعطته ثياب رجالية، كانت موجودة عندها منذ مدة، لكنه أصر على أخذها بالثمن كاش، لن يبقى ذلك الشحاذ، سينتظر فرصة الانعتاق بأسرع ما يمكن، وسيكون حينها مستعدا، ليكون ذلك المزارع الذي جاء من بعيد ليأخذ حقه من قلب فتاة حالمة.
انتقل بونيفاسيو إلى العيش في الغرفة، في سطح مبنى المكتبة، وباشر في ترتيب حياته، فقد غدا صاحب بيتٍ، صاحب خطوة أولى في طريق الكرامة، الكرامة التي خسرها عند أول يوم قرر فيه التسول، المؤسف أن الزمن لا يمكن أن يعود إلى الوراء، لتصحيح تلك القرارات، التي ما كان أحدنا ليُقررها لو كان بذلك القدر من الوعي، ليست مسألة تجربة نخوضها، إنها مسألة شرف واستحقاق.
أول أثاث اقتناه كان كراسة وقلما، ليكتب عن هذا الشيء الغامض غير المفهوم الذي يكنه لماريانا، سماه سجل ماريانا وبقية الأشياء، دون اسمها في أعلى صفحة، وكتب تلك الكلمات التي قالها لها سابقا، وكتب عن تجربة الموسيقى وكلمات المعلم، كانت أجمل شيء يدونه في حياته، شيء مختلف تماما عما مر به من قبل، شيء حقيقي مع أناس حقيقيين.

في المكتبة بدأ بونيفاسيو يقترب من الكتب أكثر فأكثر، لم يعد الفتى الذي ينتظر الطلبيات فقط، أصبح يساعد في ترتيب الكتب وتصنيفها، يساعد ماريانا في البيع والتعامل المباشر مع الزبائن، بدا العالم مختلفا والأذواق متنوعة، والوقت يمر بسرعة.

لم يعد له مدخول محدود، أضحى ينال الإكراميات، وتعرض عليه طلبات لخَدمات بسيطة، مثل نقل الأثاث، أو توصيل شيء ما في طريقة، صيانة حنفية، أو زر كهربائى أو سباكة، حتى أنه لم يعد يجوب شوارع المدينة بالدراجة الهوائية، لقد تم تزويده بدراجة نارية سكوتر، وصدرت الوثائق الرسمية الضائعة، التي وصلته بالبريد بعد أن طلبتها ماريانا من قنصلية ترينداد وتوباغو، غدت حياته أكثر جهدا وأكثر إثارة، ولماريانا النصيب الأكبر طبعا.

الفصل الثالث -البداية

في ذلك اليوم طلبت منـه ماريانـا أن يجهـز نفسـه، ركبـا التراموای بعد الظهر إلى مكتبة سانتا باربرا العامة، كان المدخل فسيحا مع أجمة جميلـة، ونـافورة شـامخة، المبنـى كله أشبه بقصر أحد الأثرياء منه إلى مبنى حكومي، ضخم واسع مهيب، مع تصميم فريد ذو طـابع إسـباني مكسـيكي تظهر عليه لمسـة سـاحلية، كانـت مكتبـة ضـخمة، دخـلا عند مكتب الاستقبال، تسـلمت ماريانـا بطاقـة، التفتـت إلـى بونيفاسيو قائلة:

رسميا أنتَ عضو في مكتبة سانتا باربرا العامـة، هيـا خـذ البطاقة.

أمسك البطاقة وقـال: عظـيم يـا ماريانـا، لقد انهمكـت فـي الآونــة الأخيــرة، حتــى أنــي لـم أنتبــه لشــيء ضــروري كالانخراط في المكتبة.

دخلا قاعدة المطالعة، كانت فسيحة، رفوف كتب ضـخمة، طاولات كثيرة، رواد منهمكون في تصفح الكتب، منظـر مهيب وساحر، هيج مشاعر بونيفاسيو حتى قال:

هنا ينبغى الإدمان
هنا تحلو الهلاوس والأوهام
في أروقة المكتبات بين أطنان الكتب
يمكنك أن تسأل نيرون،
تصادق هيرودوتس
وتناقش أفلاطون
تتعلم من ابن رشد
و تنادم قيصر والرشيد
هنا يمكنك أن تكون منهم ويكونوا منك
تغدو عزلتك أكبر زحام بشري
لا يعترف بالزمن ولا بالفوارق
يغدوا التجلي أكثر وضوحا
على غلاف القلب الذي صقلته الحروف
هنا يمكنك أن تشهد معاناة موسى
ميلاد المسيح
هجرة محمد
هنا يفرق عقلك بيت الزيف والحقيقة.

نظر إلى ماريانا ليجدها تكتب ما يقول، هل يستحق الكتابة؟ خاطب ماريانا، أجابت: أسمع يا بونيفاسيو لا شيء لا يستحق الكتابة، إما أن يكون شيئا ذا بال يستحق أن يطلع عليه الآخرون، أو لا يكون لكنه في النهاية خطوة كبيرة نحو ذلك، وفي أسوأ الأحوال توثيق للحظة

شعورية تعود إليها يوما ما، فرجاءً لا تسمح لحدودك التي رسمتها أن توقفك عن التقدم.
مشت أمامه ليتبعها إلى جانب واسع فيه مجلة حائطية، تخص رواد المكتبة، وخاطبته: هنا ستبدأ رحلتك يا بونيفاسيو، ومن هنا ستغزو كلماتك العالم أجمع، آمن وسترى.
هذه المجلة الأسبوعية الحائطية يتبعها إصدار شهري ورقي يتم توزيعه في سانتا باربرا، هناك مسابقة تنظمها المجلة تجعل لكاتب الشهر فرصة لأن يطبع له كتاب أو ديوان على نفقة مكتبة سانتا باربرا العامة.
نظر إلى البطاقة، وجد انه مسجل في نادي المجلة، تساءل, ترى ما الذي تضمره الفتاة؟ ما الذي تخطط له على وجه التحديد؟ هل هي سادية إلى حد ما؟، هل تحلم بنجاحها في شخوص الآخرين، ترى ماذا سيحصل إن لم تكن استجابتي بالشكل الذي تتمناه أو تهواه نفسها؟ هل سَتنبذني أم تتقبلني كما أنا؟ أم هي روح العطاء التي تجعلها تراهن على من تحبهم و تهتم لهم؟
في لحظة شروده كانت قد طبعت نسختين من كلماته التي قالها آنفا، نسقتها تنسيقها جميلا، ثم طلبت له من الموقع الخاص بالمكتبة نسخة من جدول النشاطات، الأمسيات الشعرية، والمحاضرات والنقاشات، وغيرها من نشاطات

النوادي التي يمكن أن يحظرها أو يشارك فيها، مع أسماء القائمين عليها وهَواتفهم وإيميلاتهم ليتواصل معهم.
قال لها وهو يبتسم
لا أعلم ما هو السر لكن
إذا أسندت ظهرك لامرأة
تستطيع أن تواجه العالم
وإذا أسندته على مكتبة
تستطيع أن تغــزوه
فما بالك بالأمرين معا
ومع ذلك يتعين عليك أن تنتصر أنت.
ثم أردف بعد أن اعتدل وكان كمن ينظر إلى شيء بعيد ويستغرق فيه.
سأتبعك بضعة أيام أو شهور
لتَتَّبِعِيني بقية العمر.
قالت وهي تبتسم ابتسامة الحياء الجميلة: أنتَ تعرف من أين تؤكل الكتف.
لم يُرد أن يكافئها، كان يريد أن يعبر عن امتنانه فقط، هي من ذلك النوع الذي لا يمكنك أن تُجزيه حقه، ربما يمكنك في عالم آخر، من المؤكد ليس في هذا العالم.
غادرا المكتبة غير أنه هو من حدد الوجهة فقد أخذها إلى مكان فسيح يذهب إليه الناس عادة لمشاهدة الغروب، كان مشهدا أخّاذا يسبي العقول، حيث تختفي الشمس في

المحيط الهادئ، فتعلن للجميع نهاية فترة النشاط, لتبدأ فترة الشعور، راقها المنظر جدا، حتى أنها أسندت رأسها على كتفه كأنها تريد أن تغفو على غرار الشمس.
في الصباح طرق باب منزلها طرقا قويا، أخذها عنوة ليجعلها تشهد حدثا يعني له الكثير، كان يصرخ هيا هيا تبقى أمامنا ربع ساعة قبل الحدث، ركبا سيارة أجرة التي انطلقت بكل سرعتها الممكنة، لتركن في مكان قريب من أجمة واسعة خارج المدينة، ركض بها إلى تل من تلال سانتا باربرا المطلة على المحيط ومن خلف الخليج، ترى جبال سانتا مونيكا التي تحرس اللحظات الجميلة عند ميلادها مع كل شروق.
بدأ الشروق وكان فاتنا فهو لوحة الرب التي يمنحها للبشر كل يوم، كانت تتأمل الشروق وتضم يديها إلى صدرها، في لحظة سكون لا يتخللها إلا صوت أنفاسها الجميل، أكتمل ميلاد الشمس الهادئ، ومعه اكتملت سعادتها، وأشرق وجهها الجميل أجمل من هذه الشمس.
قال لها في لحظة استغراقها: أتعلمين أين ذهبت الشمس بعد غروبها في الأمس؟
قالت بصوت رقيق مع بحة جميلة: أين ذهبت الشمس؟
قال: لقد عادت إلى عينيك لتستمد منهما الجمال، أنظري لقد أشرقت جميلة بمثل جمال عينيك.

عزيزتي ماريانا
أنتِ تستحقين كل اللحظات الجميلة.
قالت في مكر: اللحظات الجميلة فقط.
قال: اللحظات الجميلة مع أحب الناس إليك، ويا ليتني ذلك الشخص.
نظرت إليه بابتسامة ثم عانقته بحرارة، قبّلت خده و قالت:
- أنت صديقي الحميم، أرجوك لا تقع في حبي مبكرا يا بونيفاسيو، تعرف أنه دائما للقلب شأن آخر.
وتابعت كلامها: فقط امنحني وقتا وسنكون بخير، أعدك.
عاد كل منهما إلى روتينه المعهود، هي منهمكة في المكتبة وفي عمل فيديوهات يوتيوب هادفة أغلبها عن الطبخ وثقافات الشعوب بطريقة جميلة, تجعلك تعايش جماليات الثقافات المختلفة فعلا، وانهمك هو في التوصيل والإكراميات وإرضاء الزبائن ودروس الموسيقى والكتابة.
أراد أن يثبت نفسه بطريقة أكثر قوة؛ أكثر صخبا؛ أكثر ضجيجا، لهذا قرر أن يكون كاتب الشهر في المجلة، ما يرشحه لفرصة نشر أعماله في كتاب، كما عليه أن يتعلم العزف على جميع الآلات التي يمتلكها المعلم.
في تلك الليلة التي كان عليه لملمة نفسه، لينطلق في هذا العالم واضحا كالقمر في ليلة البدر، يمنح العالم بعضا ما في جوفه.

تذكر كلمات المعلم "أسمع يا بني السر الثاني من أسرار الموسيقى، عليك أن تعزف بطريقة تجعل قلبك يريد أن يقول شيئا ما لا تستطيع شرحه بالكلمات " فكر أن هذا سر من أسرار الحياة، لا داعي لشرح كل شيء، أو الإسهاب فيه، قل شيئا موجزا، افعل شيئا ما، الكلمات لن تحصر ذلك المدى الواسع، أعزفه على أوتار أو سلم أفعال.

الفصل الرابع

دخلت المكتبة فتاة شقراء جميلة، أنيقة الملبس حسنة المظهر، من عائلة ثرية على ما يبدو، راحت تجوب المكان كالصبية، تتفحصه كأنها تبحث عن شيء ما، تحاول ماريانا عبثا استدراجها للكلام، إلا أن الفتاة لا تبالي، تسمرت الفتاة في مكانها، كأنها روبوت قُطعت عنه الطاقة.

فجأة وبصوت عال قالت: أريد شيئا مميزا، مميزا جدا، شيء لا يصبح باهتا مع الزمن، يظل يحمل البريق مدى الحياة، أعرف أن هذه الأشياء لا توجد إلا في المكتبات أو محلات بيع التحف، مثل كتاب قديم يحمل توقيع المؤلف، أو رصاصة من الحرب العالمية الأولى، شيئا يغدو أكثر قيمة بمرور الوقت، شيء لا يمكن أن يدع الستار يسدل بينك وبين السعادة.

كان بونيفاسيو حينها داخل المكتبة يساعد ماريانا، فقد غدا يؤدي كل المهام مع ماريانا تقريبا، بل كثيرا ما ينوب عنها إذا ذهبت لبعض شأنها.

تقدم إلى الفتاة وقال: سيدتي نملك أفكارا يمكننا أن نساعدك بها ما دمت زبونة لدينا، وسيكون من دواعي الفخر أن تسمحي بذلك.

- سأكون ممتنة إذا عرضتها علي، أجابت. يسهل تخمين سبب طلبك لكتاب أو تحفة قديمة، أنتِ تريدين شيئا عالي القيمة.
- نعم بالضبط هذا ما أريد، قالت الفتاة.
أردف قائلا: هذه مسألة ذهنية بحتة، كانت على الدوام متعلقة بقوة أثر الانطباع الذي تتركه عند مُتلقيها، فسرعان ما تتشكل علاقة عاطفية بينهما، في النهاية هي هدية ثم إنها نادرة وساحرة.
أمعن النظر في الفتاة ليرى مدى تجاوبها مع حديثة، وقد لاحظ ذلك من السهولة بمكان.
- تفضل واصل حديثك أنا معك، قالت.
- ما رأيك أن نلعب لعبة ترك الانطباع القوي الخالد هذه مع من سيتلقى الهدية؟، لكن بشيء جديد، شيء نفعله نحن، شيء مبدع وخيالي, قال.
- مجددا سأكون شاكرة وممتنة، قالت، وقد أظهرت مزيدا من الاهتمام، ثم واصلت، سأكون مسرورة بمَعروفكم هذا، إذا سار الأمر ناجحا كما أتخيله.
يبقى الكتاب كِتاباً والتُحفة تحفة مهما كانت قِيمتهما المعنوية، ما استنتجته من تلهفك لهدية مميزة، هو ما دفعني لقول ما عندي، سيدتي ضالتك ستكون في شيء شخصي, شخصي جدا، مثل رسالة أو شيء مصنوع خصيصا لصاحبه.

ثم أردف: هل هي هدية عيد ميلاد؟
الفتاة في دهشة: ااه نعم ، ظننت هذا واضحا، آسفة ! إنها لصديقتي، أعز صديقة لدي، إنها صديقة الطفولة.
أجابها بونيفاسيو والثقة تبدو عليه ظاهرة: حسنا سيدتي، يمكنك أن تحدثينا عنها، وتحكي عن بعض المواقف المشتركة أو المواقف السعيدة أو حتى المضحكة، وستكون رسالة مختلفة تماما.
ثم قال بعد أن رأى أنها متلهفة لسماع المزيد، تعرفين حاجتنا النفسية لشيء عاطفي في سانتا باربرا ذات الطابع السياحي، فالسطحية هي اللغة السائدة في مجتمع كهذا، لأن أغلب رواد المدينة عابرون وسياح، ما عزز الجوع للكلام العميق، الكلام ذو القيمة العاطفية الكبيرة.
قالت: سيدي إذا كانت الهدية مجرد رسالة، سيبدو الأمر محرجا نوعا ما، كأنني أتهرب من مسؤوليتي المادية تجاه صديقتي في مناسبة كهذه، سيكون الأمر مبتذلا، يجب أن يكون للهدية جانب مادي.
قال بونيفاسيو: أتفق معك في هذا، لكن دعينا نكتب الرسالة، ثم سأدهشك بالفكرة، فما تقولينه لم يغب عن ذهني.
عدل وضعية وقوفه، ليظهر القوة في كلماته، كأنه متحمس أكثر من الفتاة، أعلى نبرة حديثه قليلا وقال: إن صوتك جميل وكلماتك واضحة مع فواصل زمنية

مناسبة، وطريقة تنفسك تساعد في القدرة على الإلقاء، لهذا سنسجل الرسالة على أسطوانة ونضع أقدم صورة لكما معا، على غلاف هذه الأسطوانة الكلاسيكية، يمكنك إهداؤها لها مع الجهاز، اختاري جهازا عتيقا من عند بائع التحف.

تهلل وجه الفتاة وارتسمت أسارير السعادة عليها، حتى أنها قفزت كالطفلة من شدة فرحها بالفكرة، أخرجت من حقيبتها مالا، وضعته في يد بونيفاسيو، وقالت في حماس: شديد اشتري الجهاز واكتب الرسالة وستأخذ أنت وزميلتك والمكتبة كل العمولة اللازمة، ومع ذلك سيبقى معروفكما هذا مما لا يمكنني دفع ثمنه ببعض المال.

تبادلت الفتاة مع ماريانا أرقام الهاتف، والإيميل حتى تتلقى ماريانا صورة الفتاة مع صديقتها، ثم مكثت قليلا تكتب الإجابات عن الأسئلة الدقيقة التي سأل عنها بونيفاسيو، من تاريخ ميلاد صديقتها، إلى أجمل اللحظات بينهما، وكل ما يلزم ليكون فحوى رسالتها ، واتفقا على موعد التسليم، ثم مضت لحال سبيلها.

بعد خروج الفتاة عدَّ بونيفاسيو المال، كان خمسمائة دولار، ما يكفي لإتمام العمل.

- لقد أذهلت الفتاة، قالت ماريانا وفي عينيها نظرة إعجاب.

- يفترض أن هذا دوري، قال بونيفاسيو ثم ضحك.
أوصل بونيفاسيو آخر طلبياته لهذا اليوم، ثم عاد إلى المكتبة راغبا في كتابة رسالة روبيكا, الفتاة التي تريد أن تصالح صديقتها في عيد ميلادها، في طريقه اقتنى جهاز قارئ الاسطوانات الفونوغراف من عند أقرب محل لبيع التحف، دخل على ماريانا، وضع الجهاز جانبا وأقبل عليها، شعرت أنه يريد أن يتحدث عن شيء ما، ما جعلها تبادر قائلة بحزم: سلمني إيصالات التوصيل، واصعد إلى غرفتك لتبدأ كتابة الرسالة ، إنه التزام ومسؤولية عليك إنهائها سريعا ، وسيكون لنا حديث.
صعد إلى غرفته دون أن يقول كلمة واحدة، لكنه نزل حتى لا يفوت درس الموسيقى، في طريقه نحو معلمه العازف، كان يفكر، أوه كم هي جدية وعملية ماريانا هذه، أم تراها ... حسنا لا يهم، دروس العزف هي ما يجب أن يشغلني الآن أما الرسالة فسأكتبها الليلة.
قابل عازف الموسيقى، انهمك في عزف القيثارة مع المعلم، وراح يدندن والعجوز يعيد بعده.

هناك وطن حيث الذين تحبهم
أوسع من وطنك
أنتِ لا تعلمين أنك الاثنين معا
قبلك
كنت بلا عنوان, بلا هوية
لقد غدوتِ الشغف الذي يوقضني صباحا
والحافز لصعود تلك التلال الرهيبة
كأنكِ فوقها تنتظرين
رغم كل المآسي سأكون هناك كل ليلة
لأرى بريق عينيك التي تلمع كالنجوم.

كانا ثنائيا رائعا ومنسجما في العزف معا، سحرا المارة ونالا عطاءً سخيا، ولقد بكى كثير من المستمعين، الجميل في الأمر أن ماريانا كانت حاضرة تحمل كاميرتها الرقمية وتوثق الأغنية، وفي عينها بريق الساحر والمسحور.

صفق الجمهور بحرارة، الوضع مختلف لم يعودوا مجرد مارّة أصبحوا جمهورا مفتونا بهذا العزف المذهل من المعلم وتلميذه، تكونت تلك العلاقة العاطفية التي ينشدها أي فنان مع جمهوره، كان المعلم وتلميذه يوزعان النظرات والابتسامات على الجميع بطريقة منتظمة ومع وقع الكلمات والحركات التي يؤديانها يشعر كل من حظر أنهما يغنيان له وحده.

في الطريق أخبرته ماريانا أنها ستنشر أغنيته، على يوتيوب وفيسبوك وباقي مواقع التواصل الاجتماعي .

- ذلك العجوز الهرم يجب أن ينال حقه من الشهرة, قالت.
- يستحق شهرة عريضة يا ماريانا, أجابها بونيفاسيو.
- بالمناسبة يا بونيفاسيو لا تنسى أن تنشر الكلمات في المجلة الحائطية لمكتبة سانتا باربرا العامة قالت.
- سأفعل يا ماريانا, قال.بونيفاسيو, ثم أضاف.
- هل أعد لكِ طبقا للعشاء.
- أوو أتمنى ذلك لكن أريد العودة مبكرا للبيت فقد تأخرت عن مراجعة الفواتير بسبب عزفك أنت والعجوز، ردت ماريانا.
- حسنا مادمت سبب تأخيرك سأقوم بإعداد العشاء لك، سنمر على محل البقالة ونذهب إلى بيتك.

وصلا إلى المنزل وانهمك كل منها في عمله، هي تراجع الفواتير وهو يحضر العشاء، حتى دخلت إلى المنزل شريكتها في السكن، ورأت بونيفاسيو في المطبخ، ورائحة الطعام تعبق في المكان.

- هاي ماريانا هناك رجل وسيم في مطبخنا؟ سألت بصوت خافت.

- إنه زميلي في العمل، فتى توصيل الطلبات أجابت دون أن ترفع رأسها.
- كيف لم أره من قبل؟ هيا حدثيني عنه, لقد أعجبتني يا ماريانا؟
- ألا ترين أني مشغولة يا آنّا ماريا!؟
- حسنا سأنتظر بعض الوقت يا ماريانا، إن لم يكن صديقك الحميم فسأستثمره لأنسى صديقي الذي خذلني، راحت تفرد يديها، وتدور حول ماريانا وهي تلقي الكلمات بصوت كأنها في كاستينغ .
- كفي عن هذا الابتذال, قالت ماريانا.
- ما رأيك في الأداء يا ماريانا؟
- كل عروضك السخيفة تعجبني, قالت وهي تبتسم.
الحمد لله, قالت آنّا ماريا وهي تضع يدها على صدرها.
أعد بونيفاسيو المائدة، ونادى على السيدتين.
- ألن تدعو صديقك إلى العشاء؟ تسأل ماريانا.
- لست في منزلي يا ماريانا، أجاب.
- هات رقمه يا بونيفاسيو إذن.
عشرة دقائق كانت كافية ليكون في المنزل، ويجتمع الأربعة حول المائدة.

أعرّفكما بصديقتي وشريكتي في السكن آنّا ماريا قالت ماريانا.

تشرفنا تشرفنا
- أنـا بونيفاسـيو مـن ترينـداد وتوبـاغو, وهـذا صـديقي ومعلمي كارل، قال بونيفاسيو.
- أيها الأصدقاء لقد كانت هذه الدعوة لفتة لطيفة منكم، فمنذ توقفت عن الترحال وقررت الاستقرار هنا في سانتا باربرا لم ألقى هذا الاحتفاء، شكرا لكم جميعا، قال كارل.
- إن ماريانا هي صاحبة الدعوة قال بونيفاسيو.
- العفو سيد كارل، أنت صديق؛ فلا داعي لأن تشعر بالإمتنان لما نفعله، ردت ماريانا.
- أنا مدين لك يا كارل، وسأفعل شيئا حيال هذا, قال بونيفاسيو.
- الإيمان والحب والصداقة أشياء لا تحتاج إلى شيء سوى الصدق, قالت ماريانا وهي تخاطب بُونيفاسيو.
- لكن التضحية والبذل والعطاء والإخلاص أشياء لا يكون للحب أو الصداقة معنى إلا بوجودها تدخلت آنا ماريا.
- تلك أشياء دافعها الحب، إذا توفر الحب ستقوم بها كما تقوم بالتنفس، ربما الثقة والشفافية شيء ضروري غير ذلك لا تحاول, ردت ماريانا.
- اسمحا لي يا سيّدتاي أن أقول كلمة، قال كارل.
الجميع: تفضل تفضل.

- «من منطلق خبرتي في الشوارع وفترات التأمل العميق التي مارستها طوال حياتي، وصلت إلى نتيجة!، وهي أن الحب والألفة وجهان لعملة واحدة، صحيح أنهما شيئان مختلفان لكنهما المعزز لبعضهما البعض، لست أدري أيهما يصنع الآخر، هل الحب هو ما يصنع الألفة أم الألفة هي من تصنع الحب؟ لكن في النهاية هما متلازمان وإذا غاب أحدهما تآكل الآخر مهما كان قويا، ربما يولدان معا، وهنا كنت أتساءل ما الشيء الذي يسمح للألفة أن تظهر؟ لقد أكتشفت أن الرابطة هي ما يسمح للألفة أن تظهر وتتقوى، أي رابطة هي طريق للألفة، ربما كذلك يأتي التوافق أو الأخلاق والعشرة لتجعل الألفة سببا لميلاد الحب والصداقة» قال كارل.

- أفهم من حديثك، أن العلاقة أو الرابطة إذا خلقت ألفة، سمحت بظهورنا على حقيقتنا ما يسمح للحب بأن يظهر أو ينفك ارتباطه، قالت ماريانا.

- نعم سيدتي الأمر برمته فرصة لنكتشف مدى توافق الأعماق، فنقرر من غير وعي منا أن نستمر أو نتراجع, أضاف كارل.

- لا أدري حقا، لكن صداقتي مع ماريانا تسعدني وتُريحني قالت آنا ماريا.

- ماريانا مبتسمة وقد أمسكت يد آنّا ماريا بود: وأنا كذلك عزيزتي.
قال بونيفاسيو وقد نظر إلى عيني ماريانا: يعني أنني مقبول عند أصدقائي مهما حصل، حتى لو لم أكن في مستوى تطلعاتهم وطموحاتهم.
قالت ماريانا في دهاء: اسمع بونيفاسيو يشبه الأمر أن تحرص الأم على ابنها، فمهما حصل ومهما خيب أملها فهي تحبه حبا غير مشروط، لن يختل ميزان الحب حتى لو كان طفلها أقل من مستوى تطلعاتها.
كانت آنّا ماريا تريد أن تعرف إذا ما كان بونيفاسيو وماريانا يحمل أحدهما للآخر شعورا أعمق من الزمالة أو الصداقة، انجذاب بونيفاسيو لماريانا يبدوا واضحا لكن ماريانا متكتمة، وبارعة في إخفاء كل شيء يخص جانبها العاطفي.
راحت آنّا ماريا تسأل بونيفاسيو: هل لك مشاريع عاطفية يا بونيفاسيو؟
أجابها بونيفاسيو بسرعة وهو ينظر إلى عيني ماريانا: سيكون لي أضخم المشاريع قريبا.
ماريانا بسخرية وقد رفعت حاجبيها: سيكون عليك تبليغ قناة ناشيونال جيوغرافيك لتتابع مراحل المشروع وضحكت.

بعد العشاء استأذن بونيفاسيو الجميع للذهاب الى بيته ورافقه كارل، وبقيت الفتاتان في بيتهما ليعيدا شريط الأحداث.
- الفتى يحبك ويُظهر ذلك بقوة, قالت آنا ماريا.
- وإن يكن يا آنا ماريا، هو حر فيمن يحب أو يكره، قالت ماريانا.
آنا ماريا: أرى أنه المناسب لكِ يا ماريانا.
بغضب غير مبالغ فيه قالت ماريانا «من أعطاك الحق لتقرري يا آنا ماريا، اسكتي أرجوك»
- لا أقصد أنك لا تستحقين رجلا أفضل، لكنه الأقدر على إسعادك إنه الأفضل وفق معاييرك، قالت آنا ماريا.
- وما هي معاييري ؟ تسأل ماريانا.
وقفت آنّا ماريا وكأنها على خشبة مسرح تؤدي حركات تعبيرية:
إنه رجل فكر مع لمسة فنية، يحترم المرأة بصفتها كائن شريك، مع رقة وعذوبة وصوت حسن، ثم إنه يتعلم الموسيقى ويكتب الكلمات.
ستكونين بطلة مسرحية يوما ما، لكن هذا ليس على حساب حياتي الشخصية، هيا اجلسي أيتها المجنونة، قالت ماريانا.
وبنفس النسق التعبيري قالت آنا ماريا: بل سيكون على حساب حياتكما الشخصية يا ماريانا، سيكون سيكون.

عاد بونيفاسيو إلى غرفته أعلى بناية المكتبة مع كارل الذي غط في نوم عميق ما إن وصل، وانكب الآخر على كتابة الرسالة وتعديلها، في الصباح قصد المكتبة ليجد ماريانا قد تسلمت بواسطة الايميل الصورة التي طلبتها والتي تجمع روبيكا مع صديقتها ميغان، نزلتها في شريحة ذاكرة وسلمتها لبُونيفاسيو ليأخذها إلى أستوديو تصوير لطباعتها على غلاف الاسطوانة.

في الظهيرة جاءت روبيكا، وسألت إن كان بونيفاسيو قد أتم عمله.

أجابت ماريانا: لقد أتم العمل، كتب الرسالة وابتاع لك فونوغراف عتيق وجميل، بقي أن تذهبا إلى استوديو خاص لتسجلا الرسالة صوتيا على الأسطوانة.

روبيكا: جميل فقد بقي عن تاريخ حفلة عيد ميلاد ميغان القليل فقط.

- سيكون كل شيء في أوانه، سأتصل بصديق لتكوني ضيفة برنامج ضيف خاص, وسَتُلقين رسالتك على موجات الإذاعة، قالت ماريانا.

روبيكا: عظيم عظيم، لم أتوقع هذا.

دخل بونيفاسيو المكتبة، وحيا الجميع، أخبرته ماريانا بضرورة ذهابهما إلى الأستوديو لتسجيل المادة الصوتية .

- سنذهب بسيارتي هيا هيا، قالت روبيكا.
ركبت سيارتها من نوع لامبورجيني حمراء وانطلقت به.
- ألستِ الفتاة التي كادت أن تدهسني في الشارع ذلك اليوم، سأل بونيفاسيو.
- هنا قرب المكتبة!! اااه أذكر ذلك وأنا آسفة حقا لما حصل، كان تحدي وكنت في وضع سيء يسمح بمجاراة الاستفزازات، أملك أصدقاء لا يدعمون باستثناء ميغان، فهي وحدها من كانت ترى بقلبها ما لا يراه الآخرون, كأنها تعرف الغيب، يمكنك أن تقول إنها كاملة وصاحبة حدس صادق، قالت روبيكا.
وصلا الأستوديو وسجلا مادة الرسالة صوتيا, وضع الاسطوانة الأولى الخاصة بالهدية داخل المغلف الذي يحمل الصورة، واحتفظت روبيكا بالاسطوانة الثانية لتبقى معها، كانت ماريانا قد رتبت الأمر برمته مع الإذاعة.

الفصل الخامس - في الإذاعة

في إذاعة سانتا باربرا الأولى وفي الغرفة العازلة للصوت وأمام حاجز الزجاجي الذي يقبع خلفه المخرج والفريق التقني، كان رودريغو مقدم برنامج ضيف مميز يصدح بصوته الخلاب، يحيي سكان مقاطعة سانتا باربرا ويتمنى لهم أمسية سعيدة برفقة برامج الإذاعة الأولى صوت سانتا باربرا العتيد.

أيها السادة المستمعين والمستمعات.

برنامجنا لهذه الأمسية، يستضيف شخص مختلف نوعا ما، شخص يعبر عن روح مدينتنا العظيمة.

سيدتي الفاضلة: عرفينا عن نفسك.

الضيف: أنا روبيكا فتاة عادية، أبلغ من العمر 25 سنة، أحب الرسم والسفر.

رودريغو: الأمر مثير للاهتمام، حسنا روبيكا، كيف بدأ وَلعك بالرسم والسفر؟

روبيكا: بعد تعرفي على صديقتي ميغان، نعم يمكنني أن أؤكد أن الأمر بدأ ذلك اليوم، كنت مع والدتي في المول وأنا ابنة ثماني سنوات، قرب المدخل وجدت دمية على شكل دب، حملتها دون أن تنتبه أمي، فرحت جدا بهذه الدمية, واعتبرتها هدية من السماء ورحت أعانقها، لحظات فقط حتى كانت الفتاة صاحبة الدمية مع والدتها،

يقفان قربي ليستردا الدمية، نزعتها والدتي من يدي وأنا أبكي وردتها لصاحبتها واعتذرت منهما.
رودريغو: أممم الأمر مشوق حقا، سأفعل الآن شيئا لا يحب أن يفعله أي مذيع، تعرفون أنهم حمقى يكثرون مقاطعة الضيف، محاولين الظهور بمظهر الذكي، سألوذ بالصمت لأستمتع بحديثك، أريدك فقط أن تدعي أعماقك تحكي القصة، هيا فكل المستمعين معك الآن.
روبيكا: لما رأت الطفلة بكائي وتأثري، وكيف كنت أختبئ خلف والدتي وكيف امسح دموعي بطرف ثوبها، تقدمت الفتاة مني وأعطتني الدمية وقالت خذيها هدية مني ومدت يدها ثم قالت: هل نصبح أصدقاء إلى الأبد، أمسكت الدمية بتأثر ورحت أعانق الفتاة، في ذلك اليوم عاهدتها على الصداقة والحب، في الحقيقة لم تكن الدمية هي هدية السماء بل صاحبتها، لطالما كانت صديقتي ميغان هي هدية السماء.
طوال السنة التي بعدها لم ينقطع كرمها عني وكرم عائلتها عن عائلتي، فقد كانت عائلتها غنية على عكس عائلتي.
لقد بدأت الرسم حين ذاك وأول شخص أردت أن أتقن رسم ملامح وجهه هو صديقتي الجديدة ميغان، لقد أخذتني معها في الكثير من الرحلات، أخبرتني أنها تريد أن تزور الكثير من المدن، ومن حينها وأنا اعشق السفر

والرسم طبعا، كان عاما سعيدا بمعنى الكلمة، لكن دائما هناك تغيير في الخطط، فقد سافرنا عن البلدة، وانقطعت علاقتنا، ثم إنه قُدّر أن تعود علاقتنا في الجامعة، نعم لقد التقينا في الجامعة وأصبحت علاقتنا علاقة قوية كما كانت، بل أكثر فنحن أكثر وعيا ونضجا، يمكنني أن أقول أن سنوات الجامعة كانت شيئا مختلفا بسببها، كنا ندرس في جامعة مرموقة، فقد غدت عائلتي عائلة ثرية جدا، لأن والدي دخل في استثمارات عادت عليه بربح وأستقر الجانب المالي لأسرتنا.

الآن يا سيد رودريغو أنا في خلاف مع صديقتي ميغان وأُريد مصالحتها، لا أريد أن أحكي عن سبب مشاجرتنا، لكني أريد أن تعود المياه إلى مجاريها، وأعود لصديقتي.

صرخ رودريغو يقول: المشاكل يا عزيزتي تقوي العلاقة الحقيقية بينما تفتت العلاقة الزائفة.

روبيكا: نعم نعم أوافق على هذا، إنها صديقتي وأنا مستعدة للتضحية من أجلها.

رودريغو: لقد أخبروني أن الليلة عيد ميلاد صديقتك، وهي سبب حضورك.

روبيكا: قبل ذلك أريدك أن تذيع لجمهورك اغنية سأحكي لك قصتها عام 2008 استطاع فريق باتريك فيستر المعروفين ب" first sound " باستعادة تسجيلات تعود للقرن التاسع عشر من على اسطوانات مخروطية بواسطة

تقنيات الحاسوب أبرزها أغنية تحت ضوء القمر التي تم تسجيلها 9 أبريل 1860

أغنية تحت ضوء القمر (بالفرنسية: Au clair de la lune)، هي أغنية شعبية فرنسية قديمة من القرن التاسع عشر، يقال أنها مجهولة المؤلف، يتم تدريسها لطلاب الموسيقى المبتدئين نظرا للحنها البسيط، حيث تعتبر وسيلة سهلة لتعويدهم على كيفية لعب النوتات على الآلة.

وأنا بهذه المناسبة أريد إهداءها لصديقتي ميغان وكل مستمعيك الكرام في مقاطعة سانتا بابرا، أريد ثورة صداقتنا أن تبدأ مثل ثورة التسجيلات التي خطت خطواتها الأولى ذلك الوقت.

رودريغو: حسنا يمكننا أن نضيف بعض المعلومات لمستمعينا الكرام، لقد قام المخترع الفرنسي (إدوار ليون سكوت دو مارتنفيل)بتركيب أول جهاز يستغل اهتزازات قلم على أقراص ورقية لتسجيل الصوت، ولكن ذلك حينها كان دون التفكير بإعادة تشغيل الأصوات المسجلة، كان الجهاز يعرف حينها باسم فونوتوغراف ويهدف لدراسة خصائص الصوت، إلا أن المخترع لم يتنبه إلى أنه عمليا قد سجل الصوت.

وأزيدكم قال رودريغو على أمواج سانتا باربرا:

قام الشاعر والمخترع الفرنسي **شارل كروس** بتطوير الفونوتوغراف إلى الباليوفون عام 1877، لكن المخترع

الأمريكي الشهير توماس أديسون كان قد صنع الفونوغراف الذي يعيد تشغيل الصوت المسجل على صفائح القصدير، الهدف من استخدام الجهاز حينها كان إعطاء الأوامر الرسمية.
يسأل رودريغو من جديد: عزيزتي هل تحفظين كلمات الأغنية مترجمة قبل أن نذيعها.
روبيكا: نعم أحفظها.
رودريغو: أريدك أن تلقي الكلمات الأغنية بالانجليزية قبل بث الأغنية الأصلية.
روبيكا بصوت دافئ مع دندنة تقول:
« تحت ضوء القمر،
صديقي بييرو،
أعرني ريشتك
لأكتب كلمة.
فشمعتي قد ماتت،
وماعاد لدي نور،
افتح لي بابك،
محبة في الله.

تحت ضوء القمر،
أجاب بييرو:
"ليست لدي ريشة،

أنا في سريري
اذهب عند الجارة،
فربما يكون لديها،
لأن في مطبخها
هناك من يشعل ولاعة"

تحت ضوء القمر،
لوبين المحبوب.
دق عند السمراء،
فاستجابت فجأة:
- من يدق هكذا؟
فقال بدوره:
- افتح لي بابك
لإله الحب.

تحت ضوء القمر،
لا نرى إلا قليلا.
بحث عن ريشة،
بحث عن نور.
بحث بهذه الطريقة،
لا أعرف ماذا وجد.
لكنني أعرف أن الباب خلفهم قد أغلق...

رودريغو يصرخ: رااائع رائع، هيا نسمع الأغنية العتيقة.
بعد سماع الأغنية
رودريغو: روبيكا لقد أحضرتِ معك رسالة لصديقتك ميغان أليس كذلك ؟
روبيكا : بلى، إنها رسالة كتبها السيد بونيفاسيو رودرغيز عامل توصيلات المكتبة في الشارع الرئيس، ومن هذا المنبر أقدم له تحياتي وتقديري فالرسالة مذهلة.
رودريغو: أنا متأكد أنها ستعجب صديقتك ميغان.
روبيكا تخاطب المستمعين
قبل أن أتلو هذه الرسالة أريد التنويه على شيء وهو أن هذه الكلمات حقا وبكل صدق أقول ذلك؛ هي كلمات تعبر عني، إنها تلملم ما كان مبعثرا في روحي، ليست مجرد رسالة إنها ينبوع يتفجر من أعماقي، كلما وصل الكاتب إلى نقطة شعورية سألني إذا أجبت بالإيجاب، حاول قدر الإمكان التعبير بما يتطابق مع أعماقي، لقد جمعها في نقاط بواسطة مجموعة من الأسئلة التي وجهها لي ثم صاغها في رسالة.
على أمواج الإذاعة.

صديقتي ميغان
أكتب هذه الرسالة وأنا في شوق كبير لأكون معك، وأستمد منك الوهج الذي طالما كان أهم أسباب سعادتي.

أولا - سأبوح لك بشيء لم تسمعيه مني سابقا؛ قبل أن أتعرف بك كنت أشبه بالضائعة، كنت بحاجة إلى إنسان ينتشلني من عزلتي وغربتي، ثم جاءت بك السماء هدية قيمة، ولقد كُنت مؤهلة لمعانقة هذه الهدية بقلبي وروحي قبل جسدي، أنتِ حقا شيء قَيّم في حياتي، إني ممتنة كل الامتنان للسماء وللقدر الذي وضعك في طريقي ذلك اليوم.

لطالما كنت أحتفل بعيد ميلادي في يوم لقائنا، لقد بدأت هذه العادة بعد فراقنا بسنتين، أخبرتني أمي عن تاريخ ذلك اليوم، كانت تضحك وهي تقول: إن يوم لقائك بصديقتك ميغان هو يوم ولدتي فيه من جديد، إنه يوم تحولك، يوم اكتسبت فيه الشراهة نحو الحياة، ولطالما كانت تدعو لكِ ومعها كانت روحي تقول آمين, بكل يقين العالم.

ثانيا- لقد تبددت حيرتي ومخاوفي يا ميغان، الشيء عال القيمة الذي سأمنحه لكِ لم يعد يثقلني، لقد شعرت بكامل الاطمئنان والرضا وأنا أفكر فيك بذلك العمق، سواءً لاقت رسالتي استحسانكِ أم لا، أمسكتي يدي أم نبذتها، تصالحتِ معي أم واصلت هجرك لي، الأمر سيان

عندي، ستظلين حبيبتي وشقيقتي، في النهاية لا يمكنني أن أهديك شيئا ذا بال، فلقد وهبتك قلبي وإخلاصي منذ طفولتنا، وهو كل ما أملك وهو كل ما تستحقين، بربك ماذا سأهديك الآن وبعد كل هذا، لا شيء أجمل من أن أعبر لك عن مقدار حبي، فهو أغلى من أي هدية مادية كانت أو معنوية، تحمل قيمة حقيقية أو رمزية، ومع ذلك يا ميغان، هل تسمحين أن أهديك قلبي من جديد، وفي كل لحظة ومع كل لقاء.

ثالثا- ما أشد لهفتي عليكِ يا ميغان، كنت أرى في عينيك بريق عيني الأم والأخت الكبرى، ولقد حان الوقت لأكون الأخت الصغرى، أريد أن أبوح لك بأسرار قلبي، أريد الشعور بالأمان كما كنت معك دائما، أريد لمستك في أعماق روحي لتتوهج، لست ضعيفة يا ميغان, أنا فقط أحتاج فسحة, وأنت فسحة بحجم الكون، لقد جئتِ من خلف الشمس تنثرين في قلبي تربة القمر وغبار النجوم.

ختاما- حيث ما كنتِ الآن أتمنى أن تكوني بخير، بخير بطريقتك وبطريقتي، من زاويتك ومن زاويتي، فلقد تعلمت منذ صغرنا يا غاليتي أننا نكمل بعضنا بطريقة ما، طريقة تشبعني وتشعرني أن الكمال لا يكون إلا إذا كنا معا، نحن زاويتا النظر المتناظرتين للشيء الواحد، ما

يسمح بتجلي صورة الحقيقية بكامل بهائها، هذا ما أريده؛ أن تكوني بخير بطريقتي وبطريقتك فإحداهما لا تغني عن الآخرى يا ميغان.

المُخلصة والمُحبة روبيكا.

رودريغو: إذا سمحت برأيي فالرسالة رائعة ومؤثرة.

روبيكا: يسعدني سماع هذا.

فاصل غنائي بعد مغادرة الضيف.

رودريغو: ننتقل الآن إلى تلقي الاتصالات، نستقبل أول اتصال

المتصل: مرحبا رودريغو أنا ميغان.

رودريغو: أهلا ميغان سرنا اتصالك، هل هناك شيء تودين قوله.

ميغان:

أريد أن أقول لضيفتك التي تسكن قلبي أنني تلقيت هديتها قبل قليل، وهي عبارة عن فونوغراف عتيق وأسطوانة فيها الأغنية والرسالة معا لقد استمعت للتسجيل وأنا أبكي لم أكن أعلم أنك ستتأثرين كل هذا التأثر يا روبيكا بسبب هذا الخلاف العارض.

رودريغو: تعلمين أنها غادرت المحطة أثناء الفاصل، لم تستطع البقاء.

ميغان: الأمر مؤسف كنت أريد أن أكلمها بشكل مباشر.

رودريغو : قولي ما لديك ستسمعك أو سيبلغها أحدهم.ميغان: روبيكا صديقتي وتوأم روحي وأختي

الصغرى أنا أحبك جدا جدا جدا، لا أعلم أين أنتِ الآن، وإذا كنت تسمعينني أو يسمعني من يمكنه أن يبلغكِ كلامي، فأنا أريدك أن تحضري الحفلة مع كاتب الرسالة وكل من تختارين من الأصدقاء، أرجوك روبيكا أنا أنتظرك أنا بحاجة إليك، الحفلة ستبدأ وأريدك أن تكوني هنا معي.

كانت روبيكا قد وصلت دون شعور منها إلى المكتبة أوقفت سيارتها، اتصلت بماريانا على الهاتف.

روبيكا: أنا بحاجة إليك يا ماريانا.

ماريانا: هل يمكنك المجيء؟ أين أنت الآن تحديدا؟

روبيكا: أريد ذلك حقا يا ماريانا، أنا أمام مبنى المكتبة.

ماريانا: سأرسل لك العنوان، أحضري معك بونيفاسيو وكارل، هما في غرفة أعلى بناية المكتبة.

كانت ماريانا مع آنا ماريا تنتظران قدوم روبيكا وبونيفاسيو وكارل على أحر من الجمر، ليحكيا لها ما قالته ميغان عبر اتصالها بالإذاعة، دخلت روبيكا وهي تبكي لتعانقها ماريانا وآنا ماريا.

روبيكا: أشكركم على دعمكم أنتم حقا أصدقائي.

ماريانا: عزيزتي روبيكا، لقد اتصلت ميغان بالمحطة بعد رحيلك، ولقد عبرت عن حبها لك، لقد طلبت منك حضور حفلتها، لأنها لا تعني شيئا إذا غبتِ عنها، ثم إنها طلبت حضور بونيفاسيو وكل من تريدين من أصدقائك

روبيكا: حسنا سنذهب جميعا إلى الحفلة.

الحفلة

دخل بونيفاسيو وكارل يحملان القيتار ويعزفان أغنية كتبها ولحنها كارل على السريع وعزفا عليها معا.

من خلف الشمس جئتِ ذلك اليوم

تحملين تربة القمر وغبار النجوم

أسعدني وهجك والضياء

كانت رحلة بين الكواكب في لحظات

أسعدني معك السفر

أسعدني رسم وجهك على لوحتك

لأنني أعرف إنها ستشرق وتسبي عيون الجميع

ابقي معي صديقتي إلى الأبد

علميني معنى الخلود

علميني معنى العيش بسعادة.

كانت ميغان وروبيكا يتعانقان طوال الأغنية، لقد صفق الجميع بحرارة بعد انتهائها، على صوت التصفيق والصفير جدا بما لا يمكن معه سماع كلمة.

ميغان تمسك بيد روبيكا ليقطعا قالب الحلوى معا، تم الانتهاء سريعا ثم فتحت الهدايا، وانتهى الحفل بتصالح روبيكا مع ميغان, وعادت المياه لمجاريها كما تمنت روبيكا.

الفصل السادس - المسرحية

دخلت آنا ماريا المكتبة وهي تشعر بالإحباط ، جلست بالقرب من ماريانا، وغرقت في التفكير ثم فجأة نظرت إليها وأطالت النظر.

- يفترض أن كل شيء كان محسوبا حسابه، فكيف أخفقت في نيل الدور؟ تتساءل آنّا ماريا بحسرة.

- سأتدبر لك فرصة بطريقة ما، لكن عليك أن تحسني استغلالها. قالت ماريانا.

- ماريانا تعلمين أنني ولدت مستعدة، أنا فقط بحاجة إلى فرصة، فقط فرصة واحدة ، قالت آنا ماريا.

تعالي عند الخامسة مساءً وسأتصرف، قالت ماريانا.

اتفقنا, قالت آنا ماريا.

في الموعد كانت آنا ماريا تنتظر ماريانا لتغلق المكتبة، وهي في أشد اللهفة لمعرفة ما الذي ستفعله ماريانا.

- اتبعيني آنا ماريا، قالت ماريانا .

توقفت ماريانا عند كارل وبونيفاسيو وهما في الطريق يعزفان الألحان العذبة، بعض الناس حولهما يسمعون الشجن النقي ويستمتعون، يقترب بونيفاسيو من ماريانا بعد أن غدت في الصفوف الأولى، يحمل تلك القيثارة القديمة ويفتق بها الأسماع.

آنا ماريا من غير انتباه : الوغد ماهر حقا.

ماريانا: نعم الوغد ماهر جدا، إنه خامة تحتاج إلى الصقل.

توجه بونيفاسيو نحوها بعزفه وغنائه:

أيتها السيدة الغامضة

اسمعي كلماتي اللطيفة

افتحي الأقفال وأقبِلي نحوي بروحك

سنبلغ أفق الحب والسعادة معا

لا تكثري التفكير والتأمل

سيدتي إن الوقت يمضي سريعا

دعينا نبقي أثرا خالدا للأجيال.

- مرحبا ماريانا، مرحبا آنا ماريا قال كارل.
- مرحبا مرحبا.
- بونيفاسيو هل انتهى عملكما ؟ تسأل ماريانا.
- نعم يكفي الغناء لهذا اليوم، أجاب بونيفاسيو.
- يجب أن نجتمع لأمر ضروري، قالت ماريانا.
- ليكن يا ماريانا، قال بونيفاسيو.

اجتمع الأربعة كارل وبونيفاسيو وآنّا ماريا وماريانا في منزل الأخيرتين، أخبرتهم ماريانا عن رغبتها في عرض مسرحية لهذه الليلة، وتابعت أنها من أكبر المسرحيات الكلاسيكية التي حظيت بالاهتمام، قراءةً وترجمةً أو عرضا على المسارح، فلقد نالت وافر الحظ من الكتابة والنقاش والنقد من النقاد وحتى المفكرين والأدباء، وقد رحب الجميع بالفكرة.

- إنها مسرحية أنتغون، وستشاهدون نسختها الفرنسية قالت مارينا.
- أعرفها إنها مسرحية تراجيدية للمؤلف المسرحي اليوناني سوفوكليس، تصور صراع متعدد الجوانب، عرضت أنتجوني أول مرة عام 441 ق.م على مسرح ديونيسوس جنوب الأكروبوليس، حيث جلس المشاهدين علي مدرجات من الحجر تواجه دائرة من الحجر تسمي الأوركسترا، قالت آنا ماريا.
- ينبغي عليك الكتابة عن تاريخ المسرح والسينما يا آنا ماريا ردت ماريانا.
- لست ضليعا بالمسرح لكني أعتقد أن المسرحية تعتمد على الصوت والأداء والفكرة التي تمثل روح المسرحية، على كل حال بعد مشاهدة المسرحية سنتحدث، قال بونيفاسيو.
- يرى أرسطو في كتابه فن الشعر وأنا اقتبس " متعة الجمهور في العرض المسرحي توجد في القصة مع اللغة بالإضافة إلى جمال الإلقاء والموسيقى الشعرية والإيقاع وأثر المنظر مع الأداء " أضافت آنا ماريا.
- حسنا الصوت والأداء تملكه آنا ماريا والفكرة ستكون فكرتك، عليك كتابة مسرحية أو حوار مسرحي بسيط لها، وأرجو أن يكون هذا سريعا، قالت ماريانا.

لكني لم اكتب مسرحيات من قبل، أخشى أن تكون ضعيفة وهزيلة، يا ماريانا، قال بونيفاسيو.
- كارل - بونيفاسيو اسمعاني جيدا، بما أنكما تمارسان العزف والغناء في الشارع، فأنتما ممثلان, بل وبارعان، سبق وأخبرتني آنا ماريا أن الملحن الامريكي جون كيج يقول " المسرح يحدث طوال الوقت أينما كان " وعلى هذا بنيت فكرتي أن تكتب يا بونيفاسيو مسرحية مبنية على أربع شخصيات وسنقوم بتمثيلها جميعا دعما لآنا ماريا، هل توافقان على الفكرة، قالت ماريانا.
- هناك المسرح الحر وكذلك مسرح الهواء الطلق يمكنك يا آنا ماريا البدء من هناك، فكلاهما يقبل المبتدئين كُتابا وممثلين، لا يهم أن تكون محترفا أو موهوبا فقط عليك بجانب ما تحوزه لترتكز عليه وتقنع الجمهور، وقد سبق لي أن شاركت فيه بأدائي الموسيقي ، قال كارل .
- كم كنت أحلم بالبدء من مسرح غرناطة أعلو خشبته فيصفق الجمهور بحرارة، ذلك المسرح الذي بني عام **1924** في أعلى بناية في سانتا باربرا، قالت آنا ماريا .
- كلاكما مبتدئ، وإن لم تخوضا التجربة العملية من الآن فسيفوتكما القطار، يعني أنه عليكما ترجمة آمالكما لأعمال على أرض الواقع، ردت ماريانا.
صرخ بونيفاسيو بثقة: سأكتبها.

- الليلة يا بونيفاسيو، إذا تقاعست قليلا، فستظل فتى توصيل الطلبات طوال حياتك، أمريكا بلد لا يرحم الضعيف المتقاعس، ما دمت لا تملك قاعدة تستند عليها، فأنت بحاجة إلى مضاعفة المجهود لتفرض وجودك بصفتك كاتب، قالت ماريانا ذلك كأنها تريد زيادة حماس بونيفاسيو.

- ماريانا محقة يا بونيفاسيو, قالت آنا ماريا.

- الكلام موجه لك أنتِ أيضا آنا ماريا, أضافت ماريانا.

- بونيفاسيو أنا أؤمن بك وسيكون شرفا لي أن أمثل في مسرحية تكتبها، إنها تجربة سأخوضها بكامل حضوري، لأنها ستكون أول أعمالك, قال كارل وهو ينظر لبونيفاسيو.

- يرى البعض أن تزايد الاهتمام بهذه المسرحية منذ وصفها الفيلسوف هيجل بأنها من أعظم وأبدع الأعمال التي عرفها العالم قديما وحديثا وأنها من أكثر الأعمال الفنية إشباعا وتفوقا، قالت ماريانا.

- وأزيدك يا ماريانا لقد قال **هيدجر** في حقها " لقد تمكنت هذه المسرحية بما تحويه من صراع متعدد الزوايا أن تضرب علي الوتر الحساس في نفسية المشاهدين بمختلف العصور" لهذا هي الأنسب ليشاهدها بونيفاسيو حتى يكتب نصا جميلا, أضافت آنا ماريا.

بونيفاسيو: لقد تحمست للفكرة، سأشاهد مسرحية **أنتجون** بكل إمعان.
- لا تنسى أن تقرأ بعض ما كتب فيها من نقد ومراجعات، من المؤكد أنك ستستفيد، ستفهمها بشكل أعمق، ما يسمح لك بالمحاكاة بشكل أفضل، قالت ماريانا.
- مادام الباب مفتوح للنصائح، سأسدي إليك نصيحة تعلمتها من الحياة، أسمع يا بونيفاسيو، الكم يولد الكيف، كلما بذلت جهدك في زيادة الإنتاج زادت حظوظك في خلق شيء مبدع ومختلف، لهذا في مضمار الموسيقى أو الكتابة أو أي مضمار آخر أنت تتخلص من أشياء عديدة تعارض هدفك وطموحك بواسطة كثرة التمارين والممارسة وتكتسب أشياء تعزز وصولك ونجاحك، إنها لعبة اكتساب وتخلي، تذكر هذا جيدا، أنت تعيد صياغة نفسك ووعيك وخيالك، أنت تخلق نفسك من جديد, قال كارل.
ماريانا في تحدي: جميعا سنخلق من جديد.
بعد مشاهدة مسرحية إنتجون، أنكب بونيفاسيو على كتابة مسرحيته، أتمها في الليلة الموالية، سماها الحلفاء, طبع منها أربعة نسخ، وأحضرها إلى ماريانا وهو يشعر بالزهو والاغتباط.
- سنتمرن عليها معا يا بونيفاسيو

- أنا متشوق لهذا
- أريد أن أسألك، هل مازلت تكتب في المجلة وتتردد على المكتبة العامة؟
- عزيزتي ماريانا إنه شيء لا ينفك عني مثلما لا أنفك عنه، كما أنني أتعلم الموسيقى والغناء واللحن مع كارل، لقد أتقنت العزف على القيثارة وسأنتقل لآلة موسيقية أخرى.
- ماذا عن كتاب القصائد ولقب كاتب الشهر؟
- أنا أعمل على ذلك بكل قوة.
- حسنا لقد أسعدني سماع هذا، هيا بنا للتمرن على المسرحية.

واصل الجميع التمرن على أداء الأدوار في بيت ماريانا، ومع كثير من الجهد وإرشادات آنا ماريا الحالمة التي تريد أن تصبح ممثلة مشهورة استقام الأمر، وظهر فريق طامح للفوز بجائزة أحسن مسرحية وأحسن أداء، ومع اقتراب الموعد تأهب الجميع لخوض التجربة الجديدة.

جاء موعد عرض المسرحية في الخامس من يوليو على مسرح سانتا باربرا، بعد أن فازت في المسابقة كأحسن نص مسرحي واعد، طلبت ماريانا من بونيفاسيو كاتب المسرحية ومالك حقوقها أن يصرّ على أن يكون فريقه هو الذي يؤديها على خشبة المسرح، مع منح البطولة لآنا

ماريا، فهي موهوبة بـالفطرة، فقـط تحتـاج إلـى أن تخطـو الخطوة الأولى، مع تدوين هذا في العقد مع المخرج.

بطاقة فنية

مسرحيه غنائية

الاسم: الحلفاء

المؤلف: بونيفاسيو رودريغيز

الممثلون:

آنا ماريا تشافيز بدور الملكة كاترينا

بونيفاسيو رودريغيز بدور الخادم إميليو

ماريانا دُومْفِيل بدور الخادمة يوبانكا

كارل طُومْسون بدور المتحدث بانشو

اللغة: الإنجليزية

مكان العرض: مسرح غرناطة " سانتا باربرا- كاليفورنيا"

الجوائز : / / /

أفضل نص مسرحي واعد

أفضل ممثلة / آنّا ماريا تشافيز

عرضت مسرحية الحلفاء على خشبة مسرح غرناطة، وقد كان عرضا مدهشا ومتكامل بمعنى الكلمة، وقف الجمهور مصفقا بحرارة للممثلين وهم يحيونهم بعد الانتهاء.

أراء بعض المشاهدين

- لقد بدأ الزمن الجميل، الـذي لا يخـاف فيـه المبتـدئ مـن الإقدام " بيدرو "
- كنت أنتظر هذا منذ زمن، لهذا سـأتقدم بـنص مسـرحيتي " إلفس "
- روايـة جسـدت علـى خشـبة المسـرح، لقـد حظـرت أول عرض لها وكان الأمر لطيفا حقا " باولو "
- نحتاج إلى لغة بسيطة لا هي عميقة ولا هي شعبية وهذا ما لمسته في المسرحية " كولن "
- بعيدا عن لغة الخشب المسـرحية رائعـة ليسـت مسـرحية بتلك القوة لكنها مقنعة " بول "

أراء بعض النقاد

. مسرحية عادية جدا " إمانويل رجل أكاديمي "
. ذات نزعة لإثبات القدر " ماكسيم ناقد حر "
. هي تشكيلة لطيفة تحتاج إلى تحليل أعمق " خوان كاتـب صحفي و ناقد "
.أداء الممثلـة آنـا ماريـا كـان رائعـا سـأكتب عنهـا مقـالا " أوليانا _صحفية "

الدعوة

بعد انتهاء العرض الناجح للمسرحية، قررت آنا ماريا دعوة أصدقائها للعشاء في أفخم مطعم من مطاعم سانتا باربرا، المطعم صاحب الإطلالة الساحرة على المحيط، حجزت المكان سلفا، بغض النظر عن نتيجة العرض أو ما ستؤول إليها الأمور، قبل العشاء وفي هذا الجو السعيد كانت الفرصة قيمة ليبدؤوا النقاش حول أحلامهم وطموحاتهم، أثر فرحة آنا ماريا بالمسرحية مع كلماتها عنها جر الموضوع بكل زخمه.

- لقد تحقق حلمي الذي راودني منذ كنت فتاة صغيرة، أذكر أنه جاء بنا أستاذ الأدب لمسرح غرناطة، ليحدثنا عن المسرح وتاريخه وعن العروض الكثيرة حيث تولد أول مرة، وفي الأخير عرض لنا مسرحية عطيل إحدى مسرحيات شكسبير المشهورة في صالة العرض السينمائي، لقد راقني الأمر وفتنني، قالت آنا ماريا.

- لقد كنتِ تشقين طريقك نحو قدرك يا عزيزتي، والآن بدأتِ رحلة أخرى، أنتِ الآن في فسحة الحُلم وليس عليك البقاء على الطرف، اتجهي نحو القلب والمركز، ردت عليها ماريانا وهي تمسك يدها كدعم لها.

- كيف ذلك يا ماريانا؟ سأل بونيفاسيو ثم أردف: أريد أن أسمع كلمات أكبر قارئة للكتب في سانتا باربرا إن لم تكن في كل أميركا.

- دعك من المجاملات يا عزيزي، أنا قارئة عادية، قالت ماريانا.
- مادمنا سمعنا السؤال، فهذا يعني أن الإجابة أصبحت تعنينا جميعا، قال كارل.
- حسنا، لنفترض أن آنا ماريا لم تكن تعرف ما الذي تريده في الحياة، ثم اكتشفت أنها تعشق التمثيل والمسرح أو السينما، ثم حاولت جاهدة لتحقق ما تريده وتُشبِع هذا الشغف والرغبة، بعد خوضها أول تجربة لم يكن الأمر بتلك السهولة لقد أحتاج الأمر إلى جرعات مضاعفة من الجهد والإبداع والإرادة لتفرض نفسها في محيطها الجديد والمختلف تماما عن محيطها السابق الخالي من المنافسة الشرسة، أجابت ماريانا.
- يعني أن آنا ماريا دخلت للتو في مرحلة جديدة بظروف مختلفة وقواعد مختلفة، لهذا عليها الانتباه جيدا ثم مضاعفة المجهود وتجديد شغفها، قال بونيفاسيو ردا على ماريانا.
- يجب أن يكون هذا الحديث مثمرا، أنه يمثل المسافة بيننا وبين أحلامنا، قال كارل.
- أرغب في العديد من الأشياء، لكني لم أرد يوما شيئا محددا، قال بونيفاسيو.
قالت ماريانا: الكثيرون هم من نجحوا من غير وعي منهم، لقد حازوا أدوات النجاح، وهيئوا أسبابه بشكل سلس وتلقائي، العملية هنا معقدة جدا بالنسبة لغيرهم، أولائك

كان يكفيهم الاستيقاظ صباحا ليبهروا العالم، إنهم يفعلون أشياء ويطبقون تقنيات اكتسبوها في مراحل متقدمة من مسيرتهم، فلقد تعززت وتآلفت بعضها ببعض لينجحوا في مجال ما انعكس إيجابيا على عدة جوانب من حياتهم، إذا كان الفقير يخرج صباحا بحثا عن قوت يومه، فهم تجازوا هذه المرحلة، هم فقط يبدعون في شيء ما، وهذا الشيء يتكفل في بتلبية جميع متطلباتهم واحتياجاتهم التي يشقى الآخرون في توفيرها، هذا الإبداع والجهد الذي يشبع شغفهم يحقق لهم الأمن المادي والاجتماعي والرفاهية والشهرة والقيمة وغيرها، لهذا ليس لهم مشاكل في جزئيات الحياة، ربما بعضهم له مشكلة مع الحياة ذاتها لأنها بالكلية لم تعد تشبعهم فيكتئبون، وهؤلاء مشكلتهم سهلة لو كانوا يعلمون، مثل من كان يحلم بالصعود لسطح البناية لكنه لا يعلم ما الذي يريده بالصعود وما الذي سيفعله حين ذلك، فلا يجد إلا طريقة واحدة تنهي الكآبة وهي القفز من أعلى هذه البناية التي كان يحلم يوما بارتقائها، بينما لو كان له تصور عن السعادة وتشاركها مع الآخرين والنظر للحياة من زاوية البذل والعطاء لعاش سعيدا.

رد بونيفاسيو: ما يعني أن آنا ماريا أو أي إنسان آخر في مرحلة ما كان لا يعرف ما يريد ويفترض أن يرتكز همه على البحث عن شغفه في الحياة، ثم ينتقل إلى مرحلة

يعرف ما يريد، وهي المرحلة التي يحاول جاهدا اكتساب الأدوات والوسائل والمهارات اللازمة لبلوغ هذا المراد، ثم ينتقل إلى مرحلة ثالثة يفعل ما يريد، وعليه الآن أن ينافس ويبدع ليحافظ على مكاسبه ويذهب بشغفه بعيدا حيث لم يذهب أحد، وهذه المراحل هي مراحل النجاح، المؤسف يا ماريانا أني مازلت عالقا في المرحلة الأولى لا أعرف ما الذي أريده بالضبط.

- في المرحلة الأولى تحتاج إلى نماذج أو قدوة تأسرك لتقليدها، وفي المرحلة الثانية تحتاج إلى جهد ومعرفة، وفي المرحلة الثالثة تحتاج الإنتاج والنوعية فقد تجاوزت مرحلة التجربة والاكتساب والكم، وأنت قُبالة مرحلة الكيف والنوعية والاختلاف والتميز والإبداع وربما التفوق على الجميع، أضاف كارل.

- سيكون عليك أن تحاول أن تكون شيئا ما وإلا سيمضي عمرك وأنت شيء على الهامش، شيء جعلته الظروف على الجانب، شيء لا يحمل قيمة كبيرة، بالنسبة لمعترك المجتمع، عليك أن تكون شخصا يصنع الأحداث لا أن يتأثر بها فقط، قالت ماريانا ذلك وهي تنظر إلى بونيفاسيو بجدية.

- في فلسفتي في الحياة، أؤمن بالدعم والتشجيع، فكل شخص فعل شيئا مهما كان مريعا ووضيعا، سيتحسن الأداء مع الوقت، من نحن لنقف في طريقه ونحكم عليه

بقولنا أن هذا العمل مريع، لهذا أرى أن البيئة الداعمة مهمة جدا في انطلاقتنا، ثم إننا في عصر الكل فيه مهزوم نفسيا وهش من الداخل، والكلمات قد تدفن أحلاما كانت ستولد جميلة على الواقع, لولا تلك الكلمات القاسية من شخص مستهتر غير مسؤول قرر أنك لا تستطيع فعل ما ترغب فيه، أو أنك فضيع في الأداء، نحن لا نحمل صاحب الكلمات المسؤولية وحده وعلى كل راغب في خوض مسلك ما أو تجربة أو فكرة أو مشروع أن يستعد ليسمع هكذا كلمات, ولا يبالي بها، بل يهيئ نفسه لرفضها والإيمان بنفسه، قال كارل.

- كيف أفرق بين من يريد إحباطي وبين من هو صادق معي؟ سأل بونيفاسيو.

- ليست القضية قضية صدق من عدمه، فقد يسيء إليك الصادق، وقد ينفعك الحاقد، إنها قضية نوع شخصيته، فهو يتعامل معك بما هو موجود في أعماقه ووعيه، أجابه كارل.

- أنا في حياتي تعرضت للكثير من هذه الكلمات التي تثير الإحباط, رد بونيفاسيو.

- التفريق سهل، إذا جاءك من يريد ثني عزمك عما تريد فهذا شخص سلبي ضيق الأفق، فهو لا يعلم ما اختمر في أعماقك حتى ظهرت هذه الرغبة في ذهنك، هو لا يعلم كيف ولدت هذه الرغبة ولا كيف سَتمنحك الكمال الذي

تريده بطريقة ما، الحقيقة أنه يقيسك على نفسه وعلى حدود معارفه وتجاربه، وعلى الأغلب ليست بذلك الثراء، اجعلها قاعدة ثابتة لديك من جاءك وحاول تقديم الإضافة أو تحسين أدائك أو مساعدتك أو تشجيعك فهو المنشود الذي يعزز ثقتك بنفسك، ويدعمك لتحقيق ذلك الشيء الذي ترغب فيه, لأن نظره ارتكز على أدائك وأراد تحسينه حسب خبرته، وفي المجمل هو شخص بحث معك عن أنسب السبل للوصول لما تريد والنجاح، ما يعني أنه واسع الأفق, إيجابي التفكير, فهو شخص لا يرى في العوائق موانع بل فرص للتحدي والنمو، أما من حكم عليك وقال توقف أو أنك مريع, أو لا تستطيع وشَخْصن القضية، فعليك أن تنظف ذهنك من رواسب أفكاره فهي سم خطير قد يدمر شخصيتك، أجاب كارل.

- كيف أكتسب ذلك يا كارل؟ سأل بونيفاسيو.

- لو ظللت طوال حياتي أحدثك عن الموسيقى, فهل ستتعلم الموسيقى، طبعا لا، لكن إن مارست الموسيقى فستتعلم الموسيقي, ولو كنت تعيش في قمة جبل وحيدا، الحركات والخطوات التي تؤديها ما أن تمسك الساكسفون أو القيثارة أول مرة محدودة جدا, بل حتى مضحكة لكنها ستتطور مع تعدد المحاولات وتتطور إلى الأفضل دائما، وتتقدم بعزفك بشكل ملحوظ في الكثير من الأشياء في لمستك، نفخك وأناملك، بواسطة أذنك التي تسمع بها

ستجرب ثم تعدل في التقنيات والحركات، وهكذا حتى تصل للعزف المناسب, العزف الذي يرضيك، سيتطور ذوقك مع التجربة لتغدو أذنك أذن موسيقية وأناملك ذهبية، وهذا سر من أسرار الموسيقى يا بونيفاسيو فأنت العازف وأنت جميع السامعين، أجابه كارل.

- لقد دخلت يا بونيفاسيو في معترك الممارسة والمنافسة، أنت تكتب، وعملك على كتاب لكلماتك وأغانيك وبدايتك الموفقة بمسرحية ناجحة، وخوضك لتجربة الموسيقى مع كارل، كلها أشياء حددت معالم مستقبلك، ستغدو كاتبا كبيرا أو موسيقيا بارعا، قالت ماريانا بنبرة تفاؤل ثم أضافت.

- لأن شخص ما كان يحلم بالطيران، وشخص آخر حاول الطيران، ظهر علم جديد اسمه علم الطيران تبعه طوفان من الاكتشافات والعلوم والمعارف، وأصبح بوسع الإنسان الانتقال من قارة إلى قارة في غضون ساعات، بل تعدى الأمر إلى غزو الفضاء، لقد بدأ الأمر بحلم مستحيل وغدا معجزة معقدة تعيشها البشرية اليوم كمسلمات لا نقاش فيها.

الأحلام ضرورية للنمو، الله أعلم بسر المخيلة التي تجعلنا نرى أشياء غير موجودة فنجسدها بعد الكثير من المثابرة والسعي, قال بونيفاسيو.

تتمة لموضوعي, أرأيت كيف تؤثر فيك كلمات الآخرين بينما لا تؤثر فيك كلماتك أنت، أعماقك تتفاعل مع كلماتهم على عكسك كلماتك أنت، تلك الحالة هي سبب من الأسباب المهمة في ضعفك وعجزك، لو حصل وكان العكس كنت لتكون تملك تلك القوة التي لا حدود لتأثيرها وهذا ما عليك القلق بشأنه والعمل عليه، أن تعزز داخلك وتكون على درجة من الوعي فتنتبه لهذا, وتستفيد منه، ثق بصوتك الداخلي يا بونيفاسيو، وأضيف لك وهذا مهم جدا: **مع الوقت ستعرف أن هناك حدود للحظ والموهبة، فقط عند تلك الحدود ستعي أن الاجتهاد هو اليد الطويلة نحو الأحلام,** قال كارل.

لنتناول العشاء الآن ثم لاحقا سنفعل شيئا حيال مستقبلنا قالت آنا ماريا وهي تضحك.

ضيوف الإذاعة

رودريغو: مرحبا يا سكان سانتا باربرا، إذاعة سانتا باربرا تتمنى لكم أمسية جميلة رفقة برامجنا المتنوعة أنتم الآن في برنامجكم ضيف مميز، وباسمكم جميعا أرحب بضيوفي الأفاضل في هذا البرنامج.

فاصل موسيقي.

رودريغو: شهدت مدينتا العظيمة حدثا مميزا في الآونة الأخيرة وهو عرض مسرحية الحلفاء التي كتبت هنا وجميع الممثلين والأطقم مع الإخراج كانوا من سكان

المدينة، ليكون العرض في مسرح غرناطة الجميل، كان حدثا استثنائيا والجميل أن جميع الوجوه التي اعتلت المسرح كانت تخوض أول تجربة لها على الخشبة.

أرحب بأول ضيوفي وهو بونيفاسيو رودريغيز الكاتب والموسيقي المبتدى الذي أبهر الجميع بنص مسرحيته وحتى تقمصه لدور إميليو في المسرحية الحلفاء.
بونيفاسيو: أهلا وسهلا رودريغو، اتشرف بنزولي ضيفا في برنامجك سيد رودريغو.
رودريغو: الشرف لي سيد رودريغيز، أول سؤال سيكون عن تجربك في الكتابة، كيف بدأ الأمر؟
بونيفاسيو: الحقيقة لم يكن الأمر بذلك التعقيد، في البدايات يميل الجميع للكتابة عن الحب، لأنه أمر لطيف ومحبب للنفس وكما تعلم أن الجميع خاض تجربة الحب في المراهقة، لهذا لا يقف الكاتب أمام هاجس الإتقان أو رضا القراء, هو يكتب لنفسه أكثر منه يكتب لغيره.
رودريغو: ماذا عن المسرحية لقد كانت شيئا فيه التزامات وكم هائل من الأفكار والكلمات أو أدوار مع تقمص شخصيات يخلقها الكاتب بمخيلته قبل أن يصوغها في سطوره، كيف نجح الأمر معك مع أنها أول مرة تكتب فيها.

بونيفاسيو: أولا بهذه المناسبة أود أن أشكر صديقتي ماريانا دومفيل, لقد كانت ملهمة وداعمة بشكل لا يمكن تصديقه، لقد آمنت بي وبقلمي، أما بخصوص سؤالك فالأمر يبدأ بنقطة محددة , ومن ثم تبدأ الأفكار في التوارد والتراكم، فالأفكار بطبيعتها تتوالد، وكل فكرة تستدعي فكرة أخرى ثم تأخذ الأمور منحا تصاعديا حتى تفتر بعد حل العقدة، إنك فقط تحتاج إلى بعض اللمسات أو التوجيه الواعي، غير ذلك تشعر أن الأمر كان محفورا في ذاكرتك.

رودريغو: هل كانت ماريانا حافزا قويا لخوضك الكتابة والموسيقى والتمثيل؟

بونيفاسيو: لقد أعطتني ورقة وقلم وقالت أكتب: الكاتب والروائي والقاص والمسرحي والسيناريست والموسيقي والملحن بونيفاسيو رودريغيز الذي جاء من ترينيداد وتوباغو ليكون إنسانا آخر على الأراضي الأمريكية، كَتَبت هذه الكلمات ثم نظرت لها فقالت " اقرأها كل صباح وفي كل مساء عندما تخلد للنوم، والأهم من ذلك آمن بها.

رودريغو: سنستضيف ماريانا لاحقا، ومن جهتي أنا أرشحها لنيل لقب شخصية العام الثقافية، لأن من يعملون في الخفاء كثيرون جدا وهم يستحقون الحفاوة الكبيرة.

فاصل موسيقي

رودريغو: هل لك مشاريع أخرى تلوح في الأفق؟
بونيفاسيو: أفكر في كتابة رواية، أنا الآن أتممت ديوان شعر وكتاب رسائل، مع محاولة الإلمام بالموسيقى قدر الإمكان مع صديقي ومعلمي كارل ، والذي أحييه من منبركم هذا.
رودريغو: انتقل الآن إلى الضيفة والرائعة والمميزة آنا ماريا صاحبة دور الملكة كاترينا، أهلا وسهلا بك.
آنا ماريا: رودريغو اللطيف، كنت أتمنى حضور برنامجك الشعبي منذ زمن، كيف لا وقد نزل عندك كبار وعمالقة الشاشة وخشبة المسرح.
رودريغو: كيف بدأ الأمر سيدة آنا ماريا؟
آنا ماريا: في يوم من الأيام تمنت فتاة صغيرة من أمام خشبة المسرح أن تقف وتؤدي دورا ما، دورا تخيلته بوضوح شديد، فأصبح هاجسها الذي كانت على استعداد أن تنفق عليه سنين عمرها، لقد تحقق الأمر بفضل أصدقائي الذين كانوا داعمين بشكل لافت.
رودريغو: هل واجهت صعوبات في طريقك لخشبة المسرح؟
آنا ماريا: أي مبتدئ أو هاوي عليه أن يفرض نفسه، ليس الأمر سهلا، لكنه تحدي يجب المراهنة عليه، في بدايتك تضاعف المجهود وعلى عدة جبهات هذا شيء مرهق، ثم

جاءت المسرحية كطوق نجاة واختصار لمسافة طويلة كان علي خوضها.
رودريغو : كيف تتعدد الجبهات للمبتدئ بشكل عام، يهم المستمعين معرفة هذا؟
آنا ماريا: مثل صديقتي ماريانا اليوم هي نجمة في السوشل ميديا، لكن كيف بدأ الأمر؟ لقد كان عليها أن تكون المخرج ومعد البرنامج والمقدم ومهندس الديكور والإضاءة وتقني الصوت، وسيكون عليها عبء تقني كبير، حتى أنها في بدايتها كانت قد صنعت الكاشف الضوئي بأدوات بسيطة، لقد كنت شاهدة على الأمر فأنا شريكتها في السكن منذ بدايتها المتواضعة حتى الاحتراف، نفس الأمر انطبق علي وعلى الكثيرين، نحاول بذل جهد كبير للإقناع، وضبط التشكيلة للنجاح ومضاعفة الجهد في التدريب، ثم يكون مصيرنا الرفض الذي يخيب الآمال، لكن يمكنك أن تقول إن ماريانا وبونيفاسيو كانا سببا مباشرا في نيل دور البطولة الذي كنت بحاجة له لتبدأ مسيرتي الرسمية كممثلة.
رودريغو: هذا أمر مبشر بشأن العلاقات والصداقات المثمرة.
آنا ماريا : أؤكد على ذلك، أدعوا كل شخص أن يدعم أصدقاءه فهذا أمر مهم جدا.

رودريغو: أعزائي المستمعين، لا تناموا الليلة المخرج يعد مفاجئة.

فاصل موسيقي

رودريغو: أتلقى الآن إتصال من ميغان، الجميع يعلم من هي ميغان، سبق وذكر اسمها على موجات إذاعتنا التي تغوص في أوصال المجتمع.

ميغان: مرحبا رودريغو أهنئك على برنامجك الشيق.

رودريغو: مرحبا ميغان، العفو العفو.

ميغان: أود أقرأ عليك وعلى جمهورك العريض رسالة رد على صديقتي روبيكا التي حلت ضيفة عندك سابقا، إذا سمحت طبعا, أنت وضيفوك الأكارم.

رودريغو: تفضلي ميغان الجميع يسمعك.

ميغان: حسنا.

في البداية أود التنويه أني قد لجأت لنفس الكاتب لتكون كلماتي على نفس ذبذبات كلماتك حتى يقع نفس التأثير وتكتب بنفس الروعة.

صديقتي؛ أختي؛ توأمي؛ العزيزة روبيكا

قرأت رسالتك من مكتوبك الذي أرسلته لي مع الهدية، ثم سمعتها بصوتك على أسطوانة الفونوغراف ثم على أمواج الإذاعة، وإن كنت التقيتك وعبرت لكِ عن مدى سعادتي بالرسالة وفحواها الذي كانت تحتاج أعماقي

لسماعه، فلقد عانق روحي كلُ حرف منها، إلا أنني استشعرت ضرورة الرد عليك بكتابة رسالة أخرى، هذا ما حصل في جانبي العاطفي، فمن الغريب أن تبقى رسالة يتيمة من غير رد رغم أنها كانت بالغة التأثير.

إنها من ذلك النوع الذي يفرض علينا الإجابة بسبب ما تحمله وتصوره من أحاسيس دافئة وصادقة، ثم إنها رسالة سمعها كثير من الناس على أمواج الإذاعة، وبالتالي أصبح من حقهم علينا أن يسمعوا ردا شافيا مني، يليق بمستوى ذوقهم الرفيع.

عزيزتي روبيكا
أنت نعمة الحلول الوسطية التي تدفن الخلافات وترضي الطرفين، أذكر جيدا كيف كنتِ تجِيدين ذلك وتبرعين فيه، لقد تعلمت ذلك منك، حتى أنك قمعت تلك الرؤية الأحادية من جانبي وفي تصوراتي، والتي كانت تمنع انطلاق رحلة الانفتاح.
كنت أتعلم منك ومن خِلالك تلك البساطة والتعقيد معا والذَينِ تحوزينهما معا، السطحية والعمق اللذان يحتاجهما كل إنسان، المنتصف بين المخاطرة والحذر، المنتصف بين الحركة والسكون، لقد استوعبت ذلك

الرواق الآمن الذي يمثل الحياة المستقرة، ولقد كنتِ كل ذلك بجدارة واستحقاق.
كنتِ دائما أرضيتي الصلبة التي أقف عليها بكامل اتزاني وكامل جموحي المضبوط بنظراتك الثاقبة، وشموخي الذي يطاول السماء، والحقيقة أنك السماء ونجومها والقمر والشمس وكل حاجياتي في الطفولة والمراهقة وإلى هذه اللحظة.

ما أجمل الاعتراف بالحب وما أجمل الصداقة بين متحابين، أنا أعترف لك بهذا الآن للمرة العاشرة، أول مرة كانت بعد لقائنا بشهرين على ما أذكر، عندما تعرضت للخذلان، ومرة قلنا الكلمة التي تعبر عن ذلك في نفس الوقت أتذكرين؟ والثالثة في ساحة المدرسة يوم ذكرى ميلادك المجيد، والخمس المرات الأخرى في الجامعة، والتاسعة يوم عيد ميلادي السابق والعاشرة أقولها لك الآن أحبك يا روبيكا.

كنا وسنظل كفلقتي البذرة نفسها، فلا غنى لواحدة منا عن الأخرى، ولن يخرجا فوق الأرض نبتة إلا بهما وبجهدهما معا، نحن الجانبين للشيء ذاته، لطالما كنا كذلك.

لا يسعني الآن إلا أن أتمنى أمنيـة وهـي أن تكـوني دائمـا على مقربة مني، ألجـئ إليـك فـي الرخـاء والشـدة، حـين أحب أن أتشارك الفرح أو أن اخفف وطأة الحـزن، دمـتِ رفيقة دربي الذي نبصره معا، الدرب الذي أجمـل مـا فيـه أنتِ.

توقيع المخلصة ميغان.

رودريغو: الرسالة رائعة يا ميغان هل أنتِ معي؟
ميغان: نعم أسمعك وأتمنى أن تكون روبيكا قد سمعتها.
رودريغو: آمل ذلك .

فاصل موسيقى

رودريغو: عودة إلى ضيفاي بونيفاسيو وآنـا ماريـا لمزيـد من الحديث عن الطموحات والطريق إليها، هل يمكـن أن تحكي عن تجربة كتابة الرسالة؟
بونيفاسيو: الأمر سهل جدا دع أعماقك تتكلم لا تحـاول أن تتدخل هذا سر الرسائل، يمكنك توجيه بعض الأسئلة علـى نفسك أو من تكتب باسمهم، ومن إجاباتهم يمكنك صـياغة جمل تعبر عنهم وتحمل مشاعرهم.
رودريغو: هل يمكن أن نسمع بعض هذه الأسئلة؟
بونيفاسيو: مثلا متى التقيتما، أبرز الأحداث التي جمعتكما، هل تخططون لشيء ما، إلى أي مدى تحبان بعضكما، أي مدى يمكنكمـا التضـحية لبعضـكما الـبعض، أسـئلة أخـرى تستطيع أن تحدد بواسـطتها هـل صـداقتهما عميقـة جـدا أم

هي مجرد رفقة، أسئلة من هذا النوع، بواسطة امتلاكك لتصور عن الصداقة مثلا تستطيع صياغة الأسئلة.

رودريغو: عظيم

فاصل موسيقى

رودريغو: ننتقل إلى الضيفة آنا ماريا، لو لم تحب آنا ماريا التمثيل فماذا كانت ستحب أو ماذا كانت لتفعل؟

آنا ماريا: كنت لأكون صحفية، قالت ذلك هي تضحك.

رودريغو : هذا شيء عظيم، مارسيها كهواية، قد تحتاجين أداء دور صحفية بل هذا مؤكد.

فاصل موسيقى

رودريغو: سيداتي وسادتي، نشكركم على حسن إصغائكم وأشكر ضيفاي الكريمين على تلبية دعوتنا، أمسية ممتعة شكرا.

استمرت المسرحية في العرض مع طاقم آخر بعد شراء حقوقها في جولة ببعض الولايات أبرزها كاليفورنيا، وكارولينا والعاصمة واشنطن، وبعض الدول أهمها اسبانيا، الأرجنتين، المكسيك, فنزويلا، ألمانيا، كتب للمسرحية النجاح بعد أن طُلب من بونيفاسيو تنقيحها وإثرائها، أما الممثلين فقد كان لآنّا ماريا أكبر الفائدة التي تلقت عرضا مغريا للمشاركة في بطولة فيلم سينمائي.

عنـدما تلقـت آنّـا ماريـا عـرض أداء دور مهـم فـي فـيلم سينمائي، أزمعت الرحيـل عـن سـانتا بـاربرا، وبـدأ حيـاة جديدة في هوليود، فـألقى هـاجس الصـداقة بظلالـه علـى قلبها، وحنّت لحديث دافئ مع ماريانا، ماريانـا التـي تعنـي لها الكثير، الصـديق والمُخَلّص والسند والقوة، والمـرح والسـعادة، مـع ماريانـا كانـت لتتحمـل كـل خيباتهـا بطيـب نفس، لكن وحدها لن تكون إلا شريدة طريدة كبونيفاسيو أو العازف كارل.

ما هذا الحـظ العـاثر الـذي يفرقنـي عـن نفسـي ويفصـلني عنها انفصالا تاما، ثم يسلمها لغـريبين ، ويـرهن نجـاحي بالفراق، هكذا قالت في نفسها، مع أنها لا تحسـدهما علـى هذه الهبة السماوية المتمثلـة فـي ماريانـا، بـل تُبـارك لهمـا ذلـك، فقـد تشـاركت معهمـا الهبـة مـؤخرا وكـان الأمـر يرضيها إلى حد بعيد، عاصفة التفكير هذه كانت تلقي بها إلـى ماريانـا دامعـة العينـين، لتقـيم معهـا طقـوس الـوداع والفـراق، تتمنـى مـن كـل قلبهـا ووجـدانها أن لا تجعـل ماريانا الأمر أصعب مما هو عليه.

- سأغادر المدينة فـي الغـد إلـى حيـث لا أجـدك معـي كـل صباح ولا أجـدك فـي انتظـاري كـل مسـاء، إلـى حيـث لا أسمع صوتك ولا أستمتع برفقتك، إلى حيث لا أجـدك كمـا ينبغي أن يشبعني ذلك ويرضيني، قالت آنا ماريا وعيناها تفيضان دمعا.

- عانقتها ماريانا وقد اغرورقت عيناها بالدموع هي الأخرى، ثم أجلستها إلى جانبها وهي تنظر في عينيها، تريد قول شيء, ولا تقوى عليه، لكنها تمالكت نفسها وحدثتها.
- عزيزتي كان عاما حافلا، ولقد كنتِ أجمل ما فيه، وبلوغك هدفك وأمنيتك أسعد حدث لهذا العام، امضي نحو أحلامك حتى لو كانت خلف الشمس، وسأكون دائما معك حيث ما حللتِ وارتحلتِ، قالت ماريانا بلهجة واثقة.
- يصعب عليا فراقك يا ماريانا، كم يريحني أن بونيفاسيو وكارل سيظلان هنا معك، إنها قسمة غير عادلة أن آخذ أنا نجاحي وأحلامي بينما يأخذانك, قالت آنا ماريا ودموعها تفيض.
- لا شيء في هذه الدنيا يمكنه أن يأخذني منك حبيبتي، سنظل على تواصل، ستمضي الأيام سريعا ونلتقي مجددا وتباعا، ربما هنا أو ربما في مكان آخر، هيا أيتها الحمقاء أمسحي دموعك ولا تجعلي الأمر مأساويا, ردت ماريانا وهي تعانقها.
آمل ذلك، لماذا تصر الحياة على الفراق وكأنه قانون حتمي؟ تتساءل آنا ماريا, بعد أن جففت دموعها.

الحيـاة هكـذا منـذ فجـر التـاريخ، تفـرق بـين الأحبـة والخلان، ليست الرفقة هي المهمـة فـي الحـب أو الصـداقة يا آنا ماريا بل الإخلاص وجميل الذكرى، أجابت ماريانا.
- سأفتقدك كثيرا حبيبتي, قالت آنا ماريا.
-وأنا كذلك حبيبتي، أجابت ماريانا.
في صباح اليوم التالي كان الجميع في المحطة يودعون آنا ماريا، تظهر الفرحة والغبطة جلية على الجميع، باستثناء ماريانا وبونيفاسيو وكارل، كثيرون هم أصدقاء آنـا ماريـا الذين حظروا لتشييعها، فهي الوحيـدة التـي كانـت تعتنـي بتكـوين شـبكة علاقـات وصـداقات واسـعة ووثيقـة فـي محيطها، هذا شيء هي ماهرة فيه إلى حـد بعيـد، غيـر أن علاقتهـا بماريانـا كانـت مختلفـة كانـت تمثـل دور حقيقتهـا الأصـيلة، ثـم يـأتي بونيفاسـيو وكـارل بدرجـة أقـل، كـان الجميع يتمنى لها النجاح بل حتى التَفوق، كانت علامات الاجتهاد والمثابرة تبدو عليها لِكُل من احتك بها من قريب أو من بعيد، مع مرحهـا وخفـة ظلهـا الـذي جعـل الجميـع يحبها.
بالتوفيق يا آنا ماريا بهذه الكلمة ودعها الجميـع ولوحـوا بأيديهم لها وهي تغادر، ثم تفـرق الجميـع بعـد مضـي تلـك اللحظات التي ينظر فيهـا الجميـع إلـى بعضـهم دون قـول كلمة، ما يجعل البعض يلجأ للمزاح مع بعضهم بعضـا أو قـول كلمـات خـارج الموضـوع، حتـى لا يسـود الصـمت

الرهيب بعد مغادرة الشخص الذي اجتمعوا لأجله وتوديعه.
كان كارل قد مضى إلى الشارع الذي يعزف فيه الموسيقى، فهذا شيء لن يتخلى عنه على الأقل على المدى القريب، أما بونيفاسيو فوقف جانبا لينتظر ماريانا ليمضي معها إلى المكتبة.
كانت ماريانا صاحبة الفضل في الكثير من الأشياء على أصدقائها، لم تطلب العون يوما ولا ظهر عليها الاحتياج لأصدقائها، كانت تعطي بسخاء وتمنح بود، هي هكذا تهتم بمن حولها كأنها أمهم، وترعاهم كأنها أبوهم، وهذا ما بدأ يضيق به صدر بونيفاسيو، ليس لأنه لا يريد ذلك، إنما يخشى أن يكون ترتيبه في آخر القائمة من حيث يعتقد أنه في أولها، لكن الأمور مبشرة على ما يبدو، لقد اهتمت بشأن آنا ماريا وخرجت من الحسابات، وعلى الأغلب أن كارل ليس ذلك المنافس الذي قد يرعبه وجوده، لكنه رغب حقا في لعب لعبة المكاسب، فيخرج الجميع رابحا، ما يعزل ماريانا لترتمي في أحضانه، لا بأس ببعض الدهاء إذا كان هذا الدهاء لا يضر أحدا، هكذا قال في نفسه، فاتجه إلى ماريانا في جانبها القَصِي ليحدثها.
- ترى ما بال كارل؟ تساءل بونفاسيو.

- إنها أزمة منتصف العمر يا بونيفاسيو! قالت ماريانا لتضيف ثم إنك صديقه والأدرى بشأنه.
- أزمة منتصف العمر !! إنه لا يملك رفاهية عيش الأزمات، رجل شارف على الأربعين بلا زواج أو أسرة أو أقارب أو بيت أو عمل أو تأمين صحي، حتى أنه رفض أن يشاركني الغرفة أعلى بناية المكتبة، ومع أننا قريبان من بعض فهو لم يبح لي بأي شيء شخصي، رغم أنه رجل رزين و هادئ.
- هل تريد فعل شيء ما حياله ؟ سألت ماريانا.
- أتمنى ذلك ولكني لا أعرف ما الذي عليّ فعله، فهو كتوم نوعا ما، مترفع كأنه مترف إلى أبعد حد، قال بونيفاسيو.
- فقط المثابرة هي التي تقضي على المقاومة، قد يكون رجل خذل في حياته كثيرا، لهذا هو يتجنب الاستجداء وطلب المساعدة فيكتفي ببؤسه لوحده، عليك أن تثابر أكثر لتزيح كل أغشية الغموض، وتعرف ما الذي عليك فعله، وأولها أن يشعر تجاهك بالثقة والأمان، ردت ماريانا.
- ألا يكفي أننا أصدقاء؟ الأصدقاء يدعمون بعضهم, هذا أقل واجباتهم، قال بونيفاسيو.

- لا تظن أبدا أن الغريب هو من يخذلك، الصديق هو من يتكفل بذلك، ثم إن الغريب غريب على كل حال، لكن خذلان الصديق والقريب قاس جدا، قالت ماريانا.
- سأحدثه وليكن ما يكن، ففي النهاية أنا أتقبله في أسوأ أحواله كما فعل معي، وأتمنى أن تساعديني يا ماريانا.
- سأفعل كن متأكدا من ذلك، ثم أني لا أستغرب أي سلوك يصدر من أي كان، وأتعامل مع الجميع حسب تَفَرُّدهم بل حتى غرابتهم، وعليه سأتقبل أن يكون الطريق لإحداث تغيير ما في سلوك أو شخصية أي إنسان طويلا جدا أنا آخذ كل وقتي، قالت ماريانا.
- ما سر طول نفسك في ملاحقة أهدافك ورغباتك يا ماريانا؟
- المكتبة هي السر، عمليات البيع والاستماع إلى شرائح كثيرة من المجتمع يجعلك أطول نفسا وأقل اندهاشا، أنني جربت أن لا أكون صبورة فخسرت كثيرا (أشخاص- فرص-أوقات) ...قالت ماريانا.
- الأمر مشوق لأعرف، كيف حصل الأمر مع بعضهم، يسأل بونيفاسيو.
- حسنا دعك من هذا لكن في طريقنا إلى المكتبة سأحدثك عن أغرب ما سمعته من الزبائن.
- هيا بنا، كلي آذان صاغية، قال بونيفاسيو.

- أول المواقف التي تعد غريبة ومضحكة قد حصلت مع عامل التوصيلات الذي قبلك، لم يمر أسبوع حتى طلب البقاء في المكتبة وأن أقوم أنا بتوصيل الطلبيات فكلانا نعمل بنفس المكان هكذا يكون الأمر عادلا حسبه، أخبرته أن وظيفته توصيل الطلبيات وليس البيع، ثم إنه سيقبض بقشيشا من الزبائن وهذا أفضل له، احتج عند مالك المكتبة فطرده بدوره.

- هذا ما يستحقه، قال بونيفاسيو وضحك.

- لا تقل هذا، لا يوجد إنسان يستحق العقوبة على حماقاته التي لا تضر، ردت ماريانا.

- ماذا عن الزبائن ؟ سأل بونيفاسيو.

- أحدهم جاء مع أربعة من أصدقائه لينتشروا في المكتبة ويقلبوها رأسا على عقب، ثم ابتاع كل الكتب التي اختارها أصدقاؤه، أما هو فلم يختر كتابا واحدا، سألته أن كان يرغب في اختيار كتاب على حسب ذوقه أو ميولاته، فقال إن الأصدقاء نعمة فهم يحملون عنه عناء الاختيار، أجاب.

- أتساءل إن كانوا سيَختارون له زوجةً أيضا، قال بونيفاسيو.

- اطمئن لا توجد امرأة ستقبل بذلك، ثم إنه لن يكون سخيفا لتلك الدرجة، ردت ماريانا.

- على كل حال كنت سأقبل بأن يختار أصدقائي زوجة لي إذا كانت تلك المرأة ذكية و جميلة، أجابها بونيفاسيو.
- أما أنا فأريد أن أكون اختياره هو لا أصدقائه أو أقاربه، لأن الزواج مسألة توافقات معقدة، فلن تغريني البدايات المتشبعة بالبريق والمجاملات أو أي شيء آخر، قالت ماريانا.
- ماريانا عملاقة العلاقات، قال بونيفاسيو.
- أزيدك، أحدهم جاء يريد قصص مكتوبة بالفرنسية، وحسبه أن محاوله تهجئة النصوص بالفرنسية سيعلمه الفرنسية دون الحاجة إلى دورات تعليمية أو كتب مساعدة أو قواميس.
- على الأقل اختار طريقة ما لتعلم شيء يريده، قال بونيفاسيو.
- أحدهم استمر لمدة أسبوع يأتي ويسأل عن كتب فكر باللغة الروسية، عرضت عليه أن تطلبها له مكتبتنا عن طريق الإنترنت لكنه رفض، وعندما ابتعنا له كتابين، جاء بعد أسبوع وما إن علم بوجود كتابين حسب رغبته قال أهنئكم لقد أصبحت مكتبتكم مكتبة متكاملة.
- هذا رجل لن أعلق عليه، سأكتفي بنفيه من ذهني إلى سيبيريا الباردة.
- أنت لم ترى جمال سيبيريا في الربيع والصيف.

- لكنها جحيم في الشتاء، ولن يصمد إلى الربيع.
- سأسرد لك البقية الذين مازلت أذكرهم، أحدهم طلب أن ندمج نشاط بيع الكتاب مع بيع ألبسة الأطفال، بحكم عدم وجود محلات قريبة، وآخر اقترح أن نبيع أقراص مضغوطة CD فقد ولى عهد الكتب, كأن عهد الأقراص المدمجة مازال في أوجه، وآخر اقترح تأجير الكتب، وآخر اقترح أن نشتري الكتب القديمة والمستعملة لأنها رخيصة.
- إنهم مصرون على تحويل المكتبة إلى مسخ يوافق أهواءهم المريضة,قال.
- آخر اقترح أن نؤجر له مكان التخزين الخلفي حتى يتسنى له صناعة الشامبو المقلد أو العطور وطلب منا سلفة لذلك المشروع، قالت ذلك بعد أن ابتسمت لحديثه السابق.
- يعني أنهم يريدون أن تصبح المكتبة مصنع للعطور والشامبو وبنك يقرض أصحاب المشاريع الصغيرة، هذا عجيب.
- انتظر, انتظر لتسمع البقية، أحدهم اقترح تسمية المكتبة بمكتبةGoogle حتى تتبرع لنا الشركة بمليون دولار.
- يريدونها مكتبة شحاذة أيضا.

- لقد تركت لك أغربهم للأخير فاصبر، أحدهم وهو أحد المهووسين بعلم الطاقة قال إن المكان يحمل طاقة سلبية كبيرة وعلينا تغيير مكان النشاط وهدم المبنى.
- و يفقد بونيفاسيو بيته وعمله وتأمينه الصحي يا للبؤس، قال بونيفاسيو.
- أحدهم عرض تبادل المكتبة بموقع إلكتروني يعيد نشر الاقتباسات وكلمات الهواة.
- ماذا حل بعقول الناس أليس فيهم رجل رشيد، تساءل بونيفاسيو.
- الفرص العظيمة تأتي من هؤلاء يا بونيفاسيو، إنهم يحملون رؤى تفوق مستوى بيئتهم النمطية.
- أعرف ذلك يا ماريانا لكن العباقرة والعظماء عمليون، وبعد جهد جهيد يثبت كل واحد منهم للعالم أنه لا يهذى بل هو صاحب رؤية مستقبلية وإنجاز على أرض الواقع.
- أوافقك في هذا، قالت.
- هل هناك آخرين لم تذكريهم بعد؟ سألها.
- مازال هناك، أحدهم عرض علينا تأجير المكتبة له ليبيت فيها, وستكون آمنة لأنه يحرسها مجانا, وهذا ضرب لعصفورين بحجر واحد حسبه طبعا، أحد مجانين الاختراعات عرض فكرة أن يجعل الكتاب يتكلم بواسطة إلصاق ذاكرة وبطارية ومكبر صغير للصوت بالغلاف،

وهذه فكرة عبقرية وثورية حسبه، وتأسف أن الولاية لا تدعم الاختراعات والمخترعين.
- هل يقصد الحمقى والمغفلين أم ماذا؟
- أحدهم عرض شراء واجهة المكتبة بعقد مدته سنة كاملة، ليتسنى له وضع رقم هاتفه ودعوة للمواعدة.
- رجل دعاية وإعلان، قال بونيفاسيو وهو يضحك.
- هو وبعض رفاقه يريدون مواعدة فتيات قارئات للكتب، فحسبه أن الفتاة السطحية لا ترضيه ولا ترتقي لمستوى ذوقه.
- ما يعني أنه سطحي جدا، لا توجد فتاة سطحية أو فتاة عميقة، يوجد جانب غالب، عليه إثارته بما لديه، عليه أن يستحقه، قال بونيفاسيو.
- الأمر ينطبق على كلا الجنسين، قالت ماريانا.
- طبعا طبعا، أجابها.
- أحدهم اقترح أن يكون المالك الشرفي للمكتبة بعقد موقع، بموجبه يدفع مبلغ من المال، قالت ماريانا.
- هذا لطيف، الرجل يريد شيئا فخريا ما يعني أنه يقدر هذه المكتبة جدا.
- أحدهم اقترح أن نسمح له بإقامة مراسم زواجه في المكتبة وهو الوحيد الذي وافقنا على طلبه رغم أن الأمر صعب، وآخر وهو آخرهم فيما أذكر، اقترح أن يتزوج

المكتبة نفسها وقد جاء ومعه قالب حلوى، على كل حال أكلنا معه قالب الحلوى، ثم رفضنا طلبه بشكل مؤدب.
- هذه النوعيات الغريبة والعجيبة من الزبائن تجعل صديقي كارل مجرد رجل صالح يهتم بشؤونه ، فعزلته عن الناس ليست بالشيء الغريب، قال بونيفاسيو.
- لا تقلل من شأنه، هذا قد يقتل الحافز لمساعدته، ثم إنه صديقك, قالت ماريانا.
- لست أقارنه بهم أو أقلل من شأنه أو حتى من شأنهم، الفرق فقط في المزاج, كارل رجل لا يندفع هكذا اندفاع.
- اقتربنا من المكتبة، تذكر أنه علينا أن نتكلم مساءً بشأن كارل .
- أعندك ما تقولينه الآن؟
- لقد فكرت في شأن كارل سابقا، ثم أن رغبتك في مساعدته تدعوني للإسراع, مادمت تريد ذلك، قالت ماريانا.
- هذا ما أرجوه منك يا ماريانا, فلمستك مميزة في إنهاء أي مشكلة.
- علينا أن نُكَوّن تصور صحيح لما عليه كارل، قبل الذهاب إلى ما نريده أن يكون عليه، أو ربما يجدر بنا التفكير فيما يقدر أن يكون عليه, قالت ماريانا.

- إنه يرفض أن يشاركني السكن وأخشى أن يكون مدمن كحول ما سيجعل الأمر صعبا علينا، إن رفض دخول مصحة إدمان أو عيادة نفسية لمساعدته على ما هو فيه, رد بونيفاسيو.
- لا أظن أنه مدمن كحول، هو فقط انطوائي وكتوم, لهذا يرفض مشاركتك السكن, أجابت ماريانا.
- أخشى كذلك أن يكون اعتقاد كارل يدعم المشكلة ويجعل منها حلا وملاذا,تساءل بونيفاسيو بصوت عال.
- لا تقلق يا بونيفاسيو سنجد حلا أو نبتكر واحدا كما قال حنبعل, ردت ماريانا, وحسمت النقاش.

الفصل السابع

كان الزقاق الجانبي للشارع الرئيس كئيبا في ذلك اليوم الخريفي، المارّة لا يسمعون عزف كارل الحزين حينا, والباعث للأمل حينا آخر، لكن في النهاية يبقى الناس ناس, فلكل منهم شأن يبعده كل البعد عن التساؤل أين ذهب ذلك العازف الغامض، المُتّشح بملامح الحزن، العازف الذي بدأ يطفو على سطح المشهد الثقافي للمدينة، من عزف وغناء شعبي إلى دور في مسرحية لاقت رواجا، الحقيقة أنه هو الآخر لا يهتم إلا بشأنه وقد يتعدى الأمر لبعض شؤون أصدقائه، الذين فرضوا أنفسهم على وجدانه فرضا، شيء ما جعله يمرض, ربما, هو أحد أعراض تعاطي المدينة، فتعقيدات هذا العصر, تجعل الكل يمرض، وتجعل الكل يفعل شيئا ما حيال هذا، ولعل أظهر مظاهر هذا هو الإدمان، أحدهم يدمن العمل والآخر يدمن حبوب الهلوسة والآخر يدمن التشرد.

في مساء ذلك اليوم كان هناك من يهتم ويبحث عن هذا الغائب، فصديقه وتلميذه على موعد للعزف والنسيان، وقد غدت علاقتهما عاطفية وحميمة، فكلاهما يرى في الآخر منفذ للخروج من بؤس حياة المدينة المعقدة، لم يطل الأمر حتى علم أن كارل في المشفى العام بسبب وعكة صحية، وهي ليست بتلك الخطورة لحسن الحظ، حتى أن تكلفة العلاج في متناول مدخرات كارل, رغم أنه لم يدفع

سنتا واحدا، مع كونه لا يملك تأمينا صحيا، لأن جمعية خيرية دفعت تكاليف العلاج لدواعي إنسانية، نشاط عملها يسع كافة مشافي المدينة، ما جعل الأمر يحسم سريعا، مع احتياجه لفترة أسبوع نقاهة، ويمكنه بعدها مزاولة نشاطاته بشكل طبيعي، حسب توصيات الطبيب المعالج الذي صرح لبونيفاسيو أن صديقه كارل يعاني من إرهاق وإدمان على السهر, وزاد الطين بِلة سوء التغذية الذي يعانيه.

دخلا الغرفة التي يسكنها بونيفاسيو ثم أعد له مكان ليستريح فيه، كان بونيفاسيو يمازح صديقه كارل، ويقول " النظام الصحي الأمريكي حكم عليك بالإقامة هنا معي، وستبقى رغما عنك يا كارل، ويمنع الاعتراض وإلا سَتُحال إلى سلك العدالة لينتهي بك المطاف في السجون مع أعتا المجرمين.

راح كارل يفكر في بؤسه وهواجسه التي سببت له هذه الوعكة الصحية، يخشى أن يخونه جسده هو الآخر، بعد أن خانته ظروفه وقراراته، كأنه لا يريد أن يتبادل أطراف الحديث مع بونيفاسيو الذي يبدو مهتما بما فيه الكفاية.

أشار كارل إلى بونيفاسيو أن يجلس، استجاب لطلبه دون كلام، ليسمع منه ما يريد قوله، سكت كارل هنيهة ثم قال "أنا لا أشعر أني بخير يا بونيفاسيو" إنها لحظات يتمنى فيها المرء أن يقدر على بث جميع مكنونات نفسه، وهذا ما

كان يترقبه بونيفاسيو، ليقول له " لقد حان الوقت يا كارل، إن كنت تدري " تنهد كارل و قال " أين حقيبتي" هي هنا أجاب بونيفاسيو بعد أن وضعها بين يديه.

- اسمع قصتي يا بونيفاسيو مادام الوقت قد حان لتعرف.

- تأكد يا كارل أنني سأكون معك دائما في أصعب الظروف وأحسنها، لكني أريد أن تكون بخير وسأعمل على ذلك.

- يكفيني أن تسمعني وتهتم، أنا لا أطلب منك شيئا، وجودي لبضع ساعات في المشفى، بعد أن استفقت بنصف وعيي حين كان الممرضون يدخلونني قسم الطوارئ، والطبيب يبذل جهده في الإنعاش مع فريقه؛ الكل يعمل عليّ؛ الكل يركزون على شيء واحد فقط, وهو إنقاذي، بطريقة لا داعي أن أفهمها أو أتابعها، أنا فقط مستسلم للأمر الواقع، شيء لا يد لي فيه، خطر لي بعد أن تجاوزت الأزمة، أن ما يفعله الأطباء في غرف الطوارئ هو ما ينبغي أن نفعله نحن لبعضنا البعض على مسرح الحياة، لأحبتنا وأقاربنا، وكل من يعنينا أمرهم، إنها عملية إنقاذ يا بونيفاسيو، لكن لمن؟ ومع من؟ ومن أجل ماذا؟ أليس من الغريب أن أظل وحيدا لبقية حياتي؟، لقد شعرت بالخواء والفراغ، هذا هو مسار حياتي الذي عليّ الاستمرار فيه، أكمل كارل حديثه والإرهاق يبدو عليه جليا.

- أنت الوحيد القادر على الإجابة, والأهم أن تفعل شيئا حيال هذا الأمر, بعد أن تجيب نفسك، قال بونيفاسيو.
- أعرف, أعرف، لطالما هربت من هذا الأمر, وجعلته يتأخر أكثر من اللازم.
- مادمت على قيد الحياة فالأمر بيدك، لم يفت القطار بعد يا كارل, عقّب بونيفاسيو.
- أنظر لهذه الحقيبة إنها البقية الباقية من حياتي السابقة، إنها الذكريات التي لا تريد التخلي عني, ولا أريد التخلي عنها, قالها كارل بنبرة مليئة بالأسى والحزن.
- لا تقل لي أنك تملك أسرة, وقد تخليت عنها؟ انتفض بونيفاسيو.
- أجل وبكل أسف، لقد خذلت أسرتي، تلك القيثارة التي لم ترها من قبل، هي نفس القيثارة التي كنت أعزف عليها ليلة عرضت الزواج على سلمى، في تلك الليلة جعلت امرأةً ما سعيدة، سعيدة بالارتباط مع الرجل الذي تحبه، ولَكَم كانت حالمة تلك المسكينة، لكنها لم تكن تعلم ما يخبئه لها القدر.
- ماذا عن القيثار الصغير، انتظر, محفور عليه أسمين أنهما بيدرو و باولا، سأل بونيفاسيو.
- باولا هي ابنتي الأولى تبلغ الآن 8 سنوات وبيدرو أربع سنوات.

- وأين هما الآن؟ سأل بونيفاسيو.
- هنا في مقاطعة سانتا باربرا، أجاب كارل، وقد تنهد تنهيدة عميقة.
- افترض أن سلمى زوجتك وأم أولادك قد انفصلت عنك.
- نعم انفصلت عني مضطرة لذلك، لم يكن بيدها حيلة.
- يجب أن تحكي لي كل شيء من البداية, صديقي كارل، تذكر أننا أصدقاء!
نظر بونيفاسيو إلى كارل فوجده قد غط في نوم عميق، ولم يرد أن يثقل عليه، ويهيج أحاسيسه وعواطفه أكثر، فتركه يرتاح.
- دخل بونيفاسيو المكتبة وهو يحمل إيصالات الاستلام ليسلمها لماريانا بعد أن أوصل آخر طلبيات هذا المساء، كان قد أعتزم الصعود لغرفته في السطح ليطمئن على كارل، وقبل أن يمضي لحال سبيله، سمعها تقول في اتصال هاتفي، " حسنا سأنتظرك في المكتبة، لأتسلم كل المعلومات عن كارل"
- مرحبا ماريانا.
- مرحبا بونيفاسيو.
- أتساءل عن حديثك آنفا!، ماذا كنت تقولين ؟ هل لك صديق في الشرطة يزودك بمعلومات؟

- إنه محقق خاص ليزودنا بمعلومات عن حياة كارل السابقة، ثم إنه أمر قانوني فلا تقلق بهذا الشأن، قالت ماريانا.
- هل هو أمر أخلاقي؟ أعتذر عن السؤال, لكن يهمني أن أعرف.
- أتشك في ذلك، لو كان لك أخ أو ابن ولا تعلم بعض جوانب حياته، فلأنك تهتم له ستبحث وتسأل حتى تستطيع تقديم المساعدة، كارل صديق, وأنا وأنت نريد مساعدته فهذا واجبنا، ولن نستطيع فعل شيء إلا على ضوء معلوماته التي لا يريد أن يبوح بها.
- لقد باح ببعض ما عنده، سأكلمه هذا المساء, لأعرف ما يتعين عليّ فعله.
- ليكن إذن, فقط انتظر المحقق الخاص لتسمع منه، لنستطيع إنهاء قضية كارل إلى الأبد.
- سأصعد لأطمئن على كارل ثم أوافيك بعد قليل.
- حسنا، بلغه سلامي يا بونيفاسيو.
- صعد بونيفاسيو الى الغرفة حيث يرتاح كارل، كان يعزف على القيثار الصغير نغمات حزينة، كانت كافية لتظهر شوق كارل الكبير لأولاده وطليقته، جلس قربه ولم يقل شيئا حتى أكمل عزفه المثير للحزن وبث كل آلامه الموجودة في وجدانه المرهق.

-عدت باكرا اليوم يا بونيفاسيو؟
- أردت الإطمئنان عليك فقط، أجاب بونيفاسيو.
- أنا بخير شكرا على اهتمامك صديقي.
- هل تسمح لي بمساعتك يا كارل؟
- افعل كل ما يلزم, وكل ما تراه مناسبا يا بونيفاسيو.
- مهما كان الذي أفعله، ومهما كانت الإجراءات التي اتخذها فأنت لن تعترض، صحيح؟ سأل بونيفاسيو.
- لن أعترض يا بونيفاسيو تأكد من هذا.
- ما الذي جرى بينك وبين زوجتك حتى وصل بكما الحال إلى الطلاق؟
- لقد كنت مدمن كحول وغير مسؤول، ما جعل زواجي ينهار وأسرتي تتفكك، كان أمرا محتوما.
- كنت فقط يا كارل، لكنك لم تعد كذلك الآن, قاطعه بونيفاسيو وتابع يقول: وهذا مبشر أليس كذلك؟
- بلى، أجاب كارل.
- لما لا تذهب لاستعادة زوجتك وطِفليك؟
- الأمر أصعب مما تتخيل يا بونيفاسيو.
- صحيح الأمر صعب ما دمت تعتقد ذلك، لكن ما أن تغير هذا الاعتقاد, يغدو الأمر سهلا ميسورا، لا تنظر إلى عظمة الذنب ولا إلى بُعد الغاية، بل انظر إلى الخطوة الأولى ثم التي تليها و هكذا، لن يطول الأمر حتى تصل إلى ما تصبو إليه، أجابه بونيفاسيو بحماس.

- أجل أجل، قال كارل بفتور.
لكن ....
- غط كارل في النوم، بسرعة لاحظ بونيفاسيو، ذلك أن هذا الموضوع ثقيل عليه، ما يجعله في شبه إغماء يسلمه للنوم سريعا، هنا أدرك أن قرار ماريانا باللجوء إلى محقق خاص أفضل من مفاتحته موضوع حياته السابقة، تركه بعد أن جس نبضه وقد كان مستقرا، لينزل إلى ماريانا قبل أن تغلق المكتبة .
- كيف هو؟ سألت ماريانا.
- إنه بخير نوعا ما، لا داعي أن تقلقي، يحتاج بعض الوقت ليتحسن.
- أنا أقلق دائما وعلى الجميع، لكني لا أظهر ذلك، أتجه لفعل شيء ما حتى لا يستبد بي القلق.
- لقد لمست ذلك فيك يا ماريانا، لقد كنت معنا أكثر من صديقة.
- مازال الكثير لأفعله لك، ردت ماريانا.
- ماذا بقي يا ماريانا لقد سويت كل أركان حياتي؟ رد بونيفاسيو وهو يبتسم.
- مازال موضوع دراستك في الجامعة وحصولك على شهادة يا بونيفاسيو، هذا يتطلب وقتا.
- ماذا أيضا؟ سأل بونيفاسيو وقد بدا عليه المكر.

- إيجاد امرأة ذكية وجميلة ترعاك, فلن أبقى معك طوال حياتي، فأنت تقبل اختيار الأصدقاء، ثم ضحكت.
- وهل سنظل أصدقاء يا ماريانا ؟ سأل بونيفاسيو.
- طبعا يا بونيفاسيو، سنظل أصدقاء، ما هذا السؤال الغريب؟
- ماذا عنك يا ماريانا، يبدو أنك من النوع الذي يهتم للآخرين على حساب نفسه ؟ سألها مجددا.
- ستعرف كل شيء في حينه يا بونيفاسيو، قالت ماريانا.
دخل المحقق الخاص وسلم التقرير الكامل عن كارل، وأخبر ماريانا أن كارل توقف عن متابعة الطبيب النفسي منذ ثلاث سنوات ونصف السنة أثناء فترة سجنه، وأبرز مشاكله هو العنف الأسري، غير ذلك لا شيء لافت، ومضى بعد أن استلم عمولته، كان بونيفاسيو يستمع لكلام المحقق، وقد اجتمعت الصورة في ذهنه، ليس سهلا التورط في العنف الأسري، خصوصا إذا كان الرجل مدمنا، لكن ما الذي جعله يؤثر البقاء بعيدا عن أولاده.
انكبت ماريانا تقرأ التقرير بصوت مسموع لبونيفاسيو حتى تمامه، كان التقرير يحمل مالا يقل عن عشر نقاط مفصلة، تتحدث عن بدايات كارل مع سلمى وشغفه بالموسيقى، ومشاكل القضاء عند ولادة ابنته باولا، ودخوله مصحة إدمان، لتعصف المشاكل بزواجه مع ولادة ابنه بيدرو، ودخوله السجن سنة كاملة، ثم تخليه

عـن بيتـه لطليقتـه بعـد أن سـلمها كـل مدخراتـه كتسـوية قانونية، ليقرر بعدها العزف والتجوال ثم يستقر بـه المقـام في زاوية الشارع، حيث عرف بالمكان وعرف المكان به، مع عنوان ورقم هاتف طليقته سلمى، كل شيء كان مـدونا مع التواريخ.

- هـل مـن الممكـن أن يعـود الأمـر كمـا كـان؟ سـأل بونيفاسيو.

- مهما يكن، عليـه أن يـرى أولاده، فهـذا مـن حقهـم عليـه مثلما هو من حقه، أجابت ماريانا.

- أتساءل إن كانت طليقته سلمى قد تجاوزته، رغـم أنهمـا أحبا بعضهما البعض.

- ما رأيك أنت يـا بونيفاسـيو؟ تسـأل ماريانـا وهـي تبتسـم بمكر.

- يقال أن الحب يصنع المعجـزات، ثـم إنـه لا يمـوت, هـو يأخذ شكل السعادة إذا كان هناك وصال، ويأخذ شكل الألـم والمعاناة إذا كان هناك فـراق وهجـران، والقلـب لا ينسـى أبدا إذا ذاق طعم الحب يا ماريانا.

- الحب يحتاج إلى أرض سليمة يقف عليها، وإلا عصفت بـه الـريح، تأكـد أن الحـب مجـرد بوصـلة يوجهـك إلـى الشخص الذي خلقت له وخلق لك، الشخص الـذي يسـتحق أن تمنحه كل شيء، ما يعني أن الحب لـيس شـيئا تقدمـه،

بل هو المعنى خلف كل تلك الأشياء التي تقدمها، من الغريب أن تمنح الحب وحده، قالت ماريانا.
- الرعاية والاهتمام تنبع من الحب، الحب الحقيقي طبعا، وليس مجرد ملء فراغ حياتنا بإنسان ما صادفناه في مرحلة كنا بحاجة إلى الإشباع أو الاهتمام أو الرفقة، أما التوافق والتكامل فهما صفتان يصنعان الحب ويغذيانه ويُحافظان عليه، فأيّهما الأرضية يا ماريانا برأيك؟
- كنت أقصد الأخلاق يا بونيفاسيو والحياة المستقرة التي تتبع ذلك، مهما كنت مهتما وترعى من تحب فلن يكون هذا ذا قيمة من غير أخلاقك وصدقك، قالت ماريانا.
- ماذا عن السلامة النفسية يا ماريانا؟ العاجز بدنيا لن يقدر على العمل مهما قويت رغبته في ذلك، كذلك المريض نفسيا لن يقدر على الحب أو تحمل المسؤولية، سأل بونيفاسيو مجددا.
- أوافقك في هذا، السلامة النفسية شرط أساس في مقدرتك على الحب وعيش الحب بطريقة آمنة ومثمرة.
- بدا لي كارل في مدة تعارفنا رجلا بأتم معنى الكلمة، ورغم عزلته وانطوائه وتكتمه إلا أنه متزن نفسيا إلى أبعد حد، أنا لم أشك في ذلك يوما.
- وأنا أعتقد ذلك، قالت ماريانا.
- هل من الممكن أن يشفى الإنسان من مرض نفسي أو آفة نفسية ما من غير طبيب؟ سأل بونيفاسيو.

- دور الطبيب هو مساعدتك على أن تشفي نفسك بنفسك، لأنه خبير يغوص بك في أعماقك إلى تلك الفوضى ليجعلك ترتبها، ويجعلك تضع أسس لسلوك جديد، لهذا جوابي هو نعم، يمكن ذلك، شرط الابتعاد عن سبب المشكلة والبيئة التي نشأت فيها مع فترات تأمل عميق, أجابت ماريانا بثقة.

- هل يمكن أن نقول أن كارل حصل له هذا الأمر؟ سأل بونيفاسيو.

- لنتمسك بالأمل والأهم أن تقنع كارل بذلك، ليكون الاعتقاد داعما لحياته الجديدة المستقرة التي ننشدها له، قالت ماريانا

- أظن أنه ينبغى أن تعرف سلمى أن كارل مريض، وهو بأمس الحاجة لعائلته أو ما تبقى منها، هذا سيساعده على الشفاء، قال بونيفاسيو.

- ما دمنا نملك عنوانها سنذهب إليها، سنأخذ موعد معها بالهاتف إذا كان الأمر ضروريا طبعا، قالت ماريانا.

- حسنا سأعود إلى كارل ثم نرى ما الذي سنفعله ماريانا.

قضى بونيفاسيو تلك الليلة مع صديقه كارل لعله يبوح بشيء ما، قد يساعد في فك ألغاز غموضه وانطوائه، لكن لا بأس الأمر ليس بتلك الأهمية فمفاتيح البداية مع كارل قد أصبحت بحوزته، وحل مشكلته قد لاح في الأفق.

طلبت ماريانا من بونيفاسيو أن يأخذ عطلة لمدة أسبوع، حتى يتفرغ فيها لكارل والقيام على بعض حاجياته، وستكون فرصة لمساعدته بشكل أكثر نجاعة.
كان هناك مكان للاستجمام ليس بعيدا عن الضاحية التي تسكن فيها سلمى وولديها باولا وبيدرو، أشارت عليه أن يأخذ كارل إلى ذلك المتنزه، لعله يرى طفليه اللذان لم يرهما منذ مدة طويلة.
كان عليهما طوال يومين عقب مرض كارل أن يعالجا الأمر بعمق ورُوية وأن يُقلِبا الأمور واحتمالاتها، هو يريد أن يكون حذرا مع صديقه، وهي تبحث عن حل ناجع ونهائي، يوقن كلاهما أن أي خطأ قد يحبط المساعي في حل هذه المعضلة ويجعل الغاية متعذرة من كل جهودهما، أو قد يجعل الأمر يطول أكثر وهذا ما لا يتمنيانه.
في المتنزه حاول بونيفاسيو جعل مكان جلوس كارل ليس بعيدا عن الأجمة التي يلعب فيها الأطفال، كانت أصواتهم وعبثهم تبعث الطمأنينة والراحة في قلبه، فقال كارل لصديقه متحسرا ليتنا جلبنا القيثار، كنا عزفنا للأطفال بعض الوصلات الموسيقية، رد عليه بونيفاسيو " لقد جلبت القيثار وسيكون الأطفال سعداء بعزفك ".
أمسك كارل القيثار وتأمله طويلا، خاطبه بونيفاسيو ليت باولا وبيدرو هنا ليسمعا عزف أبيهما الساحر، أجابه كارل وهو ينظر إلى الأرض "لقد ولى عهد المعجزات يا

صديقي، هم بعيدون جدا" ثم بدأت أناملـه تداعب أوتـار القيثار، وتعزف لحن نداء الروح، لتجمع كل ذرة حب فـي الكون، لتعيد إطلاقها مع النغمات أكثر دفئا، والأطفال يتجمعون ليس ببعيد عن مصدر اللحن العذب، بقيت السيدات تراقبن أطفالهن بحذر وتخدّر، أنهى مقطوعة وبدأ في الثانية، ليبدأ بونيفاسيو بالغناء معه وبصوت شجي.

ولّى عهد المعجزات.
لكن قلبي بحاجة إلى الإيمان و السلام.
بحثت عن معجزة في وجوه العابرين
وعلى صفحات الماء.
و بين الغيوم.
و بعد أن تعبت أخذتني غفوة.
لأرى وجه إبني الصغير يضحك.
و أخته تسير به نحو الأفق.
حيث كان الغروب ساحرا.
المساء في الأرياف يأخذ الألباب.
الناس لطفاء كالنسيم، هادئون كنور القمر.
أحتاج إلى معجزة سريعة
حملت نفسي إلي بيتي

كنت أركض بسرعة لأرى طفلاي الرائعان
علمت حينها أن معجزة الحب خالدة
بعد غفوتي عاد إلي يقيني وإيماني.

في الاستراحة قبل أن تُعزف المقطوعة الثالثة رأى بونيفاسيو طفلة تحاول أخذ أخيها الصغير وهو يمانع، ليعلو صوتها وهي تقول أن أمهما تريده، تنهد كارل واسترجع أنفاسه بعد أن جف حلقه واغرورقت عيناه، وظهر فيهما بريق الاحتياج إلى الحب، كان يبدو أن لا قوة له على مقطوعة ثالثة، وضع القيثار في الحقيبة وتفرق الأطفال، يفترض بهذه اللحظة أن تكون لحظة كلمات خلفها جبال من مشاعر، لكن هل قلب كارل وحالته الصحية يسمحان بكلمات بهكذا ثقل، قطعا لا، لكن هي خطوة ضرورية حتى لا تقتله تلك المشاعر والذكريات الدفينة.

عاد إلى الغرفة في هذا اليوم ولم يقل شيئا، لكنه شعر بالراحة كما لم يشعر من قبل، لأكثر من ثلاث سنوات يعزف في الطريق مقابل دولارات يعيل بها نفسه، النغمات للعابرين والدولارات لجيبه الخاوي، أما اليوم فقد عزف من أجل الأطفال ليحاول عبثا خلق معجزة بعد أن لم يكن يؤمن بها، كان عزفه ليلة عيد ميلاد ميغان صديقة روبيكا شيئا استثنائيا، لكنه ليس كعزفه للأطفال فقد عزف لهم وللطفل الصغير داخله، ولقلبه الذي حن لولديه، كان يشعر

بولديه حوله، ربما مرضه لم يسمح له أن يتبين ملامح ابنته باولا التي تركها وهي ذات أربع سنوات أو يزيد، لكنه في النهاية شعر بهما.
بونيفاسيو يخشى أن تكون عودته إلى الغرفة ستعيده إلى نمطه الذي اكتسبه طول فترة بعده عن أسرته، ما يجعل الحالة الوجدانية التي دخل فيها بعزفه في المتنزه مجرد شيء عارض، فلا يساعد الأمر في لملمة الشقاق بينه وبين طليقته، هذا وقت ثمين يجب أن يستثمر لإعادة المياه إلى مجاريها، وهذا ما عزم عليه بونيفاسيو وماريانا بعد أن تحدثا في الأمر برمته.
كان المحقق قد أحضر صورا لماريانا, وهي صور كان يفترض أن تكون ملحقه بالتقرير الذي طلبته عن حياة كارل، صور طليقته وولديه، ما إن رأى بونيفاسيو الصور حتى أصيب بالذهول فالطفلين نفسهما اللذان كانا يسمعان العزف في المتنزه، لقد رآهما ورَأياه، لكنه لم يعرفهما أو يعرفاه، لقد ترك باولا ذات أربع سنوات وبيدرو مولود حديثا، كيف لهما أن يعرفاه أو حتى أن يعرفهما هو.
إذا أخذت كارل مرة أخرى إلى المنتزة فيمكنك أن تجعله يراهما ويحدثهما، اقترحت ماريانا وهي تحدث بونيفاسيو.

ماريانا تسعى بجهد حثيث لحل جوهر مشكلة كارل قبل علاج أعراضها الظاهرة، إنه شيء دقيق لا ينتبه الناس له، وهو فعل شيء حيال الأعراض وترك مكمن المشكلة أو المرض، لهذا ارتأت أن العمل ومتابعة طبيب نفسي سيجعل كارل يتعافى نهائيا، وسيكون حينها داعما لأسرته وأسرته داعمة له، وهذا ما ستناقشه مع بونيفاسيو عندما تلاقيه.

- لقد حجزت لكارل موعد مع طبيب نفسي، قالت ماريانا.

-عظيم ماذا عن العمل؟ سأل بونيفاسيو.

- تدبرت الأمر وسأخبرك في حينه، أو عندما نكلم كارل وجها لوجه، أجابت ماريانا.

- سنتكلم معه الآن قال بونيفاسيو.

- حسنا سأغلق المكتبة ونصعد إليه في الغرفة، قالت ماريانا.

- كان كارل يعزف ويعيد نفس الكلمات التي كان يدندن بها مع بونيفاسيو في المتنزه، يضبط اللحن والإيقاع بكل مهارة، ليدخل عليه صَدِيقَيْه بونيفاسيو وماريانا, وهو في حالة من الانشراح والسعادة، أوقف كل شيء ليعرف منهما سبب قدومهما معا، وهما يبتسمان.

- نحمل إليك أخبارا جيدة وأخبارا سيئة، قالت ماريانا.

- لنبدأ بالأخبار السيئة، حتى ننتهي منها سريعا لننعم باقي اليوم بالأخبار السعيدة، أجابها كارل وقد بدا عليه الاهتمام.
- طريقة تفكيرك الرشيدة ما زالت تبدو في حديثك يا صديقي، قال بونيفاسيو.
- حسنا يا كارل، الخبر السيئ أنك ستفارقنا نهائيا، قالت ماريانا وهي مبتسمة.
- هذا مؤسف حقا لكن كيف ذلك ؟ يسأل كارل .
- ربما الأخبار الجيدة ستفسر لك ذلك، تعلم أنني وماريانا صديقان لك، لهذا يحق لنا التدخل في حياتك وفعل ما تمليه علينا روابط الصداقة، يجيبه بونيفاسيو.
- أنا أثق بكما، فلا داعي للمقدمات، يقول كارل مستنكرا.
- لقد أخبرت ماريانا عنك, وحدثتها بشأن إبنيك باولا وبيدرو، لأجدها في الأصل مهتمة بموضوعك، حتى أن الرحلة إلى المتنزه من تدبيرها، قال بونيفاسيو.
- أنا شاكر لكما ذلك، لكني إلى الآن لم أفهم الأمر، قال كارل مستفهما؟
- هل تريد استعادة أسرتك وأطفالك يا كارل؟ تسأل ماريانا.
- أخشى أن أفسد الأمر مثل أول مرة، لقد كنت سكيرا لعينا آذى زوجته، رغم حبها الشديد له، لمدة تجاوزت أربع سنوات وهي تتحمل إلى أن ذاقت ذرعا، فهجرتني بلا رجعة، أجاب كارل.

- لكنك إن بقيت تعيش هذا الخوف من تكرار الخطأ فستظل طوال حياتك تعيسا يا كارل، حان الوقت لتراهن على نفسك، ثم إنه لا داعي لأن تستسلم للمخاوف فما هي إلا أوهام وستكتشف ذلك بنفسك، قالت ماريانا.
- ينبغى المجازفة فهذه المرة الثانية فقط يا كارل، ثم إنك تغيرت لم تعد ذلك السكّير، قال بونيفاسيو.
- هذا الخوف والتردد هو ما يعذبني، فالوقت يمضي ولا يبالي، أخشى أن تنتهي رحلة حياتي وأنا وحيد منبوذ، قال كارل بِتَحسر.
- الخوف يتبدد ما أن تواجهه، الخوف مجرد وهم أو المخاوف إن جاز التعبير، كثيرة هي الحالات التي ضحكنا فيها على أنفسنا بل تأسفنا لأننا تأخرنا في قرار ما أو حسم قضية معينة لأننا كنا نخاف من مواجهتها، وأنت تعرف أن أغلب تصوراتنا ليست حقيقية أو على الأقل مبالغ فيها جدا، قد تكون طليقتك مترددة مثلك، قد تكون في انتظارك لتصحح مسار حياتكما الذي أخذ هذا المنحى المأساوي، قالت ماريانا.
- وما الذي يثبت لها أنني تغيرت حتى تتقبل وجودي في حياتها وحياة طفليها من جديد، يسأل كارل.

- العمل ومتابعة طبيب نفسي يا كارل هذان شيئان كفيلان بذلك، اذهب إليها وكن بجوار طفليك فهناك مكانك وهذا حقهما عليك، قالت ماريانا.
- لا أدري كيف أبدا، أشعر بالعجز والضياع، يقول كارل.
- إن كنت ترى ما مررت به ذنب وخطيئة وليس مجرد ظروف سيئة فقد أتممت عقوبتك، واستحققت الشعور بالسلام يا كارل، ومن المؤكد أنها تعي ذلك، قالت ماريانا.
- وأين هم الآن، فلم أتابع أخبارهم منذ زمن طويل، سأل كارل وهو ينظر في عيني ماريانا.
- لقد بحثت عن زوجتك سلمى وأنا الآن أملك عنوانها وهاتفها، وبوسعنا أخذك إليها، لكني أريد أن ترى شيئا آخر لتطمئن، قالت مارينا.
أخرجت ماريانا هاتفها لتدخل موقع فيسبوك، عملية بحث بسيطة ليكون بروفايل طليقته سلمى على الواجهة، أمسك الهاتف وتأمل طويلا في صورة البروفايل، كانت الصورة لطليقته مع ولديه باولا وبيدرو، ولأنه كان ليجعل وقت تأمله في الصورة يطول كثيرا، أخذت الهاتف من يده، وأرته قسم المعلومات الشخصية، لم تكن سلمى قد عدلت المعلومات الشخصية، فهي إلى الآن لم تضف وصف مطلقة كتعريف لها، آخر تعديل للحالة كان يوم الزواج، ثم أرته منشورا ظاهر للعامة بتاريخ ليس بعيد لا يتجاوز

أربعة أشهر، مكتوب عليه **(نحن لا ننتظر أخبارك نحن ننتظرك أنت)**، ثم أرته منشورا آخر بتاريخ أقدم تقول فيها سلمى **(كنت آمل أن هذه الفترة كانت كافية، لكنك لم تعد)**، إلى أن رأى أهم منشور, قالت فيه **(كنت أعتقد أن جذوة الحب تنطفئ إذا غاب الاهتمام والاستقامة، أو يمكنني القول إن البُعد النهائي يجعل الحب مثل الإنسان في قلب المحيط مصيره الغرق لا محالة، لكنني الآن أصبحت راسخة الإيمان أن الحب لا يموت، غير أن الحياة قاسية تجعلنا نقيد الحب بالسلاسل داخل أعماقنا حتى لا نسمح له بالظهور وبث السعادة في حياتنا)**، كان كارل يرى الكلمات ويسمعها على لسان ماريانا ويرددها بصوت خافت لا يكاد يحرك به شفتيه ودموعه تسيل على خديه.

- هل أنت معنا يا كارل ؟ تسأل ماريانا.

- أنا بكُلي معكما يا ماريانا، أجاب كارل.

- صديقي ثق أن ماريانا ستحسم الأمر، فقط عليك أن تجاريها ثم تكسر النمط الذي تعودت عليه، قال بونيفاسيو يخاطب كارل بلهجة واثقة.

- أنا مستعد لعمل ما يلزم يا صديقاي، قال كارل.

- لقد حجزت لك موعد عند طبيب نفسي، قالت ماريانا.

- عندي طبيب يتابع حالتي منذ مدة وأشعر أني بخير، قال كارل.
- هذا جيد، وما علينا إلا أن نجعل سلمى تعلم بهذا لتكتشف مدى جديتك، قالت ماريانا.
- ماذا عن العمل يا ماريانا؟ أرى أن هذا أكبر ما يظهر جدية كارل تجاه عائلته، أليس كذلك يا كارل؟ يسأل بونيفاسيو.
- بلى يا صديقي سأبحث عن عمل لأعيل به نفسي، قال كارل بحماس.
- لقد تدبرت الأمر يا كارل، أعرف أنك دَرست الموسيقى في المعهد منذ زمن بعيد، وأنت مؤهل لتعمل مدرس موسيقى في سلك التعليم الأساسي الابتدائي، قالت ماريانا.
- هل من الممكن أن يقبلوا حاله كحالتي ؟ يسأل كارل .
- هل تقصد مشاكل الطلاق والعنف الأسري أم ماذا ؟ يسأل بونيفاسيو.
- بالنسبة لمشاكل الطلاق والعنف الأسري يكفي استصدار شهادة من عند طبيبه النفسي، ثم إن تاريخ الحادثة قد تجاوز المدة القانونية للحظر، ما يعني العفو التلقائي، وعليه فكارل بإمكانه تدريس الموسيقى بشكل طبيعي، أجابت ماريانا.

- بونيفاسبو يقصد وضعي كمتسول، لكن اطمئنوا لقد تم الاعتراف بعزف الشوارع كفن ونمط حديث مقبول اجتماعيا وبشكل قانوني، قال كارل.
- هذا جميل خصوصا أن التعريف القانوني للمتسول، هو الشخص الذي يطلب المال من الآخرين دون مقابل، على عكس عازف الشوارع فهو يمنح مقابل لما يطلبه، قالت ماريانا.
- أتساءل كيف سأستطيع التدريس فلم يسبق لي ذلك؟
- مادمت خبير في الموسيقى فأنت تستطيع، ثم إنها تجربة عليك خوضها من أجلك ومن أجل طفليك, أليس كذلك؟ وسيتخرّج على يديك الكثير من الموسيقيين الكبار أنا متأكدة من ذلك، قالت ماريانا.
- سيكون أفضل أستاذ في تاريخ المدرسة، أنا موقن بهذا، قال بونيفاسيو.
- هناك مبدأ أحيا به بل وأصبحت أحيا له وهو " آمن وسترى" العجيب أنه يتحقق في كل مرة، ليس عليك إلا أن تؤمن وتفعل شيئا ما حيال هذا الإيمان، قالت ماريانا بحماس.
- أتشوق لهذا بعد كل هذا الركود، أجاب كارل.
- أتساءل إن كنت سأخبرك عن المدرسة أم لا، تقول ماريانا.

- أخبريني يا ماريانا، سأل كارل.
- هيا, هيا أخبريه؟ سأل بونيفاسيو.
-اسمعا أنا أملك شبكة علاقات واسعة، ولقد تدبرت أمر تعيينك مدرس موسيقى في نفس المدرسة التي تدرس فيها ابنتك باولا يا كارل، والمذهل أنك ستبدأ التدريس الأسبوع القادم، لقد أفسح الطريق لك أحدهم بتقاعده، قالت ماريانا.
- كان سيكون الأمر رائعا لولا أن هناك تسوية قانونية بيني وبين سلمى، بموجبها يمنع عني زيارتها أو الاقتراب منها أو الطفلين بمسافة لا تقل عن خمسمائة متر، فكيف أُدَرِّس في نفس المدرسة التي ترتادها ابنتي، وكما تعرفين فإن لقاء أولياء الطلاب شيء حتمي، قال كارل.
- لا تقلق بشأن هذا يا كارل، فالتسوية تنص على إبلاغك بعنوان سلمى وعنوان المدرسة وعناوين جميع نشاطات ولديك، لتتجنب الاقتراب منها أو منهما، وأنت في هذه المدة لم تحصل قانونيا على أي عنوان من هذه العناوين، لا عنوان البيت ولا المدرسة أو أي عنوان آخر يقام فيه نشاط يخصهم، يكفي أن توقع العقد مع المدرسة قبل أن تتسلم العناوين منها، ما يحميك قانونيا من المتابعة القضائية، وإذا استمر وضع تدريسك في المدرسة لمدة تزيد عن 60 يوما يسقط البند تلقائيا كدليل إدانة حتى في أماكن أخرى غير المدرسة، ثم إن سلمى تريدك يا كارل

ولن تقاضيك، منشوراتها على فيسبوك تدل على ذلك فكُف عن شُكوكك أرجوك، قالت ماريانا.
- كيف علمت بشأن التسوية يا ماريانا؟ سأل كارل.
- منذ مدة طويلة وأنا أفكر في مساعدتك، لأجد بونيفاسيو يفكر في نفس الشيء، وكنت حينها قد لجأت لمحقق خاص، كان يتصل بي عند كل نقطة، وآخر مرة سلمني تقريرا عنك، ما أتاح لي التفكير في أفضل الطرق لمساعدتك ومنها تدبر عمل لك في نفس المدرسة التي تدرس فيها ابنتك باولا، قالت ماريانا.
- الأمر مذهل يا ماريانا، أنتِ حقا صديقة لا يمكن مضاهاتها، قال بونيفاسيو بحماس.
- فعلا يا بونيفاسيو، أذهلتني جهود ماريانا، حتى أنها لم تترك لي شيئا لأفعله، قال كارل.
- هل يمكن أن نقول إن قضية كارل قد حلت نهائيا ؟ يسأل بونيفاسيو.
- بقي أن نعرف ردة فعل سلمى، والتي أنا متأكدة أنها ستكون إيجابية، قالت ماريانا.
- لا أدري كيف أشكركما يا صديقاي، بغض النظر عن ردة فعل سلمى ففي النهاية سأتمكن من رؤية ابنتي باولا على الأقل، قال كارل.
- هل هذا يعني أنك لا تهتم لرؤية سلمى، يسأل بونيفاسيو.

- أنا أشتاق إليها كثيرا وأريدها أن تسامحني، وتتقبلني في حياتها من جديد، قال كارل.
- خذ هاتفي وكلمها فرقمها مسجل فيه، قالت ماريانا وقد أعطته الهاتف.
أمسك الهاتف وأجرى الاتصال مع سلمى، في انتظار الرد هيأ نفسه لعزف نفس المقطوعة التي بها تودد إليها يوم عرض عليها الزواج، وما إن سمعت المعزوفة على الخط، حتى راحت تبكي بمرارة، وقالت بصوت تغلب عليه شهقات البكاء **" انتظرتك طويلا,لا تخذلني هذه المرة "** وأقفلت الخط.
كانت ماريانا قد طلبت لكارل سيارة أجرة مسبقا، قالت لكارل ما الذي تنتظره فسلمى وولديك بانتظارك، حمل نفسه بسرعة إلى حيث تنتظره توأم روحه مع فلذات كبده، لتستوقفه انتظر لحظة، قالت خذ أوراق تعيينك في المدرسة, وامضي بسلام ولا تعد.
أخبرت ماريانا بونيفاسيو أن سلمى على علم بحال كارل منذ اعتلى خشبة المسرح، ولقد علمت منها أنه تغير تماما وأصبح مسؤولا فبإمكانه رعاية ولديه، لقد كانت من ضمن الجمهور الذي حضر المسرحية وصفق بحرارة، كان بونيفاسيو يقف مدهوشا من جهود عاملة المكتبة ومساعيها منقطعة النظير، تلك الملاك الذي أرسلته السماء لبعض البائسين في سانتا باربرا.

نظر إليها بونيفاسيو بتعجب وحب، وقال لها ألم يحن دوري بعد، قالت بلى يا بونيفاسيو لقد جعلتك آخرهم حتى أتفرغ لك كليا، وافترقا على هذه الكلمة، التي سعد بها جدا واعتبرها مؤشر جيد أن هذا الملاك يميل إليه بشكل خاص.

راح يمازحها ويقول : «إذا كنت تعرفين أن سلمى تريد كارل فلما كل هذه الدراما في التعامل مع كارل، والاحتياط في الإجراءات القانونية، وغيرها، رغم أن الأمر محسوم سلفا »، أجابته مارينا : «لسببين الأول أني كنت أريد تهيئة كارل نفسيا وذهنيا بجعله يعيش الحالة في ذهنه قبل واقعه, فيذوب الكثير من الجليد المتراكم في قلبه وعقله، والثاني أني وعدت سلمى أن كارل سيغدو إنسانا متكاملا وفق أعلى المعايير، وهذا ما حصل, فتدبير عمل له مع إخضاعه لطبيب نفسي يبعث في نفسه الارتياح ليعود لسلمى بكامل ثقته، كنت أريده أمرا سلسا لكن ليس سهلا ».

- أنتِ حقا ملاك سانتا باربرا يا ماريانا، أكتبي في وصيتك إن يكتب على قبرك " هنا ترقد القديسة ماريانا التي وهبت نفسها للجميع " قال بونيفاسيو ذاك وهو يطمع في بركاتها كونها فعلا صدّيقة وقديسة.

الفصل الثامن

تفتر الأمور عقب كل حدث كبير، ما يجعل الإنسان يشعر بالخواء، ويرغب في صناعة الظروف التي يريدها، يحاول عبثا تحريك كرة الثلج, ودفعها من القمة لتكبر معها الأحداث، لكنه لا يُحَصّل شيئا، فتلك الرتابة دين على عاتقه, عليه تسديده.

مر الأسبوع سريعا وبونيفاسيو ينتظر شيئا ما تفعله له ماريانا، لكن لم يحدث شيء, ما أشعره بالقلق نوعا ما، لكنه تذكر أن ماريانا ملاك فلن تفهم كيف تخطط, حتى يفاجئك إنجازها ويذهلك حسن صنيعها، هي من النوع الذي لا ترى مجهوده ولا تلمس ذلك حتى ترى الإنجازات الكبيرة التي تحدث فرقا، هي من النوع الذي يملك مخيلة واسعة ليربط الأمور ببعضها بسرعة فائقة، ويستثمر كل الموارد الممكنة والفرص المتاحة بلا هوادة، لقد ظهر هذا جليا لأصدقائها كارل وآنا ماريا بالإضافة لبونيفاسيو الذي ينتظر اللمسة الختامية.

الحقيقة أنه لا يعرف ما الذي يريده تحديدا أو ما هي المشكلة التي ينبغي أن تقوم ماريانا بحلها والقيام بأعبائها، هل يريد النجاح أم الحب، هل يريد الاستقرار والسعادة، لا يدري تحديدا. لكنه يشعر بالراحة لوجوده قربها، ووجودها قربه، يتذكر الماضي وكيف اختلط عليه الأمر، كان لا يحب أن يواجه نفسه في هذا الشأن رغم أهمية ذلك.

هل الدهاء والنشاط الذي يميز ماريانا يجعلها امرأة عقلانية لا تملك جانبا عاطفيا، أو ربما يجعلها تخفي هذا الجانب أو لا تسمح له أن يؤثر في حياتها، المؤكد أنه يجعل حظوظه معها ضعيفة، فكيف لماريانا أن تقبل الارتباط بمهاجر بائس، تذكر أن الاستسلام لهذه الأفكار قد يزيد الشقاق بينهما، ويجعل همته ضعيفة في محاولة فعل ما يلزم ليكون معها إلى الأبد.

ما الذي عليه فعله ليحفزها فتخرج عملاق التغيير، تغييره هو كما ينبغي، لا تعوزه الحيلة لكنه مخدر أمامها تماما، ليس بوسعه إلا الانتظار، وهذا ما أيقن نجاعته على الأقل في الوقت الراهن.

واصل الانهماك في عمله وجميع نشاطاته ما سمح للوقت أن ينفلت بسرعة، كان يدخر المال لشيء ما يلوح في الأفق، يريد الإثبات من خلاله لماريانا أنه شخص يستحق الاحترام، ليس الاحترام الذي تبذله للجميع، فهي تقدر الكل وتحترمهم حتى الأغبياء والفاشلين منهم، بل حتى المرضى أو المنحرفين، هو يريد ذلك الاحترام النابع من الداخل من غير شيء، من غير بذور يزرعها ليقطف ثمارها، لكن بدا له أن الأوان قد فات، فقد شكلت انطباعها عنه وهو ليس الذي يرضي طموحها.

تـذكر هديــة روبيكـا لميغـان ذات القيمــة المعنويــة، التــي تجسدت في سلوك قبل أن تكـون شـيئا عَيْنيـا، تلـك اللمسـة جعلـت الهديـة ذات قيمـة خالـدة، وذات احتفـاء مـن جميـع الذين سمعوا عنها، تساءل ما أكثر شـيء تقـدره ماريانـا؟ لا يصعب تخمين ذلك فلـن تعشـق المكتبيـة غيـر الكتـب، ترى ما شكل الكتاب الذي يمكنه إهداؤه لها، كم يبدو الأمر مبتذلا أن يهديها كتابا يمكن للجميع اقتناؤه وأولهـم هـي، لكن علـى مـا يبـدو أن الخيـوط ترابطـت فـي ذهنـه، هـي تعشق الكتب ما جعلها تحتل حيزا كبيرا في حياتهـا، مـاذا لو ألف الكتاب خصيصا لها، ماذا لو حمل لمسـة شخصـية إلى حد بعيد، مثل الرسائل تتميز بظرفية آنية مع أثر خالـد وانطباع عميق حتى لو قرأتها بعد مليون عام, فقـط ابـق حيا لذلك العهد، سيكون كتابا عن الحب أو رسالة طويلة تجعله يفرغ محتواه في تلك السطور، لكن يجـب أن يكـون هذا العمل على غير العادة، مميز ومبدع بل ومتنـاهي فـي العظمة، على الأقل سيكون محاولة جيـدة لتحريـك جانبهـا العاطفي الخامل أو هكذا يعتقد.

عقـد العـزم علـى كتابتـه بـلا كلـل أو ملـل، إنـه الرهـان الأخير مع ماريانا، وإلا سيكون عليه أن يتصرف تصرفا مجنونا قياسا على ظروفه وعالمه المحدود، هـذا مـا فكـر فيه بونيفاسيو ووضعه قيد الفعل.

بدأت مشاكل تأليف كتاب تطفو على السطح، كيف سيكون شكل الكتاب؛ حجمه عدد صفحاته؛ موضوعه, وأسلوب لغته، حتى العناصر التي ستجعل منه قوي التأثير كان لكل هذا نصيب في تشكيل الحيرة، هل يحوي شيفرات أم سيكون صريحا بلا تلميح هكذا تساءل، لكنه قرر سريعا خوض التجربة بتمرد وجرأة تليق بمستوى ماريانا في قلبه، ولم يسمح لفوضى تفكيره أن تشتته وتحرمه من متعة تأليف الكتاب الذي سيغدو أهم حدث في حياته العاطفية.

هل سيبدأ الكتاب بإهداء أم مقدمة؟ ثم كيف سيكتب أيهما، نزوعه إلى الارتباك والحيرة يكاد لا ينفك عنه، فكر أن الجميع يبدأ إهداء الكتاب إلى شخص مهم في حياة الكاتب أو كان له دور ما في ظهور الكتاب، والمقدمة عادة ما تكون تمهيد يدخل ذهن القارئ في موضوع الكتاب، ويأخذ به لعمق الكتاب برفق، سيتعين عليه ترك الإهداء أو جعله لها على الأقل، وخوض المقدمة بشكل خاص جدا، هو لا يتعامل مع شريحة عريضة من القراء، هو يكتب مقدمة لشخص واحد فقط، يريد جعل قلبه ينبض على معزوفة الكلمات هذه، ليست خطوة صوب تنوير عقل بل خطوة للقفز على آلاف التجارب والتصورات ودحرها للغوص حيث أعمق المشاعر الفطرية في وجدان إنسان محدد، مستهدف واحد، وإعادة بناء وازع قوي يدفعه نحوه بلهفة

كل البشر، هذا ما عليه كتابته في المقدمة، ليكسب قلبها بلا عناء.

مشروع كتاب

بدأ يكتب بنهم وعلى الأرجح لن يتوقف هذه المرة، لن يكون مشروعه المؤجل ولا فكرته حبيسة الذهن، هذا شيء قيد التنفيذ قد بدأ يشق طريقه للنور.

الورقة الأولى

إهداء

أنا لا أهديكِ الكتاب والكلمات، أنا أُهْدِيني إليكِ بكامل قواي العقلية والقلبية، لنرسم خطوطا بين النجوم تشكل ملامح مستقبلنا معا، مع بعض الأمنيات العالقة، والكثير من الجهد الذي يكفي لتغيير العالم ودخول الإنسانية عهدا جديدا ومستوى أعلى يتقبل الحب بلا تكلف أو تفلت، ويجعلنا نمارسه نقيا بلا شروط أو قيود أو حتى التزامات فهو كبير جدا لدرجة أنه أكثر من كافٍ.

كتب هذا الإهداء وارتاح له بما يكفي ليخطـه فـي مسـودته دون رغبة في تعديله، ما جعله فـي مواجهـة مـع المقدمـة، هل سيجعلها كلمات ذات روح شـعرية، أم يجعـل فيهـا مـا يسـتفز عقلهـا القـوي، هـو يعلـم جـدا مـدى متعـة العقـلاء بالأفكار وتفتق الأذهان بشيء جديد، وأن الكلمات العاطفية جـدا تبـدوا لهـم جوفـاء، كيـف لـه المصـالحة بـين جـانبين متعارضين، جانب يريده ويحسنه، وجانب تعيشه هي حتى النخاع وعلى الأغلـب لـن تكـون لهـا لـذة إلا مـن خلالـه، تمنى أن تكون مقدمة كتابـه تحمـل الجـانبين لكنـه سـيكتبها على أية حال، ومهما يكن فكل إنسان يحمـل الجـانبين معـا في أعماقه، جانب عـاطفي وجانـب عقلانـي منطقـي، وإن كـان فيهـا جانـب ضـعيف فسيسـتفزه بقـوة كلماتـه التـي سيحبّرها لها تحبيرا.

الورقة الثانية

مقدمة

كنت أتساءل طوال حياتي السابقة وأنا أعيش في ترينيداد عن شكل المستقبل الذي سأعيشه، حتى المستقبل الذي أستحقه أخذ حيزا من تفكيري وتساؤلاتي، لم يكن هاجسا يتملكني لكنه لازمني، لقد بدا موحشا وشاحبا أن أموت مزارعا لا يكاد يذكر حتى في محيطه الضيق الذي نشأ فيه، زيادة على أن الظروف ما كانت لتساعد على انطلاقة بالشغف اللازم والحافز القوي لفعل شيء ما، ما حدا بي إلى الهجرة إلى الأراضي الأمريكية، لعيش مستقبل بمعايير عالية الجودة، ما يجعل حياتي مثالية قدر الإمكان.

حصل تغيير طفيف في خطة القدر ومسار الأحداث لكنه تغير جوهري وجذري بالنسبة لي، ما غير شكل نظرتي للمستقبل، فلم تعد تلك الأشياء التي أريدها مهمة بالنسبة لي، ولا المكان الذي أنشدها فيه، عدا شيئا واحدا وهو مع من سيكون هذا المستقبل بغض النظر عن كونه مستقبلا يحمل صبغة معينة أو مختلفة، فقط شخص يكون تعويضا مجزيا وعادلا عَمّا مضى من حياتي البائسة، هذا التحول كان أجمل شيء حصل لي هنا.

الأهم مما سبق كله أنكِ كنتِ التحول والنضج ، السبب والغاية، أنت المرأة التي سيكون مستقبلي معها مرضيا، والحياة برفقتها لطيفة جدا للدرجة التي أكون فيها راضيا تماما عن وجودي في هذا العالم الشرس.

بعد أن صرت أملك اليقين الكافي أن ما أشعر به نحوك ليس شيئا عاديا قد أستطيع منحه لغيرك، أو أنه حالة وليدة ظروف غريبتي أو أنه نابع من شعوري بالوحدة، قررت كتابة هذه الصفحات, لأبوح لك بهذا الشعور العميق الذي تملكني نحوك وبذلني لك وكأنني خلقت لك من الأزل وإلى الأبد، بل أنا فعلا كذلك.

اقرئي هذا الكتاب ولا تنحي قلبك جانبا، فهو فرصة ليكتشف مدى جمال عمق الشعور دون عبء التفكير، ثم ليكون رحلة تكوين فيها أكثر حريةً وانطلاقا نحو مساحات شاسعة كان يحرمك منها انهماكُك في الحياة بكل هذا العقل والتعقل.

هذا الكتاب كتب لك خصيصا فكوني له على الأقل لبعض الوقت وبكامل قلبك ووجدانك، أنا أؤمن بقدرتك على ذلك، أؤمن بكل ما أوتيت من يقين، أنك ستقرئينه وأنت متجردة من كل تلك الترسانة التي أكتسبتها عبر السنين.
انتهى.

بعد أن أتم كتابة المقدمة، استلقى على سريره في تلك الغرفة أعلى البناية، وشرع يفكر في حياته، وتجربته في أمريكا، قدومه إلى هنا كان مجازفة غير محسوبة المخاطر، رغم أن الأمر معهود وعادي جدا، فمحاولات التسلل روتين يومي لآلاف المهاجرين، لكن لما التفكير, فقد وجد موطئ قدم شرعي في سانتا باربرا بفضل ماريانا التي أصبحت كفيلته قانونيا، ثم فكر في باولا التي طالما فكر فيها وهو يعيش في تريندا، تلك الفتاة اللطيفة التي تساعد الفقراء وصغار المزارعين، وتحسن استقبالهم في مبنى البلدية، فكثيرا ما أرغمت العمدة على النظر لهم بعين الاهتمام، كان يشعر نحوها بامتنان كبير فهي التي ساعدته في تكاليف علاج والدته الراحلة، آخر مرة رآها كانت يوم مغادرته وهي تهم بدخول الكابتال مقر البلدية كما يحلو لخورخي رئيس البلدية تسميته، أراد العودة إلى الكتابة, فقد غدا أمام جوهر الكتاب، كان يعلم أهمية الخطوة الأولى، فهذه الخطوة هي ما سيحدد ملامح الكتاب وشكله حتى النهاية، يريد لملمة نفسه من هذا الشتات بسرعة، والنهوض لعبء الكتابة المريح، يريد بسرعة دخول تلك الحالة الوجدانية من الاستغراق في الاسترسال، شعر أن عليه تسمية الفصول ليستطيع على ضوء الأسماء أن يكتب في بابها ما يحلو له، وفجأة طفت في ذهنه فكرة أن يكون الكتاب من فصل واحد، لكن كيف

سيسوغ ذلك القارئ، حتى ولو كان الكتاب رزمة رسائل أو خواطر أو مقالات أو أي شيء آخر فهو في النهاية شيء شخصي مكتوب لشخص واحد فقط، فلا داعي أن يوافق مقاسات الجميع، فإن لاقى قبولا فليكن وإلا فالأمر برمته ليس بتلك الأهمية، هو يكتب لها، لماريانا يكتب وبعناية، وهي الوحيدة التي سيهتم لانطباعها وما يقع في نفسها بعد قراءتها للكتاب، الكتاب ذو الفصل الواحد، لكنه لابد أن يسوّغ الأمر بشيء لطيف.

كتب على الورقة الثالثة إذ اعتبر أن الإهداء سيكون على الورقة الأولى والمقدمة ستكون على الورقة الثانية ، وما سيخطه الآن وسط الصفحة الثالثة هو كلمة تسوغ اقتصار الكتاب على فصل واحد، سيكون عليه الاعتناء بتنسيق الطباعة حتى لا تمتد المقدمة لأكثر من ورقة، على كل حال ليس عليه ترقيم الصفحات حتى يظهر له ما يحتاجه كل جزء من الصفحات، لا يهم وليس عليه القلق بهذا الشأن الذي قد يشتته أو يقلل من تركيزه، فليكتب, فقط يكتب.

الورقة الثالثة

كتبته لك فصلا واحدا

لأن الفصول الأخرى سنكتبها معا.

الورقة الرابعة

في هذا الفصل الواحد يا ماريانا سأحاول جاهدا ترجمة مشاعري نحوك على نَحْوٍ يوافق تميزك في قلبي وعلى الحقيقة كذلك، سيظهر فيه بونيفاسيو العاشق جليا، مع بونيفاسيو الإنسان والحالم والمهاجر، مع شيء من ألوان الماضي وبعض تحولات الحاضر حتى الآفاق المستقبلية معك ستبدو بكامل ألقها وأناقتها في سطور هذا الكتاب.

ولعل أهم ما سيكون في سطور هذا الكتاب هو ماريانا، المرأة التي هي أنعم من الماء سلاسة ورِقَّة, لكنها أقسى من الصخر تماسكا وقوةً، وعلى قدر ضآلتها في الكون هي عميقة وواسعة كالمحيط أو كأقطار السماء، وعلى قدر بساطة شكلها هي فسيفساء نجميه في صفحة ليلة هادئة وصافية.

لن يكون هناك داع لأن يقرأ الناس تلك الفصول التي نكتبها معا يوما ما، أو حتى الفصل الواحد الذي كتبته لكِ, فهي أشياء أُكبر من السطور والكلمات والجُمل المنمقة، تلك الفصول جميعها هي مشاعرنا يا ماريانا التي نخطها على أوراق الوعي والوجدان تحت نور القمر لنجسدها أنا وأنتِ حقيقة تحت ضوء الشمس، وستكون الفواصل والنقاط استراحات من حب إلى حب أكبر.

الورقة الخامسة

شيء أعيشه

ولا أستطيع التعبير عنه, إنه الحب.

هذه الكلمات ترجمان لشيء في قلبي، هو أكبر من أن تستوعبه الحروف أو حتى القصائد، لكن قلبك يستطيع أن يلج بها لعالمي، ربما بإمكانه أن يشعر باختلاجتي كما لو أنها ولدت فيه هو أيضا، مثل خارقة من خوارق الطبيعة التي ينتظرها المؤمنون على مر التاريخ .

الورقة السادسة

لِننغمس في الحب انغماسه لا شقاء بعدها.

إن الكلمات مفاتيح لشيء غامض لن تفهمه حتى تدخل فيه جميعك, ليس فقط بوعيك أو فكرك، بل الانغماس فيه بكامل عواطفك، فأرجوك يا ماريانا أدخلي بسلام يا كل غرقي وكل نجاتي.

الورقة السابعة

العقل والعاطفة صنوان، بينهما تولد أفضل حالات الإنسان.

كنت دائمًا أؤمن أن العشاق هم أعقل الناس، كيف لا وتلك الفطرة العميقة والنقية في النفس تحتاج إلى جهد عقلي كبير حتى تصرفها النفس إلى مستحقها الذي خلق لها والأقدر على احتوائها، فالعاطفة والعقل مكتملان عند هؤلاء العشاق، لا يمكن أن يسمح العقل بهدر العاطفة، ولا العاطفة تسمح ببناء علاقة عقلية مع إنسان بدون عمق الشعور، فيظل كلاهما في تفاوض حتى يلوح في الأفق ذلك المنشود الذي يشبعهما معا، ثم يستسلم العقل والعاطفة إليه بالكلية، أما بقية الناس فلهم جانب واحد مسيطر، ما يجعل حياتهم غير متوازنة وغير مستقرة.

الورقة الثامنة

أنتِ كالسفينة

أريدها أن ترسو لكن خلقتِ للإبحار.

هذا ما يؤرقني يا ماريانا، أن أريدك لي وأنت مصنوعة لتكوني للجميع، تبذلين الاهتمام والرعاية كأن حياة الآخرين تتوقف عليك، قيامك بهذا يبعث الراحة والاطمئنان والرضي في نفسك وأنا لا أعترض عليه, لكن لنفسك عليك حق، وأول حقوق نفسك عليك أن تبحثي عن مرسى الأمان، وتعيشي حياتك كفتاة في مثلك سنك.

الورقة التاسعة

أنتِ مثل الأشياء التي تأتي لترفع مستوى الذوق والوعي والنضج وحتى الذكاء, أنتِ فقط شيء حقيقي.

لأشد ما أسعدني منك يا ماريانا رغبتك في جعلي أفضل، وهذا ما ينشده الرجل في الحياة, أن يغدو أفضل دائما، وهذا ما تفعله المرأة أيضا حتى دون شعور منها، وجودها كفيل ببقاء مكنة التحسن تعمل بكامل طاقتها، من أجلك سأظل أعزف الموسيقى وأجمع القصائد من عينيك الجميلتين.

الورقة العاشرة

تنويه ' أنا أحبك و ستقعين في حبي لا محالة.

كانت تزرع الانطباعات الجميلة هنا وهناك، حتى يغرق الكون وأنا، ولقد كُنتُ الوحيد الذي يعي ذلك، ويعمل على فعل شيء ما حياله بحكمة.

الورقة الحادية عشرة

تشبهين المؤامرة التي تهافت عليها الأبرياء.

أحب رغبتك في تلوين عالمي بطريقتك لكنني كنت أخشى- أن يبتلعك الظلام والفراغ الذي إستوطنني قبلك، الآن وقد أشرق عالمي بنورك، أدعوك للمسة الختام، لقد أنفقت من الانتظار القليل، لا يهمني كثيره أو قليله، لكن عمر الإنسان محدود يا ماريانا.

الورقة الثانية عشرة

في البداية لم أفهم تلك المجهودات، لكني الآن أعلم لأني أقف على أساس متين، ما يجعلني قويا بشكل لم أعرفه من قبل، ولقد أيقنت أن في كل لحظات القوة هناك جانب ضعيف بحاجة إليك.

ضحكتك

وجهك

نظرتك المختلفة.

لقد راهنتِ عليّ منذ أول يوم، كنتِ ترين في قلبي ما لا أرى، لقد آمنت بقدرتك على تحويل الخامات إلى أشياء فريدة، أنا قيد التحول رغم كل هذا الثبات.

فاصل و نواصل

هذه اثنتي عشرة ورقة لنضعها جانبا ثم لنبدأ أوراقا جديدة بشكل آخر، لنعتبر كل ما سبق شهور السنة التي مضت، كيف سيكون حبنا إذا بدأنا السنة الجديدة بشيء مختلف ؟.

كان سعيدا بهذا الحد الذي كتبه، لقد فكر بينه وبين نفسه أن يكتفي بهذا ويرسله على شكل رسالة، لكن أعماقه تريد شيئا مختلفا ومميزا، كيف لا وهدف الرسالة أو الكتاب استمالة قلب ماريانا ذات العقل الحارس لكل مشاعرها، لم يسمح للكسل أن يمنعه من إتمام مشروعه الكبير، حتى العجز التام ما كان ليقدر على إيقاف انجرافه نحو ماريانا، إنها معركته التي خاضها في أعماقه وانتصر فيها، لقد تجاوز أمر العقبات والاستسلام لها، ألوان الخوف والكسل والعجز والتردد والملل تبددت سريعا أمام ثقته المفرطة، وطاقته الكبيرة وحسن تلاعبه بالكلمات، ولقد عقد العزم على جرّ ماريانا إلى عالمه الهادئ رغم حيويتها المفرطة و نشاطها منقطع النظير.

كتب أيضا

لا زلت أذكر كلمات والدي الراحل، « بني, عندما تجد الحب الحقيقي تكون قد وصلت إلى الضفة الآمنة، تذكر أن رحلة أبحارك لن تكون إلا حزمة أسئلة تصل بها إلى كل مكان، وتذكر أن الحب هو الوجه الآخر لكل الأشياء الفاضلة والنبيلة في هذه الحياة ».

ماهو الحب ؟

سؤال جوهري ينبغي أن أجيب عنه دون تلكؤ، بعيدا عن تعريف الحب الجامع المانع المعروف, سأقول فيه ما أعرفه وأشعر به وأعيشه، إنه حبي لك فقط يا ماريانا، وليس ما يشترك فيه كل البشر ويختبرونه جيلا بعد جيل، لهذا قد تكون كلمتي فيه غير ما تعرفين، سواء حصل ذلك أم لم يحصل تأكدي أنني أشعر نحوك بشيء كبير ومختلف وجنوني وراسخ.

كثيرة هي الأشياء التي جمالها يبقى في أنها أسئلة دون إجابات، لأن الخوض فيها هو التوغل في بحر بلا ساحل, وكل ما قيل فيها مجرد وجهات نظر، ولعل أشهرها فقط كلمات صِيغت بأسلوب جميل أو وافقت نمط حياة معين تبناه بعض البشر.

أعرف أن رحلة التساؤلات شاقة على من لا يملك الأدوات التي بها يجد الإجابات ويستيقنها، لكن في النهاية لا بد أن أدلو بدلوي، فلن أضر العالم إذا زدته هراءً فوق الهراء الغارق فيه إلى أخمص القدمين، لكني سأكون سعيدا والبشرية معا إذا أتيت بشيء جديد يفك طلاسم كانت يوما ما غامضة، ولم تُستغرق الاستغراق الكافي.

من المؤكد أن الحب هو سيد المشاعر وأفضلها وأنبلها، فهو الموجه لبوصلة جميع المشاعر الأخرى صوب شخص واحد أو فئة أو حتى كيان جامد أو مفهوم معنوي،

كلنا نملك حزمة مشاعر لنمنحها بشكلها النقي الصافي دون غرض أو غاية لشخص دون آخر فنحن نحتاج إلى الحب لحل معضلة الاختيار هذه، كذلك هو الباعث لإعطائها قيمة وجعلها ذات غاية ومغزى، ما الجدوى من إحسان بلا حب يا ماريانا، ما الغاية والمغزى من بذل وعطاء وتضحية واستماتة بلا شعور عميق اسمه الحب، كل تلك الخصال الجميلة، كالرحمة والبذل والعطاء والإخلاص والوفاء وغيرها نابعة من الحب، الحب هو صندوقها الأسود وتجليه وظله على الواقع، قد تخالفينني في أنها فقط خصال حميدة تظهر الحب ولولاها لما اعترفنا بهذا الحب ولا آمنا بوجوده، فهي من أعطت له قيمة وغاية، لكن لا تنسي أن توجه القلب وميلانه هو الحب، وكل تلك الخصال هي ترجمان ذلك الميلان، لكن ما رأيك في من يملك الحب مع بقائه يراقب من بعيد دون إحداث أدنى حركة أو انفعال، أليس هذا شخص جسد الحب بطريقة مختلفة، طريقة راقية وسامية جعلته ينتظر معجزة، أو حتى أنه اكتفى بعمق الشعور دون التورط في محاولة اللعب على نسيج القدر لتحقيق مأرب ما يُحَجِّم جبروت الحب الهائل، هو هكذا أحب وانتهى الأمر، دون النظر إلى الجانب الآخر في ماذا سيستفيد ذلك الشخص من هذا الحب الذي وُجّه إليه، ليس هناك نزعة أنانية أفضع من أن أطالب أحدهم ببراهين الحب وآياته أو أن آسى وأحزن على كونه في الظاهر مثله مثل من لا يحب، لا أبدا لن يكون هذا فالحب غير مشروط، الحب نابع في القلب ويبقى في القلب أما تلك المزايا والخصال والخِلال فهي نابعة من وازع أخلاقي وضمير حي فقط.

أين يولد الحب؟

يولد الحب في ظل الرفقة والشعور بالأنس والأمان على شكل زخات طمأنينة وسكينة وثقة وارتياح، لكن هناك تراكمات عميقة في التجربة الذهنية و الشعورية لدى الإنسان تجعله يُصيغ تعريفا خاصا به بعيدا عن الحقيقة، وهذا ما لا نريد أن نقع فيه، تلك التشكيلة الظاهرة في الوعي أو أعماق الوعي لها امتدادات متجذرة في الغريزة والفطرة ما يجعلني أعتقد أنه احتياج فطري يترجم في ما بعد بالحب، احتياج لأكون إنسانا أو كائنا يمكن له العيش بين بعدين بعده الشخصي الخاص به وبعده الاجتماعي في ظل كونه عضو فاعل في جماعة، تلك الجذور العميقة وجدت لتحمي ضرورة البقاء ككائن وجنس وضرورة البقاء متصالحا بكل هذا الوعي والإدراك المرعب، مثل الطفل الصغير الذي كان يوم وُلد لا يعرف شيئا ثم تشكل له مع الوقت وعي بغريزة ما تجاه أمه يسميها حبا من منطلق أنسه ورفقته بها ومعها دون تكلف، لكن كيف بدأ الأمر مع هذا الطفل، الكائن الجديد من غير تجربة أو وعي، ويبقى السؤال.

مازلت أسأل نفسي عن الحب، ما هو الحب؟

هل هو مجرد طاقة عاطفية تحملك على توجيه بوصلة اهتمامك بعيدا كل البعد عن الاهتمام أو التشارك أو الاحتواء أو التشابه أو التكامل، يعني قد تغضب وتهجر أو ترضى ولا تلتزم بالوعود دون مساس بالحب وجوهره في نفسك، فالحب ليس هو التجلي، الضوء ليس هو طيف الألوان، كنت دائما أتساءل أهو الوقود أم النار أم الدخان ؟ وتبقى حزمة الأسئلة، شيء بائس جدا أن لا تملك الإجابات، لكن الأكثر بؤسا أن تكون بلا أسئلة، ما الفرق بين الحطبة والرجل الذي لا يسأل ولا يتساءل يا ماريانا؟

هل يولد الحب معنا؟ ما يعني أن جوهر الحب هو القابلية للحب، مثل القانون الذي سمح وُجوده بصفته قانون بوجود البشر بصفتهم بشر، لست أدري هل البشر هم القانون الذي سمح بوجودهم على ما هم عليه قبل أن يكونوا أم هم تجسد البشر- ووجودهم فقط بغض النظر عن القانون، حقا لست أدري، كذلك الحب لست أدري، لكنني أتساءل وسأظل أتساءل، الأرض التي نغرس عليها الشعور ونغميه، ومع شيء من هنا وشيء من هناك نُكون شخصية الحب ونجسده ملموسا، هل الحب هو الغرس أم الأرض أم شيء آخر لا تصل إليه مخيلتي؟

هل هو شيء يتشكل معنا؟ ما يعني أنه صنيعة ظروف واختيارات وقرارات وخبرة، يمكن تطويعها في ظل توفر النضج الكافي والإرادة.

هل الحب بناء متكون من أشياء أخرى كالشعور باللذة والفرح و الأمان والإدمان أو حتى الآنية، أم هو شيء أصيل كامل عميق في النفس قديم معها؟

هل هو مجموعة صفات أم شعور فقط؟ في أعماقي أراه شعور أعمق من أن يستوعبه الوعي أو يحوطه الإدراك وكما قلت سابقا تبقى كثير من الأشياء رائعة في كونها أسئلة لا أُكثر, فمهما يكن لن يحرمنا أحد منه.

لا تبحثي عن أجوبة ابحثي عن السؤال الصحيح، السؤال المناسب يا ماريانا، مع مسار الأسئلة المناسبة سنكون معا في نهاية المطاف.

من أنا ؟

هذا أصعب سؤال يمكن أن يسأله الإنسان لنفسه، من السهل أن تجيب على هذا السؤال إن لم تكن أنت السائل لنفسك، ففي النهاية يريد ذلك السائل شيئا ما، فما الذي تريده أنت من سؤال نفسك هذا السؤال؟، من تسرع بالإجابة كان مجرد متسرع لا أكثر، فالأمر أبعد وأعمق مما قد يعتقد أو يتصور، عندما أحصر نفسي في حدود الانتماء والصفات التي تميزني عن الآخرين والأفعال التي أفعلها أو المستوى الذي وصلت إليه، هل يعني هذا أنني أنا التوصيف، سأحاول التقريب يا ماريانا، لان الكثيرين يحكمهم في اختيار الإجابة المزاج والحالة أو التمسك بشيء ملموس لكنهم في الحقيقة يشبهون الغريق الذي يتمسك بقشة.

وهل هذا السؤال مهم من الأساس؟ ربما هو كذلك وربما لا، لكن جوهر كل سؤال مهم وأثره بالغ النفع، لوضع بذرة في النفس تشق طريقها في الوعي بشكل من الأشكال، وإني وضعت الكثير من البذور، وإني استبطئ الزمن حتى تكوني معي يوم الحصاد.

اقرئي أيسر جواب يا ماريانا.

أنا المزارع الذي جاء من ترينداد يحمل في يده سلة الغلال، وفي قلبه آلاف الكلمات التي يحلم أن يرتد إليه صداها منك، وقد تشبعت بالحب والدفء.

هذا الجواب اليسير يشبه الرغيف التي أتناولها دفعا للجوع ورغبة في الاستمرار على قيد الحياة، أنتِ تعرفين أنه ينبغي أن آكل من جديد لأن الجوع يتجدد، ما يستدعي مزيدا من الطعام، والطعام يختلف كل مرة ويتنوع وهكذا، فعلى أي أساس يكون الرغيف هي التعريف للحاجة للأكل أو البقاء حيا، هل أنا بحاجة إلى تعريف مختلف

كل مرة؟، لان الرغيف أو الطعام يختلف كل مرة، حتى الأكل بحد ذاته لا يمكن أن يكفي كتعريف، كنت بحاجة للأكل لأبقى حيا كذلك كنت بحاجة إلى تعريف يعبر عني على وجه الحقيقة ، أنا بحاجة لتعريف أدل به الآخرين على ذاتي، لقد كنت بحاجة لهذا التعريف ليشكل لي هوية أتميز بها لكنها في النهاية هوية مؤقتة آنية لحظية قابلة للتغير، إذن ما هو الشيء الأصيل فينا والذي لا يتغير مع الظروف والأزمنة والأماكن، كل شخص يحلم أو يريد أن يجعل له هوية مميزة يقدمها لنفسه وللآخرين، ما يجعله يتحدث عن أجمل صفاته ومميزاته، لكن من المؤكد أن هذه الصفات والمميزات ليست هي تعريفه فما هي إلا حالة، والأحرى بالإنسان أن يعرف نفسه بالوعي والإدراك الذي يستوعبه في الماضي والحاضر والمستقبل.

ما يعني أن الإجابة ليست بتلك السهولة، قد أستطيع صياغة جملة أو فقرة أو نصا تعريفيا لا ينطبق إلا علي, أنا فقط، ما يجعله يوافق معايير التعريف، ككلام جامع لصفاتي مانع لاشتراك غيري معي فيها، لكنك تشعرين في أعماقكِ أن هذا التعريف قد أفتقد الروح والجوهر، لأنه يجعل الآخرين يستطيعون العثور علي فقط، لكن لا يمكنهم معرفة جوهري، لهذا سأبقى أصر أنني الوعي والإدراك لذاتي وصفاتي وللعالم من حولي ولا أزيد على ذلك.

- من أنتِ ؟

آه يا ماريانا هذا أيضا سؤال صعب، لكن مادمت تورطت بطرح السؤال فلابد من الإجابة، في الحقيقة أنا أريد رحلة تشكيل وعي جديد في هذه اللحظات التي أُكتب فيها هذه السطور، تمني لي التوفيق والحظ فقط.

سأبدأ بهذا السؤال: هل أنتِ في إدراكي نَفْسُك على أرض الواقع أم أنتما شيئان مختلفان، هل أنت مجرد تصورات وانطباعات وحوادث تشكلت في ملف ذهني محفوظ في الذاكرة وكلما تعاملت معك استخدمت هذا الملف الذي هو قابل للتعديل والزيادة مع طول التجربة، أم أنتِ شيء أكبر وأعمق وأعظم، سأنجرف وراء هواي وشغفي بك حبا, وأقول أنكِ شيء أكبر؛ أعمق؛ أعظم، امرأة لا تتوقف عن النمو والاتساع واستحضار التجلي بكل ألوانه، حقا هي شيء مذهل بعيد عن كل تعريف يحصرها أو توصيف يبخسها حقها، وسأظل أخوض متعة التساؤل.

- تساؤل آخر عن القلب والعقل.

ما دمنا تطرقنا إلى جانبين في شخصيتك وهما العقل والقلب فحق لي أن أتساءل ثم أوضح نظرتي لأداة كل منهما، فما هو العقل وما هو القلب؟ وما علاقتهما ببعضهما أم هما مجرد جانبان للذهن تخدمها الذاكرة على قدر جهدها وكفاءتها.

ماهو القلب ؟

القلب مجرد عواطف ومشاعر تكتسينا، نكتسبها بعمق التجربة فإذا تقبلها التفكير وأجازها المنطق وجرت عليها العادة خزنت في جانب العواطف لتبقى سمة تميزنا وشيء نداوم عليه حتى لا نحتاج إلى التفكير فيه من جديد، يعني أن العاطفة شيء فوق التفكير، والمشاعر هي ميلان ونداء يظهر علينا إذا ما كسر هذا النمط، كأنها التلقائية التي نمارسها في الأشياء ذات القيمة لدينا، إذن القلب هو مستودع الأفكار الثمينة التي قررنا وعيا أنها ستبقى معنا إلى النهاية، والمشاعر هي ناقوس الخطر الذي يعلمنا أن هناك نقص واحتياج أو حرمان من النمط وفق تصورنا العقلي، العاطفة قالب والمشاعر ترميم ونمو إن جاز التعبير.

ماهو العقل؟

هل العقل هو التفكير والمنطق الذي اكتسبناه من التجربة تلو التجربة, والملاحظة والمُباشرة للموجودات مع العلاقات التي تحكمها، والتي تعصمنا من الوقوع في مطب عدم الانسجام معها والتعاطي معها بشكل حرج، فالموجودات والعلاقات فيما بينها هي الحياة ككل, والتي نحن جزء منها، لقد كونا المنطق والتفكير كَمَلَكة بما يتناسب بالضرورة مع الحياة وشكلها وحتمية قوانينها الكونية والفيزيائية، وأنتِ تعرفين أن كل شيء محكوم بقانون حتى الفوضى والفراغ والتلاشي والعدم وغيرها من الأشياء، لا تنفك عن كونها تجري في قوالب تحكمها قوانين، ما يعني أن العقل في النهاية هو الآلية التي يتصرف الإنسان من خلالها، ووفقها يُكون نمط معين يحقق به إنجازات ويعيش من خلاله في أمان وراحة.

لقد كانت رحلة بناء العقل شاقة ودقيقة، فكلما كانت هذه التجربة ثرية عَظُمت ملكة المنطق وقوة التفكير والوعي والنبوغ والملاحظة والذاكرة والمخيلة لدينا، ويظهر هذا في حسن اتخاذ القرار وسرعته وشموليته، ويظهر كذلك جليا في المواقف والأفعال السليمة المتزنة التي يتمتع بها العقلاء، وتسخير الموجودات كلها لصالح الإنسان والمبادئ التي يؤمن بها، فقط هناك ملاحظة علينا أن ننتبه لها وهي أن التفكير والمخيلة والذاكرة وغيرها هي أدوات أو وظائف العقل وليست العقل نفسه، يمكننا أن نقول إن العقل هو جوهر الوعي والإدراك هو نحن بشكل ما.

نستنتج من هذا كله أن العقل والقلب مستويان الأول هو العقل وهو الأسفل أي هو الأرضية التي من خلالها يُباشر الإنسان الحياة ثم يكتسب أنماط تلك الأنماط ترتقي للمستوى الأعلى أي إلى القلب فتحزن كعواطف تلذ الإنسان وترضيه، فيداوم عليها

دون الحاجة للتفكير أو الإحساس بها أو الحاجة لإعادة تبريرها واختبارها، فقط يفعلها لأنها جانبه العاطفي القلبي، وإذا شعر بالاحتياج والنقص فيها، هاجت المشاعر كنداء لإعادة التجربة أو فعل شيء ما حيال هذا النقص، والعقل أو التفكير والحكم والتصور والمقارنة أدوات تكسب الإنسان لغة دقيقة وحيادية في التعامل مع الحياة.

كل هذا الارتباك في التعاريف والتوصيفات والارتباطات بين العقل والقلب أو التفكير والعاطفة نابع من الفوضى التي تولدت أثناء فترة التكوين، تكوين الشخص الذي لا يعلم أن العاطفة والعقل جانبان للذهن ينبغي أن ينسجما ويتكاملا معا، وما التعاسة إلا إشارة من أعماق الوعي على شكل إيحاء تعلمه أن الأمور ليست على ما يرام، لمراجعة التجربة ليُعيد البناء على أسُس سليمة، حتى يمكننا المصالحة بين العقل والقلب أو جانبا الذهن الذي نتواصل به مع الحياة، فلنكتسب زخم التجربة، ولا داعي للخوف فكل سمة فينا هي مجرد سمة عارضة وليست شيئا أصيلا في النفس والشخصية، ورحلة الإنسان هي التحول والنمو والتجربة.

ماذا أريد منك؟

بعد أن وضحت من أنا ومن أنتِ وما هو الحب وما هو العقل وما هو القلب، أحتاج الآن أن أسأل سؤالا أخيرا وهو ماذا أريد منكِ؟

لقد كنتِ المرأة الكاملة التي تفوقت على أجود معاييري، فغدت هذه المعايير سخيفة في ظل وجودها، كان وضع المعايير يا عزيزتي شيء بدائي ومرتجل قبل تجليك في عالمي،

الأمر يشبه المسابقة التي يحق للنساء المشاركة فيها، أنا أبحث عن تلك المميزة التي لا تشبه الأخريات، أبحث وأقارن بيني وبين نفسي فكان لك أثر أعقبه أثر آخر، الأثر الأول كان في أنك رفعت جودة المعايير بما يستحيل على غيرك مضاهاتك فيها، كأن حضورك في قلبي يقول هكذا ينبغي أن تكون المعايير وهكذا ينبغي أن يكون التقييم، ثم جاء الأثر الثاني ليطيح بجميع المعايير التي كانت تقبل بالمقارنة وتسمح بالمشابهة والمشاركة، كنتِ الإثبات أن لا داعي لوضع جملة شروط ومعايير في الأصل، فأنت أكبر من وضعك في تقييم أو تصنيف مع الأخريات مثلما لا ينبغي وضع سيف مع حطبة في قائمة تحديد من الأكثر حِدة في قطع قالب الزبدة.

لقد استفقت على طفرة وعي ونضج ذهني لأتحول وأغدو إنسانا آخر تماما، لا يريد شيئا البتّة، وأنا أقول هذا وأنا في كامل يقظتي وحضور ذهني فهذا ليس مجرد استرسال في الكلمات، إنه حب غير مشروط، صحيح أنني اكتفيت بك ولم ولن أكتفي منك، لكنك الاكتفاء العميق في تجاويف النفس، الذي يسمح أن أفيض سعادة حتى لو حرمت منك أبد الدهر.

قد تتساءلين ألا ينبغي أن يقاتل من أجلي، ويتغلب على الصعاب ويقنعني بالعيش في كنفه ، نعم عزيزتي ينبغي ذلك وعليّ فعله لكن ليس هذا شرط الحب ولا دليله، أنا أسعى جاهدا لجعلك مع الرجل الأفضل، الرجل الذي يتحول من أجلك إلى الأفضل وبأجود المعايير، وإني لست فوق المعايير رغم أنكِ فوقها.

سأظل ذلك العاشق بقلبه ووجدانه، مع لمسة من الصمت والسكون والهدوء، ولتفعلي ما تشائين ففي النهاية أنت في قلبي ووجداني جنتي التي لا تفارقني، فلو عانقتك أو

قبلتك أو كنت برفقتك ما ازددت سعادة ولذة فقد امتلأ الميزان والمكيال بك من قبل.

لحظة مراجعة

بدأت أكتب سطور هذا الكتاب وشيء ما في أعماقي يقول: علي أن أتوقف عن التفكير بحماقة وصبيانية وإلا وقعت في آفة الغباء، فالغباء الذي يجعل صاحبه يفسد من حيث يريد الإصلاح، ويستنزف كل خيراته وموارده قبل أوانها، ففي النهاية الحب ليس بالإكراه، لكن له جانب يمكنك أن تناور فيه، لعلك تستطيع جذب الشريك مثل حركات ورقصات ذكور الطيور وغنائها التي تجذب بها الإناث، لكن تلك مخلوقات غير عاقلة أساسا وفي فترة تكون فيها جاهزة غريزيا للتزاوج، فكيف الحيلة لك مع كائن عاقل خلف تفكيره وسلوكه شبكة معقدة من التصورات والخبرات والمشاعر التي تراكمت عبر سنين طويلة، ثم إن هذه المرحلة في حياة الطيور وكل الكائنات تسبقها مرحلة تمهد لها، مرحلة اللعب وطقوس الهجرة والغذاء والتواجد ضمن مجموعة، وتشارك الصيد عند الحيوانات المفترسة كمثال، فما الداعي لتأليف كتاب لفتاة قصد محاولة لفت قلبها؟ ويبقى السؤال مطروحا.

لهذا عليّ أولا وآخرا أن أكون على حذر لا يخل بعفويتي وبعفوية لا تخل بحذري، حينها فقط يحق لي أن أتطلع إليك ويمكنني ربما أن أحظى بك حبا لا تملكا.

- لا يأس فأنا في طريق النمو.

في الماضي كان سريعا ما يتسلل اليأس والقلق والإحباط والخوف إليّ، فعند أول جولة يطرحني أرضا، آخر مرة زارني على غير الصفة التي عَوَدَنيها، جاء شرسا يحمل ملامحي، حينها فقط علمت أنني من كان يغذيه ويشبع نهمه من روحي.

هذا القلق الذي يمنع لذة الصباح وشاعرية المساء استحال غولا يخيفني، لهذا قررت أن أغدو مثل الطبيعة مثل الكون، فعند عتبة كل نهاية بداية جديدة، عندما تعصف الريح بأوكار تلك الطيور الضعيفة، سرعان ما تبدأ في بناء أعشاشها من جديد دون الالتفات لهول الكارثة، لم تكن لتسمح للقلق أن يستبد بها ولا أن تهزها أهوال المصيبة.

أتساءل كم غابة احترقت ثم نمت من جديد، حتى أن بعض تلك الفسائل الصغيرة في الغابة الكثيفة التي تشكل جزءًا مهما من هويتها، ما كانت لتنمو لولا انقشاع تلك الأشجار الضخمة المتشابكة التي هوت بالنار التي أتت على كل الغابة، أرأيت كيف لزوال شيء كبير أن يسمح لشيء صغير أن يكبر ويأخذ فرصته في الحياة.

إن الأمر لا يعدو كونه آلية طبيعية سَلِسَة مثل تتابع الليل والنهار، شيء ما يسمح لشيء آخر أن يظهر بعد زواله، ولهذا قررت قرارا لا رجعة فيه أن أُكون دائما على الضفة الأخرى التي تهواها نفسي، ولا أسقط ضحية لمخاوفي، فأغلبها لن تتحقق وما تحقق منها هو شيء طبيعي لا بد من التعايش معه، وهو البداية لشيء جديد والذي ينمو على أنقاض ما كنت أخشى زواله.

- محطة من المحطات.

كلُ على شاكلته يشعر، معك فقط كانت اللحظات مختلفة تماما مختلفة عما سبق، وعلى الأغلب عما سيأتي إن لم تكوني بجانبي.

تلك اللحظات الجميلة التي جمعتني بك تشبه اللحظات التي جعلتني أرغب في الكتابة؛ مراودة فنجان قهوة؛ تأمل النجوم، تلك اللحظة التي تصالحت أعماقي بعضها ببعض، تحسبا لاحتوائك بالقدر الذي يليق بك، كانت على الدوام لحظة لكنها مستمرة مع خط الزمن.

كانت تلك اللحظة التي تشبه تفتق الذهن بفكرة جديدة، بعد مخاض عسير وانقشاع سحب كثيفة كانت تمنع الرؤية، أنتِ لحظة تجلي واستغراق دائم.

لحظة جعلتني أشعر أني أستنشق الهواء لذيذا، لحظة كأني أحمل شيئا عظيما يحتم علي أن أُغرق حواسي في شيء فسيح، كالبحر أو السماء أو أفق الصحراء، أو أدعها تغوص في أغوار النفس الرحبة، لا لشيء إلا لأن عالمي محدود لا يلبي حاجتي، نعم لطالما كان محدودا بحدود إدراكي وحواسي القاصرة.

مع لحظة الإدراك هذه أنا إنسان آخر، إنسان منكِ ولكِ، أنتِ لست مجرد انطباع أول، وأنا لست خاويا لذلك الحد، الذي يريكني ويهزني شيء جميل أو إشباع احتياج، لأنك طريقي المعادلة، المبتدى والمنتهى.

قصة الحوت الأكثر وحدة على الكوكب

كتبت عنه المؤلفة الألمانية أنيسكا يوريك كتيبا للأطفال بعنوان : « الحوت صاحب التردد 52»، ولقد تم إصدار أغنية من أغاني الروك تحمل اسم «الحوت الأكثر شعورا بالوحدة» من تأليف البريطاني دالماتيان ريكس وإيجونتونز بالإضافة إلى أغنية لورا آن بيتس ذات لحن مستوحى من نغمة الحوت 52 تحت تسمية « المخلوق الأكثر شعورا بالوحدة في العالم »، لقد ألهم هذا الحوت الموسيقيين لتأليف سمفونيات بعد أن شغل علماء البحار.

بدأت قصة الحوت عام 1989 عندما اكتشفه وسجل نداءه أول مرة الباحث ويليام واتكينز عندما كان يدرس نداءات التزاوج لذكور الحيتان في المحيط الهادي لصالح معهد وودز هول لعلوم المحيطات، الحوت مجهول الفصيلة ذو تردد لا يسمح للحيتان الأخرى بسماعه، ما يعني أنه سيظل يسبح وحيدا وأن استمر في النداء طوال حياته، تردد الحوت الزعنفي 20 هرتز وتردد الحوت الأزرق في نطاق 10 - 39 هرتز أما بطل قصتنا فهو ذو تردد 52 هرتز، فمهما استمر هذا الحوت في النداء فلن يلقى استجابة.

هذه بعض النداءات يا عزيزتي أحاول جاهدا جعلها على التردد المناسب لك، يا لحظ ذلك الحوت ويا لحظي.

يا حظي من النساء.

كان لكل شخص ما لم يولد أعمى نصيب معين من رؤيته النساء فأول امرأة يراها في حياته عند الولادة، ستكون القابلة على الأغلب، ثم زميلتها ثم أمه التي سيوضع في حضنها ثم الطبيبة التي فحصته، وتبدأ رحلة مشاهداته للنساء في البيت، حيث سيتعرف على أخته وكل قريباته من عمّة وخالته، مرورا بالشارع حيث سيرى فيه جاراته وصديقات أمه والمستشفى الذي سيأخذ فيه التطعيمات واللقاحات، ثم الحضانة فالمدرسة بجميع مراحل التعليم فيها فالتلفزيون والأسواق وغيرها، لقد بلغ الرقم عشرات الآلاف لكنه لا يذكر منهن إلا القليل، هؤلاء النساء اللواتي شاهدهن هن نصيب عينيه من جملة أكثر من أربعة مليار امرأة في هذا العالم.

ومن بين أكثر من أربعة مليار امرأة سيتزوج واحدة فقط هي حظه منهن جميعا، الله أعلم بحالها عندما كان يبحث عنها ويكوّن تصورات غريبة عن نوعيتها قبل أن يتعلم أن يكون منطقيا، من بين الجميع كنتِ حظي ونصيبي الوافر يا ماريانا.

أنا جميعهم، من أحبوك ومن آذيتهم.

ليس حديثي هنا عن الحب الإنساني ولا عن الأذية المادية أو المعنوية، إنه شكل آخر للحب وشكل آخر للأذية، أحبك بالطريقة التي تليق بك، أن أستوعبك عشقا وافتتانا، فتحملين همّ الجميع إلا همي، همّ عشقي لك بطريقة فريدة كقانون فريد سُنَّ لحالة واحدة لم يسبق لها الوجود ولن تتكرر.

إنه استحقاق يا ماريانا، فكمالك يقتضي أن يوجد في هذا العالم من يحبك بطريقة مختلفة عن أي حب معهود قد سبق له وجود، وأنا هو ذلك الإنسان العاشق بكل هذا الحضور، ولأنك ملاك يستحيل أن يكون قد آذى إنسانا، فأنا جميع من آذيتهم،

لأنه أحبك كل هذا الحب وبهذه الدرجة وعلى هذا المستوى من الاختلاف ثم لم تلقي له بالا.

أنا قادم إليك بلهفة كل البشر، انتظريني.

شيء ما في أعماقي يقنعني أن رحلتي نحوك بدأت من ترينداد وقبل أن أعرفك وأراكِ، لم يكن في ذلك اليوم الذي جئتك فيه على هيئة بائس يبحث عن عمل، بل كنت عاشق يحمل قلبه من بعيد تدله إشارات الحب وإن لم يستوعبها، ما أجمل خطة القدر التي تفاجئنا بكل جميل، يا أجمل شيء حصل لي، يا كل لهفتي.

كلهن نساء إلا أنتِ أنثى، هكذا كان الأمر وهكذا سيبقى.

هذه عيني التي تراك مختلفة، ليس حبا فقط ما يجعلني أراك هكذا بل هو نوع من الذكاء الذي يجعلني أكتشف الحقيقة، وحقيقة أنك كاملة العقل والأنوثة، هل يعقل أن يعشق الزميل زميلته، بالطبع سيفعل إن كان الطفل مازال في داخله، ويا له من مكسب أن يحافظ عليه.

مازلت أقطف من عينيك القصائد، لطالما كانت رغيف الخبز لروحي.

ستظل عيناك الجميلتين الساحرتين، عنوان عنفواني ورغبتي فلا أدل على المعاني من الأشياء المحسوسة التي تفيض جمالا وحسنا، يا كل حسن الطبيعة الذي يغلف حسن الباطن الذي يهواه قلبي.

أنتِ سداد دينهم جميعا، أولئك الذين لم آبه لهم.

كم يحتاج كل عاشق يا ماريانا من الحرمان والشوق حتى تتفاعل كل أعماقه، فيغدو الحب أولويته الأولى ومكسبه الكبير ورهانه الأعظم وسر طمأنينته الكبرى، من المؤكد أني لست بحاجة إلى ذلك، لكن يسعدني خوض التجربة من أجلك ولتقتنع أعماقك أني تنصلت من كل شيء عداك ولأجلك فقط، ما يجعلك على أتم اليقين أنه خلق لك وحدك فقط، بجميع صيغ التأكيد والمبالغة التي تسمح بها جميع لغات العالم، سيكون مقدرا لكل إنسان نصيب من البؤس يتجرعه موزعا عند الجميع، لكن صاحبك هذا لا يبالي ما يعني أنه لا يشعر بالبؤس، فيصبح لزاما أن كل البؤس الذي يفترض أن يناله منهم سيناله منك فأنت الوحيدة التي يهتم بها، وعلى كل حال سيستقبل قدره بقلب راض تماما.

من المسلمات التي لا تقبل الجدل هذا الحب الذي أكنه لكِ.

يعجبني كثيرا إصراري على أننا معا نشكل الثنائية الوحيدة قابلة التوهج، مثل الاحتمال الوحيد الممكن من بين ملايين الاحتمالات المستحيلة، إننا الرقم الصعب الذي يبحث عنه علماء الرياضيات والفيزياء، إننا حل اللغز وانكشاف الحقيقة، وروعة القدر.

مازلت علي قيد التكوين لا تنتظري شكلا بل إنتظري إنسانا.

من المحزن أن المرأة تريد إنسانا كاملا يلبي جميع متطلباتها الاجتماعية والثقافية والفكرية ويرضي طموحها الكبير قياسا على محيطها ذي النزعة الشكلية والنظرة القاصرة، رغم علمها أنها وهو من يجب أن يأخذا بأيدي بعضهما نحو الكمال، فلا الرجل ولا المرأة جائزة أو إنجاز أو حتى مكسبا إنهما ببساطة الرحلة نحو القمة أهم ما فيها أنهما معا، بكامل نقصهما بكامل عيوبهما وضعفهما، فيدعمان بعضهما أيما دعم، فإذا طلبت المرأة إنسانا كاملا وعلى سبيل الافتراض أنها حصلت عليه، فماذا تريد منه؟، وأي لمسة ستكون لها فيه؟، أي تفاعل كيميائي سيحدثه عنصرها في تكوينه؟.

تعالي لتعلميني لغة الحب.

أشياء كثيرة أحتاج أن أتعلمها منك، لعل أهمها لغة الحب التي ستجعل قلبي يصغي إليك كما ينبغي، لا أعلم بماذا ولا كيف ولا متى ولا أين، أنتِ الأقدر على الحديث بهذا الشأن تَرجميه كيف ما اتفق.

مثل الارتماء في المحيط دون أمل في النجاة ، شيء تفعله مرة واحدة وأخيرة ، موجز قصتي معك.

كنت أظن الحب باب يخرجك إلى أفق أرحب، غير أنه ليس كذلك، فالجميع يحسب الحساب للذائذه الحسية فقط، وهذا ما يحرمهم من جوهره الفريد، فهو مثل الغرق

ولطالما كان كذلك، لحظات الاستسلام التام بكامل الطمأنينة لتطفو على السطح ناج كنت أم جثة.

من المؤسف أن نكون في عالم واحد ثم تصرفك الأقدار لغيري.

إنه عالم رغم اتساعه شرقا وغربا شمالا وجنوبا إلا أنه ليس مسؤولا عن هوة الفوارق ومسافات البعد بيننا، ولكِ أن تتخيلي حجم المعاناة أن نكون على شاكلة كاملة التكامل والانسجام والتوافق الروحاني والفكري، ثم تفرقنا بعض التصورات التي أملتها علينا بعض الظروف أو سوء تفسيرها، فهل نحتاج إلى الشجاعة والإيمان في الإقدام لنرى فردوس اليقين، أم نحتاج اليقين أولا ليكون شأننا فيما بعد مما نبتغيه تحصيل حاصل، لست أدري لكني آمنت وسأرى يا ماريانا.

روحي تشم عطر أنفاسك، شيء ما يبدأ منك لينتهي عندي, يسمح ببقائي على قيد الأمل, والحب والحياة.
آه لو تعلمين مقدار لهفتي عليك يا ماريانا، فأنت شيء متغلغل داخلي اقترن مع كل جزئية وتفصيل في فكري وواقعي، كاستيقاظي ونومي وذهابي إلى العمل، الكتابة والطبخ والرسم والسرحان والأفكار والإدمان، والهدوء والطمأنينة، أنتِ في كل شيء عنصره الأهم ولذته الأعظم.

كنت دائما أتساءل متى تولد تلك القصيدة الخالدة التي تستحقها عيناك.

يحق لي أن أتساءل عن اللحظة الفارقة في الذهن التي يكتمل فيها بنائي النفسي- والفكري والذهني على مقاسك وعلى مقاس الكون، لأكون ذلك الذي لا أستطيع شرحه ولا أجد له وصفا، فليس له شبيه فأقيس عليه وأطرحه مثالا, ولا جربته قبلا فأحكي عنه، لعل تلك القصيدة الخالدة علامة من العلامات، على أنها ليست ذكاءً لغويا فحسب بل هي فوق ذلك قدرة عاطفية وشعورية كاملة النضج سمحت بميلادها في أبهى حلة ممتعة وأحسن صورة ممكنة، فتكون تتويج لكل ما سبق, و بداية جميلة لكل ما سيأتي.

أنا آخذ كل وقتي, أنت شيء يستحق عناء الانتظار.

أبدا لا يرهقني الانتظار أنا آخذ وقتي، صحيح أني أريد تجربة كل مراحل الحب الأخرى الأعلى والأعمق، لكنها رحلة عمر يا ماريانا، هنا أو هناك، في الأرض أو بين النجوم، أنت شيء يستحق عناء الانتظار حتى لملايين السنين.

أنتِ والقصيدة وبعض أنا, أشياء ليست عادية.

أما أنتِ يا ماريانا فأنتِ أنتِ ولا حاجة لأن أتحدث عن شيء أكبر من أن يحصر في وصف، أما أنا فذلك النجم الهائم بك السابح في فلكك الذي سيظل يدور ويدور، الوحيد الذي ترجم جاذبيتك حبا وعشقا، على شكل قصيدة من مداره يبعثها ترددات أنين وحنين تشبعه إلى حين، والقصيدة أجمل ما قيل في أقوى تَحَوُّل شهده الكون في العوالم الدقيقة، وستبقى شاهدا على الحب الذي كان.

امنحيني ليلة واحدة والخمسين سنة القادمة.

أنت من تلك النوعية الرفيعة بل أنت أخص من في تلك النوعية، إذا سلمنا جدلا أنك ضمنها ولست نسيج وحدك، التي إذا التفتت إليك بالقلب لحظة فلن تشيح عنك بنظرها أبدا، التفتي يا ماريانا ولو ثانية واحدة فقط، فهي كافية لتحريك العالم بالنسبة لي.

عزيزتي

أنا لستُ ورقة تسقط عند حلول الخريف أنا الغصن الذي تنتظرين ربيعه.

ما أقبح أن لا أملك إلا الكلمات يا ماريانا ، لكنك حصن منيع لا يحتاج إلى شيء، لطالما كنتِ عزيزة مترفعة تبذلين ولا تأخذين، فما الذي سأمنحه لك أنا أو أعطيه لك، ماذا يمنح الطفل الصغير لأمه، سوى أن يقبل عليها بكله وينشد عندها ما لا يمكن أن يجده عند غيرها، أليس هذا كاف بالنسبة لأي أم من طفلها؟ أنت أم بطريقة ما يا ماريانا.

لا أدري لكنك مثل الماء بعد كل هذا الظمأ.

ماريانا الغيث الذي نزل من السماء، والنبع الذي تفجر من الأرض، واللحن الذي كان يحلم به بيتهوفن وموزارت، وعشق تَصْوِيرَه دافينشي-، لا تشبه شيئا في الوجود إلا

الماء، سر الحياة وسر البقاء، فدعيني أرتوي منك بعد كل هذا الظمأ، الذي شعرت به قبل أن أَلِج هذا العالم من عالم العدم، وسأرحل به، إن لم تكوني زادي وذخيرتي إلى الفردوس.

أن تنقذيني من بؤسي لدقيقة واحدة, هذا يؤكد بما لا يدعو مجالا للشك أنك المنقذة الأبدية.

على مر التاريخ وتعاقب العصور واختلاف الأمكنة كان العشاق يفسرون حبهم الكبير بطرق مختلفة، كأنهم يبحثون عن إجابة شافية للحب ولحقيقة معناه، أنا لا أحتاج للتفسير أنا بحاجة إليك فقط وفي هذا العالم, حتى لا أضل طريقي عنك في العالم الآخر في الفردوس, حيث سينتظر أحدنا الآخر.

لست مجرد حدث أنتِ خلاص.

كل عاشق يراهن على حبيبه، قد تتساءلين عن شكل رهاني ونوعه، هل ينبغي لي الإجابة، طبعا ينبغي ذلك وسأوضحها وأتمنى أن أوفق في ذلك، كأن الحياة اختبار مدروس ومصمم بإتقان في أن ينجح كل إنسان في أن يكون إنسانا، إنسانا في كامل إنسانيته، لينال جزاءً ومكافأة، أما أنا فقد كانت هندستي تتطلبك أنت فقط لأكون في كامل إنسانيتي مع كوني مصمم لتكوني جائزتي، روعة أن أكتشفك فقط كانت كافية فما بالك أن أنالك يا ماريانا لبقية حياتي، آه يا ماريانا كم أتمنى أن أصوغ هذه الفكرة في أوجز أسلوب.

أعماقي التي صالحت بعضها بعضا بسببك, تقرئك السلام.

في كل صباح وعند كل مساء وفي كل مكان أشعر بمدى اتزان أعماقي، وكيف صرت أشبه بشخص آخر يحمل في جعبته ثقل التاريخ وتفاوت الجغرافيا وعمق الفلسفة ولذة الأدب والفكر ومعارك السياسة الطاحنة، وسأظل على ذلك يا ماريانا ما دمت أحملك في قلبي، وما دمت أطفو ناجيا في هذه الحياة.

أحق ما سيكتب على شاهد قبري
"لقد أحبها هنا وعلى الأغلب سيحبها هناك حيث هو الآن"

هذه وصيتي لك إذا رحلت قبلك عن هذا العالم، حيث سأنتظرك هناك وقد هيأت المكان لأنه عالم آخر يا ماريانا ليس عدما نخاف منه، لقد جئنا إلى هذا العالم دون سابق وعي به، وسنرحل إلى عالم البقاء العالم الروحاني حيث ننعم بالفردوس إلى مالا نهاية.

... ثم إنه لا ينبغي أن لا يكون أحدنا درسا للآخر.

ختاما

أبدا لا أتمنى أن أكون ذلك الحوت ذو تردد 52 هرتز، ولا أن يكون حالي كحاله، أما لو كُتب لي معه لقاء فسأستمع إلى حديثه عن الوحدة بكل اهتمام، بالإضافة إلى رحلاته في أعماق البحار والمحيطات بحثا عن أنثاه المنشودة، أما أنا فسأحدثه عنكِ.

التخطيط لتقديم الكتاب لماريانا

استلقى على فراشه مرتاح البال هنيء الخاطر بعد أن أتم كتابه الصغير يستمتع بطوفان المشاعر ويتلذذ غاية اللذة، لتبدأ الأفكار والتساؤلات تنساب خفية من تحت وشاح عواطف ومشاعر الفرح والرضا، كيف أن الزمن توقف في الأيام الفارطه التي كان يؤلف فيها الكتاب، كان الشأن كله متعلقا بتفكيره ووعيه، فهو يدرك أن الوعي هو العالم والعالم هو الوعي بالنسبة لأي شخص، ما يجعل دائرة تركيزه على التاريخ والجغرافيا والفن والحياة أو أي شيء آخر هي الحقيقة، لكنه فكر في إنه يفكر وسأل نفسه هذا السؤال، لماذا؟ لماذا أنا أفكر؟، هل أُصِبت بلعنة التفكير أم أنها لعنة الحب التي تريد إعادة صياغة شخصيتي لأشبه ماريانا قلبا وقالبا، فأُغلّب جانبي العقلي على جانبي العاطفي، حسنا ربما هذا متولد من الآثار الجانبية لتأليف كتاب، وسرعان ما أعود لطبيعتي، ليس الأمر مقلقا لذاك الحد، ينبغي أن أقلق على شيء آخر، وهو الكتاب ذاته ومدى وقعه في نفس ماريانا، هكذا تساءل وزاد أكثر، ما الذي عليه فعله حتى تكتمل عناصر نجاح العملية عملية تقديم الكتاب لماريانا بعناية، يجب أن تكون كل الظروف مهيأة ومساعدة لما يريده، إذا افترضنا أن الكتاب جيد، فيجب أن يكون مكان استلامه مناسبا وشاعريا، مع توقيت مناسب، وتكون ماريانا في مزاج

يسمح لها بالتفاعل مع هكذا أشياء، فكر في نفسه أنه مهما كانت ماريانا عقلانية فلا بد أن تأتي عليها أوقات تشعر فيها بالضعف والخواء والاحتياج لشيء شاعري، سيكون عليه اكتشاف ذلك والتأكد منه، حتى أن اكتشاف الفترة التي تمر فيها بحالة الاحتياج والخواء يحتاج إلى ساعة محددة من اليوم معرفتها ستحدث فرقا بالنسبة إليه، وعلى الأغلب تكون في المساء أو أول الليل، مع الانتباه لعامل الضغط الذي يظهر كذلك جليا في هذه الفترات من اليوم، مع حساب عامل آخر هو انهماكها في مشروع ما، إذا كانت في بداياته سيكون كل حماسها وتركيزها منصب عليه، ربما سيكون من الأفضل أن يكون بعد إنهائها لمشروع ما أخذ منها جهدا كبيرا، فهي إنسانة عملية ونشيطة جدا لا تكاد تراها فاترة، ثم تساءل كيف سأعرف حالة مزاجها وهي ممن لا يظهر إلا الجدية والانهماك في العمل، هل عليَّ التشارك معها في مشروع لنشوء ألفة بيننا أعمق مما هي عليه الآن، أم آخذها في رحلة أو نزهة لينشرح صدرها، الأمر مربك حقا وأني لا بد أن أكسب هذه الجولة، فكل حركة تكسبك نقطة لصالحك أن تجعلك تخسر نقطة لينتهي بك الأمر فائزا أو خاسرا، إنها جولة نقاط إنها حرب التفاصيل وليست كليات وسمات كبيرة وعامة، لهذا يكسب العشاق الرهان، إنها تلك الأشياء اللطيفة والبسيطة التي يداومون عليها، كالاحتواء وحسن

الإصغاء وقوة الحضور، سيكون من اللطيف أن تعرف ماريانا ما مررت به من أجلها، تأليف الكتاب مع عناء التفكير في طريقة مناسبة لتقديمها لها، على أن لا يظهر ذلك على شكل ابتزاز صارخ، على الأغلب ستقدر ذلك، وهذا ما سأفعله قال في نفسه.

سينتظر نهاية الأسبوع ليدعوها إلى المتنزه، إلى ذلك الحين كان يبحث عن لغة مشتركة وأرضية تجمعه بماريانا، وإعادة شريط الأحداث منذ آثارها أول مرة ليُحاول استخراج أجوبة لتساؤلاته، حتى يرسم خطة مناسبة، لن تكفي المراقبة وحدها بحر هذا الأسبوع ولن يكفيه إعادة شريط الذكريات، عليه جمع الأمرين معا هكذا كان يتصور.

حاول أن يكون عفويا قدر الإمكان وهو يتعامل مع ماريانا ذلك الأسبوع، فبعد أن طبع مخطوطة كتابه على أوراق، غمره شعور عميق وجارف ليبوح بما عنده وينهي الأمر، شعور مميز من الأفضل أن يُصرف إلى مستحقيه في أوج تأججه، وإلا ما جدوى المشاعر والعلاقات إن لم يكن العطاء في أوانه وعلى السجية من غير تكلف، هو يثق في جانبها العقلي، ويثق في قدرتها الفائقة على ممارسة الذكاء الاجتماعي وحتى العاطفي،

لكنه رجل يريد نتائج تغير مسار الأحداث وتقلب الموازين، بطبيعته من حيث هو رجل يخطط وينفذ ويدرس الاحتمالات لكن في جانب المكاسب والإنجازات فقط، هذه رهانات الرجال والشيء الوحيد الذي يغريهم.
ارتسمت ملامح خطته في ذهنه، ففي نهاية الأسبوع سيأخذها إلى المتنزه في ذلك الجو الشاعري سيقدم لها الكتاب، خصوصا بعد أن انتهت من إصلاح حياة الصديقين آنا ماريا وكارل ووضعت كل منهما في مساره الطبيعي، فلم يبق إلا أن تكافئ نفسها بإصلاح حياة بونيفاسيو البائسة وستكون مكافأتها على إنهاء مشروع الأصدقاء وحسب، إذن فليكن هذا الكتاب جزءًا من مشروعها وتتويجا لها على ما سبق من تضحية.
في نهاية الأسبوع أخذها إلى المتنزه الذي أخذ إليه كارل في فترة نقاهته، أجلسها حيث جلسا، وأخبرها عن الأطفال والموسيقى والعزف والكلمات، كان ينتظر لحظة الغروب ليشهداها معا, ثم يأخذها إلى مطعم ويعطيها الكتاب ويعترف لها بحبه الكبير ويعرض عليها الزواج.
أمسك يدها والشمس تميل على استحياء لتودع سانتا باربرا، نظر إليها بدفء وقال لها: تعلمين يا ماريانا، أنكِ ملاذي، وتعلمين مدى رغبتي في أن تسير الأمور في سلاسة وتتابع يجعلك في أحضاني دون قيد أو شرط، لقد أصلحت حياة كارل وساهمتِ في نجاح آنّا ماريا، أما حان

الوقت لإصلاح حالي وحياتي يا ماريانا، وأطلق نظره على امتداد المتنزه، ينتظر منها كلمات تشفي غليله وتطفئ مدى شوقه لها رغم قربها منه،لكن كان ردها صادما وغير متوقع، رد بارد وباهت لا يتناسب مع حرارة أعماقه الملتهبة.

- أنت غريب هنا يا بونيفاسيو, قالت, لتضيف وهذا ما يجعلك بحاجة إلى الدفء الأسري والعلاقات، سيكون عليك الاستمتاع بالصداقة والانهماك في العمل وتحقيق ذاتك، ثم سيكون حينها مجال لأن تحب وتجد شريكتك في الحياة، ما تظنه حبا هو حرمان فقط يا بونيفاسيو، قالت ماريانا ذلك بكل أسف وعطف.

أجابها بونيفاسيو بعد أن تبسم محاولا تمالك نفسه: نعم قد يكون حرمانا يا ماريانا وشعورا بالغربة ترجم على شكل رغبة في شخص.

- ألم تفكر في الدراسة المسائية لتَحصل على شهادة جامعية؟ تسأل ماريانا.

- لقد فعلت ما يلزم فأنا الآن طالب في جامعة سانتا باربرا بشكل رسمي، أجابها.

في تلك الأمسية لم يأخذها إلى المطعم ولم يسلمها الظرف الذي يحوي كتابه الذي ألفه من أجلها بل أخذها إلى غرفته أعلى بناية المكتبة وأعد العشاء وتبادلا النكت والكثير من الأحاديث عن المستقبل والنجاح، ولم يسمح لاحتياجه لها

أن يبدوا على ملامح وجهه، وطوي صفحة تقديم الكتاب لها.

كان بونيفاسيو قد فاز في ما سبق بلقب كاتب الشهر ما يرشحه تلقائيا لينافس كُتّاب الشهر الآخرين على جائزة طباعة كتاب، ولأنه كان قد فاز ثلاث مرات على التوالي، فقد حسم أمر من سيطبع كتابه مسبقا حسب القانون الداخلي لمكتبة سانتا باربرا العامة، لكنه لم يكن يعلم بهذا التفصيل الصغير، ما جعله يعد نسخة كتابه الآخر الذي كان عبارة عن ديوان شعر وكلمات غنائية، وضعه في ظرف ليسلمه في الوقت المناسب على حسب علمه.

في الصباح أخذ معه الكتاب في المغلف إلى مكتبة سانتا باربرا العامة حيث كان يكتب على المجلة الحائطية والورقية على فترات ينافس ليُطبع له دِيوانه، سلم الظرف على أساس أنه ديوان الشعر، ما جعل القائمين على هذا الأمر يرسلون الكتاب إلى المطبعة فورا لأنه الفائز تلقائيا.

عادت الأمور إلى روتينها المعهود، بونيفاسيو منهمك في توصيل الطلبات، وبعض الخدمات الإضافية للزبائن، والكتابة على المجلة الحائطية والورقية للمكتبة العامة، وممارسة الموسيقى بالسكسفون والقيثار اللذان تعلم العزف عليهما بفضل كارل، مع الإلمام بأسرار الموسيقى، بالإضافة إلى عمله كمحرر وكاتب في موقع خدمات

الرسائل، مع تلقيه لعروض بشكل شخصي من محيط ودائرة معارف الصديقتين ميغان وروبيكا الذين كانا سببا في شهرته على صعيد كتابة الرسائل، وعلى مستوى كل مقاطعة سانتا باربرا بالإضافة إلى متابعته الدراسة المسائية التأهيلية لدخول الجامعة.

الفصل التاسع

تحدي على الأثير

في تلك الأمسية طلبت ماريانا من بونيفاسيو أن يسمع نهاية الأسبوع البرنامج الأسبوعي ضيف مميز، للصحفي الإذاعي رودريغو على إذاعة سانتا باربرا لأنها ستكون ضيفة لحلقة هذا الأسبوع.

كان الجميع يسمع البرنامج ويتابعه ومنهم بونيفاسيو، لا تمر حلقة من حلقاته الأسبوعية إلا ونام سكان مقاطعة سانتا باربرا على صوت رودريغو الشجي وأسلوبه الرائع في إثارة وإثراء المواضيع المختلفة التي تهم المستمعين في مقاطعة سانتا باربرا.

في الإذاعة

رودريغو: أيها السادة والسيدات المستمعين لإذاعة سانتا باربرا العظيمة، السادة والسيدات متابعي برنامج ضيف مميز الأسبوعي، مرحبا بكم بطريقة تليق بِعظمتكم أيها السادة، أقدم لكم لهذا الأسبوع ضيف مميز وفوق العادة، انتظروا المفاجأة بعد الفاصل.

رودريغو: أجدد التحية للمشاهدين، وأرحب بضيفتي الكريمة وصديقتي العزيزة ماريانا المختصة في التحفيز والتطوير الذاتي، مرحبا سيدتي، لقد شرفنا حضورك هنا في مبنى الإذاعة والاستجابة لدعوتنا.

ماريانا: أهلا وسهلا بك أشكرك صديقي الرائع رودريغو على تجديد الدعوة لي، لقد كان شرفا لي النزول عندكم ضيفة.
رودريغو: أولا وقبل كل شيء أطلب من السادة المشاهدين أن يتذكروا أن ماريانا حلت ضيفة علينا فيما سبق، ولقد تكلمنا عن تخصصها في التحفيز والتطوير الذاتي، وأخذ الحديث منحى آخر سنتطرق إليه خلال هذه الحلقة لكن فيما بعد، لهذا سأسأل عن تجربتك خلال هذه المدة بين اللقاءين؟
ماريانا: كانت تجربة مختلفة بحق، لقد اكتسبت أصدقاء جدد، حتى أنني خضت تجارب عديدة ولعل أهمها تجربة العمل في المكتبة، حتى وإن كانت فترتها ممتدة لما قبل المقابلة الإذاعية لما يقارب ستة أشهر، لكن لا يهم فما بين اللقائين كنت في المكتبة أيضا.
رودريغو: ما المميز في هذه التجربة؟ تجربة المكتبة أقصد.
ماريانا: كانت عالما آخر سمح لي بالتقرب أكثر من شريحة القراء والأخذ والاستفادة من تجاربهم العفوية، ومدى سعة خيالهم واطلاعهم.
رودريغو: هل لنا أن نسمع قصة أحدهم، شخص ما مثلا زار المكتبة وترك انطباعا جيدا لديك؟

ماريانا: روبيكا أحد هؤلاء وتعلمون قصتها بغض النظر عن كونها لم تدخل المكتبة لشراء كتاب، وكذلك شخص آخر دخل المكتبة وابتاع الكتب التي يريدها وقال أريد نصيحة، قلت عفوا ماذا تريد بالضبط؟ قال لا على التعيين فأنا أبحث عن تلك الكلمة التي قد تكون بالغة التأثير، قلت له لا تفكر كثيرا عش بعفوية التي تراها عند الأطفال، ابتسم الرجل وقال هذا ما كنت أريد سماعه، حتى لقد ألهمني لكتابة مقال طويل عُنوانه كن الطفل الذي كنت عليه.

رودريغو: هذا يدعوني للتساؤل عن هذا الطفل الذي كنتِ عليه.

ماريانا: كلنا كنا أطفال ولا نعي أن النضج الذي سنصل إليه هو مجرد وعي بأهمية أن تكون طفلا.

رودريغو: ما الذي حصل تحديدا لأي منا، ألا يفترض أن التحول هو المطلوب، والنضج هو المسار الصحيح؟.

ماريانا: نعم التحول هو المطلوب لكن دون أن تفقد سماتك الأساسية في شخصيتك كطفل، هناك فروق بين الطفل والناضج، أشياء كثيرة خسرها أثناء النمو، أولها الاستمتاع بالأشياء البسيطة، والتعلم من اللعب، كثرة الأسئلة والتساؤلات، الليونة التي تسمح يتجاوز الصدمات والمواقف السيئة، وكذلك الإصرار على بلوغ الأهداف، النسيان والتسامح والتجاوز، أشياء كثيرة جدا، البالغ له

نظـرة مختلفـة يظـل أسـير المشـاعر السـلبية وذكريـات المواقـف السـيئة، الإحبـاط بسـهولة والانهزاميـة، الجمـود والانغلاق، وغيرها، فنصـيحتي لأي كـان لا تحـرم نفسك في أن تكون طفلا.

رودريغو: هذا رائع سأعيد حساباتي إذن.

ماريانا: سيكون هذا مفيدا لك.

رودريغو: أعزائي نلتقي بعد هذا الفاصل الغنائي، لنسـمع اغنية الحوت ذو التردد 52 كلمـات بونيفاسـيو وموسـيقى وتلحين كارل يؤديانها معا وهي مـن إنتـاج إذاعـة سـانتا باربرا.

كلمات الأغنية

في المحيط الهادي كنت أعيش
أغنى بتردد عال لا يسمعه أحد
أقطع ألاف الأميال بحثا عن أنثى
بقيت وحدي سنين طويلة
و لأن لعنة الحب لم تفارقني
لم أتوقف عن الغناء بصوت عال
في المحيط الهادي كنت أعيش
كانت الحيتان الأخرى تسخر
حتى الأسماك والدلافين والسلاحف

في المحيط الهادي كنت أعيش وحيدا

هل الإناث لا تبالي؟
أم أن ندائي العالي جدا لا تسمعه القطعان الصماء
أصبح ندائي أغنية (أنا وحيد)
أنا أبحث عن أنثى ما يعني أنني أبحث عني
أريد أوراقا رسمية لأخرج من الكوكب قد أجد نجمة هناك
بنات المحيط لا يسمعن ندائي ربما ذبذباتي تسمعها المجرة
في المحيط الهادي كانت تعيش وكنت أعيش
لكنها لا تريد قربي ولا تسمع صوتي
من سوء حظي أن مأساتي خالدة مثل الكون .
كم ستطول الرحلة يا عزيزتي
اسمعي ندائي واستجيبي
أم أنت في المحيط المتجمد حيث نال الجليد من قلبك
في المحيط الهادي كنت أعيش
من المؤسف أن لا تذوقي رحلة الحب في المحيط .

رودريغو: أغنية جميلة تذكرنا بالحوت وتذكر الكثيرين أنهم حيتان تسبح, تبحث عن شيء ما، بالمناسبة لقد كانت هدية لك يا ماريانا من صَدِيقيكِ كارل وبُونيفاسيو، مع هدية أخرى سأسلمها لك في نهاية البرنامج.

ماريانـا: الأغنيـة جميلـة جـدا لقـد تـأثرت بهـا، كـارل بونيفاسيو إن كنتما تسمعان فأنـا أشكركما جدا جدا، لقد تفاجأت فعلا بهذه الهدية.
رودريغو: ننتقل إلى الجزء المهم يا ماريانا فـي برنامجنـا، وهو أهم أسباب دعوتك إلى هذا البرنامج، لقد قبلتي تحدي من أحد المستمعين الذين أتصلوا فـي لقائنـا السـابق، رجـل أسمه جون كما صرح ذلك الوقت، طلـب منـك قبـل قرابـة السـنة أن تسـاعدي أربعـة أشـخاص وتُغَيّـري حيـاتهم إلـى الأفضل بأي وسيلة ممكنة سواء بتقنياتك في مجال التحفيز والتطـوير الـذاتي أو أي وسـيلة أخـرى، مـا دامـت فتـرة التحدي قد مضت جلها علـى مـا أعتقد فهـذا يعنـي أننـا ننتظر لتقولي لنا ماذا فعلت فيها؟
ماريانا: نعم لقد قبلت التحـدي وسـاعدت أربعـة أشـخاص كما طلب المتصل، لقد فكرت فـي الجانـب الإيجـابي مـن الموضوع، فكانت فرصة لتقييم مسيرتي وبـث أمـل جديـد لأشـــخاص لا أعـــرفهم دون مقابـــل وبشـــكل شخصـــي ومباشر.
رودريغو: نربط الاتصال الان مع دانيال؛ ألـو دانيـال هـل أنت معي؟
المتصل دانيال: نعم أنا معك سيد رودريغو.

رودريغو: هل تعرف السيدة ماريانا التي تحل الآن ضيفة عندي في هذا البرنامج الإذاعي؟
المتصل دانيال: نعم أعرفها جيدا.
رودريغو: اسمعني يا دانيال ستدلي بشهادتك الآن أمام كل سكان مقاطعة سانتا باربرا، وتصرح بكلمات واضحة ومفهومة عن نوع المساعدة التي قدمتها لك ماريانا.
المتصل دانيال: أصرح بشرفي أن المدعوة ماريانا ضيفتك في البرنامج قد قدمت لي مساعدة مباشرة دون مقابل، تمثلت المساعدة في جلسات استشارة ومرافقة للتخلص من الإدمان وتعاطي المهلوسات، استمرت مدة الجلسات أربعة أشهر بمعدل ثلاث جلسات في الأسبوع، لغاية الإقلاع النهائي ولقد تدبرت لي عملا في محطة الوقود الشمالية.
رودريغو: شكرا دانيال سعدنا بالاستماع إليك، حسنا ماريانا ألك تعقيب على ما قال دانيال.
ماريانا: سأكتفي بسماع الجميع ثم أعقب إن احتاج الأمر إلى التعقيب.
رودريغو: نربط الآن الاتصال بلوسي ألو مرحبا لوسي.
المتصلة لوسي: ألو مرحبا رودريغو، مرحبا ماريانا.
رودريغو: لوسي تعلمين سبب اتصالنا بك يمكنك البدء مباشرة.

المتصلة لوسي: كنت بائعة هوى والأسوأ أنني كنت ناقمة على والداي، ما سبب لي قطيعة معها ومغادرة المنزل في سن مبكر، لغاية لقائي بماريانا قبل ستة أشهر، كان يكفيها الكلام معي مرتين لأتوقف عن هذا العمل، في أعماقي لم أكن أريده، وهي استطاعت أخراج هذه الرغبة، واستطاعت أن تبصرني على ما أريده في الحياة، لقد كتبت قائمة أحلامي على المدى القريب وحققت أربعة من أصل تسعة وأنا في الطريق لتحقيق كل أحلامي التي كتبتها للمدى القريب والمتوسط والبعيد، وأولها الكتابة عن تجربتي في الملاهي وعن مشاكلي الأسرية السابقة، أشكركما على الاستضافة.

رودريغو: شكرا لوسي، نربط الاتصال الان مع سيباستيان ألو هل أنت معي.

المتصل سيباستيان: معك رودريغو وأحييك على برنامجك ذي الشعبية الكبيرة، أتعلم من أين أكلمك الآن سيد رودريغو؟

رودريغو: لا أعلم هل يمكنك أن تخبرني؟

المتصل سيباستيان: أنا الآن أكلمك من خلال بث مباشر على قناتي في اليوتيوب، القناة الناجحة جدا وبفضل ماريانا التي كانت صاحبة انطلاقة البداية، وهي قناة هادفة تستضيف أصحاب تجارب التحول من الحضيض إلى القمة، وأنا أقدم شهادتي بِنسبةِ الفضل لها، في انطلاق

قناتي ونجاحها بسبب المادة والأفكار، مع هوية القناة والنصائح والإرشادات التي قدمتها لي ورافقتني في تنفيذها، بل حتى أنها منحتني إستراتيجية لأساعد الناس بواسطتها، وهذا من صفات القائد فهو لا يمنح المساعدة فقط بل يمنح منهجية شاملة تستطيع أن ترجع إليها، كما تستطيع إسقاطها على الجميع ويجعلك تبني نمط اجتماعي يبقى يعمل حتى بغياب القائد أو صاحب المشروع، لهذا أقدم تحياتي للسيدة ماريانا العظيمة بشكل خاص، وأجدد شكري لك على هذه الفرصة لأعْترف لها بمَعروفها.

رودريغو: عظيم، الأمر مذهل حقا يا ماريانا، وجود قناة لمساعدة المحتاجين أمر بالغ الأهمية، وفكرة تستحق الإشادة.

المتصل الرابع: مرحبا أنا بول واتصل بخصوص ماريانا التي ساعدتني في تحقيق حلمي.

رودريغو: لقد أخبرني المخرج عبر السماعات عن تغيير طفيف في الخطة، وأنك متصل من تلقاء نفسه، أخبرنا بما لديك؟

المتصل بول: كنت أحلم بجولة حول العالم على الأقل لعشرة دول، كنت شخص مصاب بالسرطان، واحتجت إلى إنهاء حياتي بطريقة مُرْضِية وليست مَرَضِية، لقد حققت حلمي في السفر وارتكبت كل الحماقات التي كنت أحلم بارتكابها، لقد تخلصت من عبء المرض وحمل همه

معي، أنا أتابع الطبيب بالإضافة لإتباع العلاج بالتأمل وقد تحسنت كثيرا عما سبق وأنا واثق من شفائي، بفضل وجود أشخاص مثل ماريانا، لقد دفعت كل التكاليف السفر والعلاج والأهم أنها منحتني أملا، يجعلني سعيدا.

رودريغو: حقا قصتك ملهمة يا بول، أنت تغلبت على أصعب شيء والأهم أنك بنيت أمل في مكان يعتقد الجميع أنه ليس مكانا لبناء الآمال.

ماريانا: للأمانة فقط لقد كان لقائي ببول أول مرة قبل صبيحة يوم الذي جئت فيه إلى الإذاعة أول مرة فقد لا يحتسب من ضمن التحدي ونحن على شرط السيد جون.

رودريغو: لا يهم يا ماريانا أظن أن جون سيعلن أن التحفيز والتطوير الذاتي شيء مهم.

ماريانا: أعرف أنه مر بيوم صعب لكني أريد شكره على إطلاق التحدي.

رودريغو: نربط الآن الاتصال بهولي مرحبا هولي أنا رودريغو، أنتِ الآن على أمواج إذاعة سانتا باربرا.

المتصلة هولي: ألو مرحبا رودريغو.

رودريغو: هولي أنا أتساءل الآن عن نوع المساعدة التي قدمتها لك ماريانا؟

المتصلة هولي: كنت فتاة جانحة أتبع مجموعة منحرفة تقوم بالنشل والسرقة، كدت أنجرف في ذلك المستنقع للمستوى الذي لا يمكنني عنده التراجع، لولا ماريانا التي

استطاعت الغوص في جوهري واستخراج الطفل النقي من هناك وعززت دعمي لنفسي بنفسي، أنا الآن أقضي فترة إلزامية في الإصلاحية وأتابع طبيبا نفسيا ، أنا أكلمك من مكتب الإدارة فقد سمح المدير أن استقبل اتصالكم، أود شكر ماريانا لأنها جعلتني أؤمن بنفسي.

رودريغو: ما هو حلمك يا هولي؟

المتصلة هولي: أحلم أن أكون مسعفة اجتماعية أو شرطية، أريد الاحتكاك المباشر مع من هم مثلي.

رودريغو: أتمنى لك التوفيق يا هولي.

فاصل موسيقي قصير

رودريغو: نعود إلى ضيفتي العزيزة ماريانا، هل من تعقيب على المتصلين السابقين؟

ماريانا: لا أدري ما أقول حقا لكن يسعدني أن كل واحد منهم وجد طريقه والفضل يعود لهم وحدهم وليس لي.

رودريغو: ما هذا التواضع يا ماريانا، أظن أنه حان الوقت لنربط الاتصال برجل مهم في هذه الليلة، ألا وهو جون ألو جون هل أنتَ معي؟

المتصل جون: ألو مرحبا رودريغو مرحبا ماريانا سرني الاتصال بكم.

رودريغو: كنت قد أطلقت تحدي وقبلت ماريانا هذا التحدي، وقد سمعت على أمواج إذاعتنا أربعة من

الأشخاص استطاعت ماريانا تغيير حياتهم إلى الأفضل، فماذا تقول بهذا الشأن.
المتصل جون: سأقول من منطلق الموضوعية ما الذي يثبت أن المتصلين حالات حقيقية، مع احترامي للسيدة ماريانا وهؤلاء المتصلين أنا لا أتهمهم، من منطلق الموضوعية فقط أسال، أما بخصوص التحفيز والتطوير الذاتي، فقد غدوت أؤمن به ولقد حظرت دورات كثيرة وقرأت عدد معتبر من الكتب في هذا المجال.
رودريغو: عظيم إذن تعترف أن لا داعي للتحدي من الأساس.
المتصل جون: لا داعي للتحدي لكن سيبقى دائما هناك شريحة من المستهدفين لا تقبل كلامنا، علينا إيصال جوهر التحفيز لهم بطريقة أخرى.
رودريغو: لقد أصبحت تتحدث بنفس طريقتهم، ما يعني أنك تغيرت يا جون.
المتصل جون: نعم إنه عام حافل بالتغيير على الصعيد الشخصي.
رودريغو: لقد جاءني اتصال ألو تفضل سيد ماكس.
المتصل ماكس: مرحبا رودريغو مرحبا ماريانا أنا ماكس وأعمل محقق خاص، لقد اتصلت فقط لأوضح شيء حصل قبل حوالي عشرة شهور، المتصل الذي قبلي عملت على قضيته لصالح ماريانا ضيفتك في البرنامج، ولقد

طلبت مني تقديم مساعدة له، فبحثت في احتياجاته ويمكنك القول أنه كان شخص بحاجة للمساعدة، وآخر شيء قدمته ماريانا له هو حضور الدورات التدريبية والكتب المساعدة على شكل تحدي قبل به دون أن يعرف المغزى والصدفة التي سمحت بذلك، فأنا أقدم شهادة على أن جون نفسه تلقى مساعدة مباشرة دون مقابل ساهمت في تغيير حياته وشكرا.

رودريغو: عظيم أعتقد إن جون سيكون ممتن على هذا الصنيع، يفترض أن يكون ممتنا.

ماريانا: كل الأشخاص يملكون داخلهم الرغبة في التغيير والقدرة عليه، فقط ينتظرون الفرصة ومعرفة ما هي الخطوة الأولى، سواء قاموا هم بذلك أو دفعهم شخص ما إليها، هم في النهاية أهل استحقاق وجدارة للانجاز والإبداع وعيش الحياة الكريمة المفعمة بالثقة والتقدير التي يريدونها ويَستحقونها، كان عليهم منذ البداية وأنا أقول هذا لي ولك ولكل من يسمعنا أن ذلك العجز والكسل والخوف وكل الآفات التي تقف في طريق نجاحنا، ما هي إلا أتربة تراكمت عبر الزمن في وعيينا وتَصوراتنا، تأكد أنه في عمق تجاربنا منفذ وحل لكل مشاكلنا، الظروف السيئة ما هي إلا برمجة سلبية كوَّنّاها بإرادتنا ويمكننا إزالتها بإرادتنا، المسألة مسألة قرار، عندما نقرر ونكف عن الاعتقاد أن هذه حياتنا التي لا نقدر على تغييرها،

حينها ستتغير حياتنا، ما نحمله مجرد تصورات خاطئة وأنماط سلبية أعاقت حياتنا بالكلية والأنماط الإيجابية هي ما يجب أن يحل محلها، مهما كانت نَكباتنا عميقة وجراحنا غائرة تذكر أنك في عنق الزجاجة والمخرج قريب، **آمن و سترى**.

رودريغو: آمنت آمنت يا ماريانا.

ماريانا: أذن سترى

فاصل موسيقي قصير.

رودريغو: نعود إلى ضيفتنا ماريانا، أحمل بين يدي الآن كتاب مُهدا إليك من المؤلف شخصيا، الذي قال وصرح أنك ساعدته بطريقة منقطعة النظير، وهو نفسه صاحب كلمات الأغنية ومؤديها، الكتاب من مطبوعات مكتبة سانتا باربرا العامة، بعنوان الحوت وهو كتاب يحمل صبغة شخصية، لقد مررت أمس على المطبعة بطلب منه لأخذ الكتاب، فهذه أول نسخة تم تداولها، حتى أن توقيع الإهداء باسمك وبِخط يد المؤلف مطبوع كجزء من الكتاب.

ماريانا: أنا متشوقة لقراءة الكتاب، لقد انتظرته أو بالأحرى انتظرت تأليفه منذ زمن، فهو ديوان قصائد وكلمات غنائية لصديقي بونيفاسيو.

رودريغو: لكن الكتاب ليس ديوان قصائد على ما أظن أنظري إليه، على أية حال الكتاب جيد حسب النسخة التي اطلعت عليها.
ماريانا: سأقرؤه الليلة.
رودريغو: قبل أن أختم أود أن أبوح بسر للمستمعين الأعزاء وهو بطلب من كل من آنا ماريا، وكارل مع زوجته سلمى، وبونيفاسيو، جميعهم يخبرونك أنهم يحبونك ويقدرون ما فعلته لهم وكيف جعلتِ حياتهم أفضل، وهذه إضافة على قائمة الأشخاص الكثيرين الذين قدمت لهم مساعدات لا تقدر بثمن، قبل أن أختم هذا اللقاء هل هناك كلمة أخيرة سيدة ماريانا.
ماريانا: آمن و سترى، اجعلها منهج حياتك.
رودريغو: مجددا أشكر ضيفتي ماريانا على تلبية الدعوة، أيها السادة والسيدات لم يتبقى لي إلا أن أتمنى لكم ليلة سعيدة، أنا رودريغو أحييكم من مبنى الإذاعة.

الفصل العاشر

بعد تكفل مكتبة سانتا باربرا بمصارف الطبعة الأولى من كتاب الحوت لبونيفاسيو رودريغيز، لاقى هذا الكتاب رواجا ليُطبع منه مليون نسخة في الطبعة الثانية، وغدا المؤلف شخصية العام الثقافية، وحظي بشعبية كبيرة ما جعله يحل ضيفا على الكثير من المحطات التلفزيونية، لتنقلبت حياة بونيفاسيو رأسا على عقب، ولقد طُلب منه من دوائر مقربة أن يتفرغ للكتابة، فقد خلق لها، وهذا ما حصل بالفعل، فقد تفرغ بونيفاسيو لكتابة الروايات وسيناريوهات أفلام، مع اهتماماته السابقة.

جاءت آنا ماريا في زيارة إلى سانتا باربرا، وكلها شوق لأصدقائها، ماريانا كارل بونيفاسيو أصحاب الفضل عليها في فرصة النجاح الكبيرة التي كانت تنتظرها والتي استغلتها لصالحها بحزم، دخلت على ماريانا مساءً وهي منهمكة في كتابة آخر فصل لكتابها عن تجربتها في السنة المنصرمة لتعود إلى التدريس في الجامعة التي اشتاقت لها كثيرا بعد عطلة دامت سنة ونصف السنة بسبب رغبة في تجربة حية وعملية عن النجاح و التفوق.

بعد الكثير من الحرارة والحب والعناق والقبلات بين الصديقتين آنّا ماريا وماريانا، والسؤال والبكاء من شدة الشوق ولهفة اللقاء بدأتا في الثرثرة.

- لا أصدق أنك هنا يا آنا ماريا قالت ماريانا.

- آنا ماريا: طوال الرحلة وأنا أفكر « كيف ستكون ملامح وجهك الجميلة عند لقائنا ؟» كم أنت دافئة يا ماريانا.

- كيف تقيمينها ؟ تسأل ماريانا.

-إذا كان التقييم على سلم من واحد إلى عشرة فقد حصلتِ على ألف، قالت آنا ماريا وقد رفعت يدها لأعلى ما يمكنها حتى أنها وقفت على أخمص قدميها.

-أنت مجنونة تماما يا آنا ماريا، قالت ماريانا.

- ليس أكثر منك يا حبيبتي، قالت آنا ماريا.

- ولما أنا أكثر جنونا منك يا آنا ماريا، تسأل ماريانا.

- أليس هذا واضحا، تتركين التدريس في الجامعة لخوض تجربة البيع في مكتبة ولمدة سنة كاملة ونصف السنة، هذا جنون يا ماريانا، أجابت آنا ماريا.

- لقد كنت بحاجة إلى ذلك يا آنا ماريا، قالت ماريا.

- حسنا ليس علي إلا أن أثق بك وينتهي الموضوع، قالت آنا ماريا وهي تضحك.

- كنت أتابع أخبارك, وأهنئك على دور البطولة، قالت ماريانا.
- الفضل لك ولبُونيفاسيو وكارل كنتم داعمين جيدين وفوق ما أتصور، لقد بدأت مع شركة إنتاج حديثة لكن المخرج رجل يملك خبرة كبيرة وله عدة أفلام ناجحة، قالت آنا ماريا.
- لا عليك حبيبتي كنت تستحقين النجاح على كل حال، قالت ماريانا.
- سيعرض الفيلم في كل صالات العرض ودور السينما في أمريكا، ولقد جئت خصيصا لهذا الحدث، أريد أن تكونوا جميعا معي، لم أشأ مشاهدته مع فريق الإنتاج في هوليود رغبت أن أكون معكم، هذا أول فلم لي واستحق أن تكوني بجانبي، وفي قاعة عرض مسرح غرناطة سانتا باربرا، قالت آنّا ماريا.
- لقد تدبرت الأمر مسبقا والتذاكر عندي، قالت ماريانا.
- أوه أنت تجعلين الجميع خاملا بسبب أنك دائما تسبقين الجميع بخطوة، قالت آنا ماريا.
- حسنا أعدي نفسك للعشاء عند كارل وزوجته سلمى، فجميعنا مدعوون.
- تدبرت أمر كارل وأنهيت الموضوع إذن، لم أعتقد أبدا أنه يمكن إصلاح ما بينه وبين زوجته، قالت آنا ماريا.

- أنتِ مدينة لي بعشاء، لقد راهنت في آخر اتصال بيننا أني سأنهي الموضوع، والآن بقي بونيفاسيو المسكين الذي يريد الحب وأنا لا أقوى على الحب يا آنا ماريا، قالت ماريانا.
- سبق وأن قلت لك أنه هو الشخص المناسب يا ماريانا.
- لكني انتظر المعجزة التي ترغمني على الإيمان به، قالت ماريانا.
- ستنالين مرادك فقط اصبري، لقد أصلحتِ حياتنا جميعا وحان الوقت لنصلح نحن حياتك، أعرف أنك معتادة على البذل والعطاء ولست معتادة على الأخذ، لكن هذه الليلة ستكون الاستثناء، قالت آنا ماريا.
- أنا أنتظر خذي كل وقتك عزيزتي، قالت ماريانا.

في منزل كارل

وصل الجميع إلى بيت الزوجين كارل وسلمى، كان البيت جميلا أنيقا، كارل لم يعد ذلك العجوز النحيل غائر العينين، فقد بدا عليه أثر النعمة والشباب، مع سعادته وحَمِيميته مع زوجته وطفليه باولا وبيدرو، التي لا يكاد يكبحها، وهم بالمثل في ذلك معه، بالمختصر كانت أسرة سعيدة، أما بونيفاسيو فمازال عليه الحزن رغم وسامته بملامحه الشرق أوسطية وبشرته قمحية اللون، وإن كان لا يعترف بهذا الحزن إلا أنه بادٍ من عينيه، ويحاول جاهدا أن يظهر السعادة والسرور والاندماج قدر الإمكان، ماريانا ما زالت تنتظر معجزتها وآنا ماريا تحاول صنعها بطريقة ما.

اجتمعوا حول مائدة العشاء، حي كارل الجميع وشكرهم على تلبية الدعوة، وأعرب عن رضاه على حياته لأنه يملك فيها أصدقاء مثلهم، زيادة على أسرته الصغيرة، وبالمثل كانوا يعبرون له عن مدى حبهم ودعمهم وتعلمهم منه ومن حكمته الكثير.

بعد تناول العشاء عقب كارل بقوله: حسنا لتَكن هذه ليلة الاعترافات، هل هناك من يحب أن يبدأ؟

ترددت ماريانا قليلا ثم انطلقت لتكون أول المعترفين: أريد توضيح شيء بخصوص السنة المنصرمة، لقد كَبحت جميع مشاعري وعواطفي، لأنها سنة متعلقة بتحدي

مساعدة أشخاص، المشكلة أن التيار جرفكم إليّ بطريقة لم أتوقعها، ما جعلني مرتبكة نحوكم، هل مشاعري نحوكم حقيقية أم أنكم عينات من مشروعي؟ استيقنت مشاعري نحوكم منذ زمن لكني تركت الأمر حتى انقضاء الفترة لأبوح لكم بحبي وتقديري لوجودكم في حياتي، أنتم أصدقائي الذين أفخر بهم لذواتهم وليس لشيء آخر، هذه فرصة عظيمة لأقول ما في قلبي.

أجاب الجميع أنهم لا يشكّون في حبها وإخلاصها إطلاقا، ثم عقبت سلمى لتكون ثاني المعترفين، بعد أن أمسكت بيد زوجها كارل.

- زوجي العزيز كارل، قد تعتقد أن الظروف لو كانت مغايرة ما كنت لأسْمح بوجودك بقربي وبقرب طفلينا باولا وبيدرو، ها أنا أعترف لك بأني كنت أنتظرك طوال مدة غيابك، ومن حسن حظي أنك عدت إلي أفضل مما كنت أتوقع, لكن كنت سأقبل بك على أية حال، تأكد أني أتَقبّلك كما أنت حبيبي.

نظر كارل في عيني زوجته ولم يقل شيئا سوى أن ضغط على يدها أكثر تجاوبا مع حديثها، ثم رفعها وقبّلها.

وزعت آنا ماريا النظرات على الجميع ثم قالت: بعد الكثير من التحقيقات والجهود المضنية بلا بلا بلا، اكتشفت صاحب الرسائل التي كانت تتلقاها صاحبة كتاب صَدَفة

علـى الشـاطئ (كتـاب قابـل للحـرق) ولقـد تـأخر هـذا الاعتراف لمدة طويلة، قالت آنا ماريا.
- سأعترف أنا ثم نعـود لموضـوع الرسـائل، كنـت سكيّرا غير مؤمن بالله، أستطيع أن أقول أن رحلة العـودة كانـت تدريجيـة لكـن فـي ظـل وجـود ماريانـا العزيـزة اسـتعدت اليقين، ماريانا أو القديسة ماريانـا أشكرك مـن قلبـي، قـال كارل وقد انحنى لماريانا كتعبير عن احترامه.
- أنت تبالغ عزيزي كارل لست قديسة، قالت ماريانا.
- بل أنتِ كذلك يا ماريانـا، هـذا هـو اعترافـي الأول قـال بونيفاسيو.
- حسـنا لنعـود لمَوضـوع كتـاب صَـدَفة علـى الشـاطئ، إحزروا من مؤلفة الكتاب التي كانـت تصـلني رسـائل مـن شخص مجهول بسببها.
- إنهـا كاتالينـا لكنـي أظنـه اسـم مسـتعار فقـط، لقـد قـرأت الكتاب من قبل وكان عبـارة عـن طموحـات فتـاة صـغيرة تحب الشاطئ، وتأمل أن القدر يساعدها فـي إيجـاد حبيبهـا المنشود، لقد كنت دائما أتمنى معرفة الفتـاة ومـا حـل بهـا وكيف ستنتهي القصة، قالت سلمى.
- نعم اسم مستعار والمؤلفة تجلس أمامكم، قالت آنـا ماريـا ثم نظرت إلى سلمى، وقالـت: سـتعرفين الآن مـا حصـل للفتاة.

- لا يمكن أن تكون أنتِ يا آنا ماريا، قال بونيفاسيو بحدة وهو ينظر إلى ماريانا.
- قطعا لا يا عزيزي بونيفاسيو أجابت آنا ماريا.
- إذن أنتِ يا ماريانا مؤلفة هذا الكتاب، يا لها من صُدفة عجيبة؟
- تبدو مهتما جدا! ترى ما الخطب؟ ثم ما الذي جعلها صُدفه عجيبة؟ سألت ماريانا مستغربة.
- هل تذكرين رسائل الشاب الذي كان يراسلك بدون توقيع يا ماريانا، تسأل آنا ماريا.
- ما زلت أذكر، لقد أرسلتِ لي بعض النسخ عنها كما طلبت منك، قالت ماريانا.
دعونا نفهم الذي حصل، ما علاقة الرسائل التي تتحدثون عنها بالكتاب، يسأل كارل.
- عزيزي الكتاب لفتاة تركت صفحات بيضاء على أساس أن حبيبها المستقبلي سيرد عليها في الكتاب بخط يده وصرحت أنها ستنتظره لآخر العمر، ويبدو أن ذلك الشاب أرسلها بشكل منفصل عن الكتاب، قالت سلمى.
- وهل الأمر حقيقي أم الكتاب مجرد فكرة، يسأل كارل.
في ذلك الوقت كانت ماريانا تدرس في سنتها الأخيرة في الجامعة، وكانت فكرة الكتاب مثل صرخة في الكون أو تعويذة، تريدها أن تحدث أثرا يرتد عليها بنفس القوة

والتأثير من الشاب (حُب حياتها) الذي لا تعرفه أساسا، قالت آنا ماريا.
- يبدوا أن الأمر قد نجح ما دمتم تتحدثون عن شخص ما استجاب للمؤلفة برسائل ورقية، قال كارل.
- لا لا, لم ينجح فقد حصل الأمر منذ خمس سنوات، بعد نشر الكتاب بسنة راسل ذلك الشاب ماريانا على عنوان غرفتها في المدينة الجامعية حيث كانت تقيم، بعد تخرجها من الجامعة كنت من شغل غرفتها، قالت آنا ماريا.
- ما يعني أنك من كان يتلقى الرسائل من ذلك الشاب، قال بونيفاسيو.
- نعم كنت أتلقى الرسائل، المؤسف أنه لا يكتب أسمه في الرسائل ولا عنوانه، علمت مكان إرسال الرسائل من ختم مكتب البريد، وهي بلدة صغيرة في ترينداد، ثم بحثت عن صاحبة الاسم المستعار كاتالينا، لم يصعب علي استنتاج أنها الطالبة التي كانت تشغل الغرفة قبلي، فحصلت على عنوانها من إتحاد الطلبة، وأخبرتها بالأمر فلم تظهر كثير اهتمام، لكنها طلبت نسخ عن بعض الرسائل لتحتفظ بها للذكرى، وهكذا كلما تلقيت رسالة أرسلت لها نسخة عنها، واحتفظت بالنسخ الأصلية المكتوبة بخط يد ذلك الشاب، كان يفترض أن يرسل الشاب الكتاب وفيه الإثني عشرة رسالة مكتوبة في الصفحات الفارغة من ذلك الكتاب لكنه أرسل الرسائل بشكل منفصل، والمؤسف

أن ماريانا بدورها لم تهتم بشأنه لغاية الرسالة الرابعة طلبت مني أن أتوقف عن إرسال النسخ إليها، ومن حينها وماريانا أعز صديقة لي، أجابت آنّا ماريا.
- ما الجدوى من هذا الكلام الآن يا آنا ماريا؟ قالت ماريانا وهي تنظر إلى آنّا ماريا بحدة.
- بما أن بونيفاسيو من ترينداد فسَيساعد في العثور على الفتى المجهول، الذي كان يراسل ماريانا، هل هذا ما تقصدين؟ قال كارل.
- لا أقصد ذلك يا كارل، لقد أجريت اتصالاتي في ذلك الوقت مع مكتب عمدة البلدة التي صدرت الرسائل من مكتب بريدها، وأخبروني أنهم سيبحثون في الأمر، بواسطة الإشارات الموجودة في رسائل الشاب والمعلومات التي استخرجتها من المواضيع المكتوبة التي زودتهم بها، يفترض أنهم عرفوا الفتى، وأرسلوا رسالة فيها اسم الشاب الذي نبحث عنه إلى عنوان ماريانا، قالت آنا ماريا وهي تنظر إلى بونيفاسيو وماريانا.
- ما اسم القرية التي تصدر الرسائل منها؟ سأل بونيفاسيو.
- إنها سيباريا Siparia على ما أذكر، أجابت آنا ماريا.
- أنا من قرية سِيباريا وهذا اعترافي الثاني، قال بونيفاسيو.

- إذن أنت تعرف من هو الشاب أو على الأقل صادفته يوما من الأيام، قالت سلمى وهي تخاطب بونيفاسيو.
- إنها قرية صغيرة يا سلمى، كم شخص فيها يفكر في مراسلة فتاة أجنبية مجهولة برسائل ورقية، قال بونيفاسيو.
- لقد بدأت تتشكل ملامح المعجزة التي تنتظرينها يا ماريانا، قالت آنا ماريا.
- أو أنها تشكلت وانتهى الأمر،عقّب بونيفاسيو.
- كيف ذلك؟ تسأل ماريانا.
- هناك فتى من القرية ذهب للدراسة الجامعية في العاصمة، وحدث أن تمت توأمة بين اتحاد طلبة أمريكيين مع إتحاد طلبة من ترينداد في مواقع التواصل الاجتماعي، لم يكن الأمر رسميا حينها، لكنهم تراسلوا فيما بينهم وتبادلوا الهدايا، كان نصيب الفتى من الهدايا كتاب صَدَفة على الشاطئ (كتاب قابل للحرق) في الإجازة عاد الفتى إلى القرية ومعه الكتاب فسلمه لصديقه المزارع، فهو يقدر كونه المزارع الذي يعشق الكتب، لكنه كان لا يفتأ يطالبه به كل مرة، قال بونيفاسيو.
- كونك تعرف الفتى أخبرنا عنه، لما تجعل الجميع ينتظر، ألا تريد للمعجزة أن تكتمل، قالت آنّا ماريا بصوت جاد وهي تنظر إلى عيني بونيفاسيو بحدة.

- بل سننتظر حل آخر خيط في لغز هذه القضية يا آنا ماريا، قال بونيفاسيو.
- بقي سؤال أخير يا ماريانا قال كارل.
- تفضل يا كارل, أجابت ماريانا.
- هل وصلتكِ رسالة من تِرينداد تخبرك من هو الفتى المزارع أم لم تصلك؟ يسأل كارل.
- خشيت أن يُعَّد فَض الرسالة التفاتة من قلبي إلى غير حبيبي المنشود، فشرطي كان واضحا أن يكتب على صفحات الكتاب البيضاء، لهذا إجابتي لك يا كارل هي أنني تلقيت الخطاب من ترينداد لكني لم أفتحه أبدا، أجابت ماريانا.
- وهل مازال الخطاب معك كل هذه السنوات يا ماريانا ؟ يسأل كارل.
- أجابت ماريانا نعم ما زال الخطاب معي يا كارل.
- ألا يعد احتفاظك بالخِطاب وإن كان مغلقا نوع من أنواع الالتفاتة القلبية كما تقولين؟ تسأل آنا ماريا.
- بلى هو كذلك، لكن ليس إلى ذلك الحد الذي قد يشعرني بالذنب، أجابت ماريانا.
- على كل حال بعد مشاهدة الفيلم في صالة العرض سيُفك خيط آخر من اللّغز، وبعد مشاهدة الفيلم علينا أن نجتمع هنا من جديد، هل توافقون؟ قالت آنا ماريا وقد أكدت على ذلك حتى أجابها الجميع بالقبول.

في قاعة العرض

كـان الجميـع قـد وصـلوا إلـى القاعـة مبكـرا, باسـتثناء بونيفاسيو الذي تأخر عنهم بعض الوقت، لكنه اسـتطاع أن يشاهد الفلم معهم.

انبهر جميع مـن حضـر العـرض بـالفيلم وأداء الممثلـين خصوصا الممثلة آنا ماريا، التي شهدت مع سكان مـدينتها أول عرض لفيلمها المتألق، والتي تزاحم عليها المعجبـين ليحصـلوا علـى توقيعهـا، مـا جعـل أصـدقاءها يخرجـون بصعوبة من بين حشود المعجبين.

أوعز بونيفاسيو إلى كارل أن يطلب من سلمى وآنا ماريا أن يأخذا ماريانا معهما إلى بيته، ليجتمعوا هناك استجابة لطلب آنا ماريا.

كانت أحداث الفيلم تشبه حياة بونيفاسيو فـي تريـنداد لكـن تحت مسمى ومكان آخر لم يصعب عليه ملاحظـة ذلـك، خصوصا أن بـاولا كانـت مـن جملـة الممثلـين وهـذا مـا استغربه حقا وأراد أن يستفسر عنه من آنا ماريا.

في منزل كارل للمرة الثانية.

جلس كارل وبونيفاسبو في الصالة، أما ماريانا وآنا ماريـا فقد كانتـا مـع سـلمى فـي المطـبخ بعـد أن جعلـت طفليهـا يخلدان إلى النوم مع جدتهما التي ترعاهما.

- ترى ما الذي جعلك تبطئ عنا يا بونيفاسيو؟ يسأل كارل.

- ستعرف سبب تأخري بعد قليل يا صديقي أجابه بونيفاسيو.
- حسنا، لم تحدثني عن مشاريعك يا رجل؟
- اااه يا صديقي، مشروعي الوحيد هو ماريانا، وعلى الأغلب أنها لا تهتم أو كما يبدوا طبعا، قال بونيفاسيو.
- قد لا تكون هي المنشودة يا بونيفاسيو، قال كارل.
- لا يا كارل، هي المنشودة، السؤال هو هل أنا المنشود أم لا، قال بونيفاسيو.
- قد لا تكون منشودها إذن، هل فكرت في هذا من قبل، قال كارل.
- سأحل لغز القضية ما سيجعل حظوظي مع ماريانا وفيرة، قال بونيفاسيو.
- ماذا لو استمرت ماريانا في إقْصائك عنها؟ يسأل كارل.
- سأفعلها إذن وأعود إلى ترينداد، لما البقاء في سانتا باربرا أساسا، المدينة التي لا تمنحك الحب لا داعي أن تبقى فيها، لقد مكثت سنة كاملة هنا، وهذه مدة مرهقة بلا حب، قال بونيفاسيو.
- يجب أن تحافظ على أوج نجاحك إنه شيء تورطت فيه ويجب أن تخوضه إلى النهاية، نجاحك ارتبط بهذه المدينة لهذا عليك البقاء هنا مهما كانت الظروف، قال كارل.

- يقولون أنني خلقت للكتابة، والأمر غير صحيح لقد خلقت للحب، وما الكتابة إلا عرض من أعراض الحب، الكتابة بذلك العمق تعني أن أعماقك تتآكل، وتلك السطور ما هي إلا محاولات يائسة لإنقاذ نفسك من الهلاك، قال بونيفاسيو.

- إنها لعنة الحب وثمنه الباهظ يا صديقي ، المؤسف أنك تدفعه مسبقا، ولا سبيل لاجتناب ذلك، قال كارل.

- أنا أكتب منذ سنوات طويلة عن الحب، وكما تعلم أن المرأة تلهم الرجل وتجعله يخرج أجمل ما في أعماقه، ولأني مترفع إلى حد كبير, ما كنت لأقبل بفتاة أمنحها كلي هكذا ببساطة، لهذا اتخذت أميرةً خيالية أبحث فيها عن ملاذي وخَلاصي, وأنسج على مقاسها الحروف والحروق، استمر الحال على هذا حتى جاء فتى القرية قبل خمس سنوات بذلك الكتاب وأعطنيه، راقني أن المؤلفة مجهولة باسم مستعار، وبعيدة جدا عن قريتي، كانت المؤلفة تبحث حبيبها المجهول وتريده أن يراسلها، مازلت أذكر تفاصيل تلك الليلة التي قرأت فيه كتابها، لقد أكلت قلبي وعقلي بشخصيتها التي أحسنت تصويرها على صفحات الكتاب بكل إتقان وفن، الجميل أنها تركت بعض الصفحات فارغة ليتسنى لحبيبها المنشود الرد عليها، لقد آمنت أنني هو يا كارل ورددت على كل تلك الصرخات والزفرات التي أطلقتها الصَدَفة على الشاطئ

بعد أن وصلت قريتي في ترينداد، ثم صرفتني الأقدار إليها بشحمي ولحمي، المشكلة أننا طرفين حول محور لا يلتقيان، قال بونيفاسيو.
- هون عليك يا صديقي، لقد آمنت وأنا متأكد أنك سترى إيمانك يتحقق، وسترى معجزتك، قال كارل.
- أنا أنظر إلى الأمر على أنه معجزة لأنني أرى بقلبي، وهي ترى بعقلها أن الأمر برمته بديهية من البديهيات، كيف لنا أن نلتقي، خصوصا أني أريد التشكيلة كاملة، أنا ذواق جدا إذا نقص عنصر أو قل مقداره فسدت عليا المتعة، أنا رجل خلق لمتعة الحب والشعور الكامل به، أريد لهفة اللقاء وروعة التفاصيل، أريد إدمانها هي لا الألم، قال بونيفاسيو.
- أذكر أنك قلت "اصدح بالحب في أرجاء الكون، أثير الحب لا بد أن يصل" مَادَامت رسائلك قد وجدت طريقها إليها فقد وجدت طريقك إلى قلبها، أنتما فقط حبيبان لا يعرفان كيف يترجمان هذا الحب بشكل ملموس، قال كارل.
- « سأخرج إلى فِناء البيت لأستنشق بعض الهواء » قال بونيفاسيو لكارل
حسنا لا تطل المكوث هناك فالجو بارد

كان بونيفاسيو قد أعطى ظرفا مغلقا فيه كتاب ليسلمه لماريانا، وشرح له كيف حصل عليه قبل عرض الفيلم، وهو ما سبب تأخره عنهم.

حديث النسوة

في الوقت الذي كان فيه كارل وبُونيفاسيو يتحدثان دار حديث آخر في المطبخ بين آنا ماريا وسلمى وماريانا، بعد أن فَتَحن الظرف الذي استلمته ماريانا قبل سنوات وكانت قد أحضرته معها، كانت الرسالة داخله من توقيع باولا الأمينة العامة لمكتب العمدة، ليَكتشفن أن الفتى المجهول صاحب الرسائل هو بونيفاسيو رودريغيز، لتختم خطابها المكتوب قائلةً:

"لقد وصلني خطابكم ورَجاؤكم لمعرفة صاحب الرسائل التي كانت تصلكم من تِريندداد، ولِأنكم وضحتم أن القضية متعلقة بالحب الذي نشترك في الإيمان به وتقديره، يسرنا أننا أعلمناكم بالفتى الضال الذي وصلت رسائله إليكم، لتجد ملاذا في كنفكم وكنف الحب الذي تريدون لملمة طرفيه، لقد تجاوزنا القوانين التي تمنع منح معلومات لجهات أجنبية وهذا من أجل الحب الذي لا يؤمن بالحدود والقوانين والأعراف لأنه سيدها جميعا، دمتم في حب وود - انتهى - باولا " فيفري 2014.

- إن لم تكن هذه معجزة فلا أعلم معجزة على وجه الأرض، قالت سلمى.
-اسمعي يا ماريانا إن بونيفاسيو هو المنشود لتلك الطالبة الجامعية التي صرخت في الكون صرخة على شكل كتاب، وتركت بعضه فارغا ليملأه حبيبها بكلماته، صحيح أنه لم يكتب فيه حرفا، لكنه الوحيد الذي استجاب لندائك من خلف البحار برسائله إلى الغرفة 52 في المدينة الجامعية حيث يفترض أن تكوني، حيث توجد أميرة قلبه التي آمن بها، تذكري أني بحثت عنك لتصلك الرسائل رغم عدم معرفتي بك سابقا، ما الذي جعلني أحمل هذا العبء وأَتَكلف هذا العناء، أخبريني بربك؟ قالت آنا ماريا.
- ربما قُدر لهذا الحوت ذو التردد 52 هرتز أن لا يجد أنثاه، ربما لا توجد أنثى في طول البحار وعرضها تستطيع سماع نداءاته العالية، لأنها فريدة، قالت ماريانا.
- ربما أنتِ الحوت وليس هو، عدلي نطاق التردد بالله عليك يا ماريانا، ما الذي يجعل باولا تخالف القانون وتمنحك الاسم، وما الذي دفعك للاحتفاظ بالرسالة طوال هذه المدة، أتعرفين أن باولا موجودة هنا في أمريكا، لقد كانت من طاقم الممثلين في فيلمي، وهي صاحبة الأفكار التي كتب عنها سيناريو الفيلم، وهي من أصرّ على أن أكون بطلة الفيلم، لسابق معرفتنا ببعض، وهي من أشارت

علي بالعودة إلى سانتا باربرا لحسم الأمر بينك وبين بونيفاسيو، قالت آنا ماريا.
- لقد ألف بونيفاسيو كتابه الذي لاقى رواجا لك يا ماريانا، لقد كان كتابا رائعا، سماه نداء الحوت ذو التردد 52 هرتز، وقال إنه لو التقى بهذا الحوت فسيحدثه عنك، أنا قارئة للكتب منذ زمن بعيد فهذا هوسي، أستطيع أن أعرف الفرق بين من يكتب بمداده وبين من يكتب بروحه وقلبه، هذا الكتاب كتب من عالم آخر، لا أعلم أي عالم لكن المؤكد أنه ليس من عالمنا ربما هو لحن سماوي نزل عليك أو لحظة إلهام استمدت كل ألقها من كل جمال الكون، قالت سلمى.
كانت ماريانا تنظر إلى الأرض وهي تسمع كلمات صديقتها آنا ماريا و سلمى زوجة كارل، ويبدوا عليها الاستغراق، كأنها تعيد تشكيل وعي جديد، أو تحاول التخلص من فكرة عميقة وعنيفة في وجدانها تقف حائلا بينها وبين بونيفاسيو، حتى دخل عليهن كارل يحمل مظروفا في يده.
- مرحبا، لقد خرج بونيفاسيو إلى الفِناء، هل تعرفن سبب تأخره عن عرض الفيلم، لقد تأخر لأنه كان في لقاء طارئ مع مسؤول حفظ الأدلة في دائرة الشرطة، ليسلمه شيئا ثمينا، قال كارل.

- حبيبي لا تتكلم بالألغاز أنت أيضا، قالت سلمى لزوجها كارل.

- عندما وصل بونيفاسيو إلى سانتا باربرا أول مرة، لم يطل به الأمر حتى تعرض للنشل من مجموعة منحرفة، قبضت عليهم الشرطة فيما بعد بسبب فتاة صغيرة كانت معهم, وقد بلّغت عنهم بعد أن تراجعت عن المضي معهم إلى حيث لا يمكنها العودة، فقد كانت تظن أن ما يفعلونه مجرد عبث، لهذا اتخذت القرار الصحيح ولعله أهم قرار في حياتها، من بين الأغراض المسروقة التي وجدت عند هذه المجموعة المنحرفة، كتاب صَدَفة على الشاطئ، ولأنهم لم يجدوا تطابق بين البصمات الموجودة على غلاف الكتاب وبين قاعدة بيانات الشرطة الفدرالية، ما يعني أن البصمات لأجنبي وعلى الأغلب غادر تراب الولايات المتحدة الأمريكية، هذا ما اعتقدوه، فظل الكتاب حبيس أدراج قسم الأدلة مدة طويلة، لكن الشرطي مسؤول قسم الأدلة قرأ الكتاب من باب الفضول، وافترض أن الردود المكتوبة بخط اليد على الصفحات البيضاء تعود لسائح جاء يبحث عن مؤلفة الكتاب، فبحث الشرطي عن مؤلفة الكتاب لأن غريزة المحقق قد تحركت لديه، فعلم أنها ماريانا، العجيب أن الفتاة التي بلّغت الشرطة عن المجموعة المنحرفة كانت قد التقت بماريانا من قبل، فقد صرحت بذلك لقسم الشرطة، لم يصعب على الشرطي

معرفة أن بونيفاسيو هو الأجنبي الذي تعرض للنشل، بعد أن وصل إلى ماريانا، لقد حل خيوط القضية بنفسه، ثم اتصل ببونيفاسيو وسلمه الكتاب وتمنى له التوفيق، الجميل في القصة أن ماريانا هي سبب عودة الكتاب لبونيفاسيو الذي أساسا جاء به من أجلها، قال كارل ذلك وهو يرى الدهشة والذهول عليهن جميعا.

- إذن الفتاة هي نفسها المتصلة هولي قالت سلمى.

- نعم هي التي اتصلت من الإصلاحية ببرنامج ضيف مميز الإذاعي لتخبر الجميع بأن ماريانا هي من ساعدتها، قال كارل.

- يا إلهي إنها معجزة حقا، لقد ساعدت فتاة لتبلغ عن عصابة فيعود الكتاب لصاحبه، إنها معجزة ومعقدة أيضا، قالت آنا ماريا.

- الجميل أن الكتاب لم يعد ملك ماريانا وحدها أو كاتالينا إذا سميناها باسمها المستعار، لقد غدا بونيفاسيو مؤلف ثاني للكتاب، فقد ملأ كل الصفحات البيضاء بردوده الرائعة، لقد حقق الشرط أخيرا، في أنه يعيد لك الكتاب كاملا وبنفسه، قال كارل.

- كتبتي في الصفحة الأخيرة منه احرق الكتاب إن لم تستطع الرد، احرق الكتاب إن لم تتم جميع الصفحات، فأقسم لك أنني لن ألتفت إليك إلا إذا جئت بالكتاب كاملا، بعد أن تركته ناقصا لتضع فيه لمستك الخالدة، أنا استحق

معجزة الحب في هذا الزمن الذي لا يؤمن فيه الناس بالمعجزات, قالت سلمى.
- هاهي معجزتك قد تحققت، وها هو كتابك يمثل آخر خيط في اللغز فماذا أنت فاعلة يا ماريانا، تسأل آنّا ماريا.
- لقد علمت سبب عدم الانجذابِ لبُونيفاسيو! في هذه السنة التي خضت فيها رهان التحدي مع المتصل جون، قررت بذل نفسي للجميع وبالكلية، حتى نسيت نفسي، لقد نبذت الحب منذ زمن بعيد، منذ تلك الأيام التي طبعت فيها كتابي صدفة على الشاطئ، وقررت أن انهمك في النجاح فقط، لكن ما المغزى من النجاح بلا حب، لهذا قررت أن أنتظر رجلا يستطيع أن يقنعني بالتخلي عن الكثير من نفسي من أجل الحب، جاء ذلك الرجل لكنه جاء في العام الذي كنت فيه منهمكة وغارقة في العقلانية حتى اعتدت الأمر وظننته يمثلني ويمثل شخصيتي التي ستبقى معي إلى آخر عمري، لم أنتبه أبدا أنه كان مجرد عام مختلف، وأن هذا النمط العقلاني الحاد ليس أنا، ما يعني أن من نبذت بونيفاسيو ليست أنا، إنها فقط شخصية العام التي تلبستها لسنة فقط، أنا الحقيقية تحب بونيفاسيو، لقد جاء بالكتاب كاملا على شرطي وأقنعني وإن لم أعترف بذلك، لقد اسْتَحق حبي، ترى هل أستحق حبه؟ قالت ماريانا.
- يمكنكِ التحقق من أنك تستحقين حبه أم لا, إنه في فناء المنزل، هيا اذهبي إليه.

في الفناء

كان بونيفاسيو يجلس على الأرجوحة، وينظر إلى السماء، كأنه حارس للنجوم، اقتربت منه ماريانا بلطف ودلال مع ابتسامة ساحرة ترتسم على ملامحها، فجعلتها تبدو كطفلة في عنفوان الحب، لتسأله بصوت عذب وشجي.

- لماذا تجلس وحيدا في هذا البرد.

- هذه الأرجوحة تشبه القدر الذي يتمايل بنا عزيزتي.

- إذن سأجلس معك لنرى عما ستسفر هذه الليلة.

نظر إلى شهاب في السماء أبتسم ثم نظر إليها بعد أن طلب منها أن تتمنى أمنيتها، تنهدت وقالت عزيزي لقد كنتُ دائما أحلم برجل ينظر إلى القمر، ثم توجهت إليه بالكامل, وهي تبتسم.

وأضافت بغنج ظاهر عليها.

- أتمنى أن يمسك ذلك الرجل بالقمر الذي يتطلع إليه، ألا ترى أنه يستحقه، لكني أتساءل إن كان القمر يستحق ذلك الرجل؟

- كلاهما يستحق الآخر يا ماريانا، أجاب.

نظر إليها بود كأنه يريد أن يعانقها عناقا يروي به اشتياق ملايين البشر، أراد أن يبوح لها عن خبر تلك الليلة التي هاج حنينه إلى أميرته الخيالية التي لم يعرفها يوما، يفترض أنها المنشودة ما يعني أنها سَتَعِي حَديثه وتفهم ما تَشَكل في أعماقه منذ سنين طويلة.

- « هل تستطيعين أن تعرفي فيما أفكر الآن » سألها.
- « في القمر، أليس كذلك »
- « تلك الليالي التي كنت أحلم فيها بسقوط النجوم وبزوغ القمر بدرا، طوال الخريف وحتى الشتاء، وفي تلك الليلة التي ذهبت فيها إلى الحقول وخاطبت أميرتي بكلمات مدوية »
« ماذا قلت في تلك الليلة ؟»
-« كنت أنتظر ستار الليل لِيهدأ ضجيج العالم، فَأختلي بك في خيالي، نمارس الحب والشوق والحنين، فمالكِ كل مرة تغدين أقوى حضورا وأكثر قسوة؟!
آه لو تعلمين مقدار سطوتك في عالمي، سجائري وزفراتي التي تقع شهيدة أمام عتبات صروحك العالية، لم تعد تكفي، يا أشد أنواع الإدمان والحرمان، سأظل هنا وأنتِ هناك طرفي نقيض في علاقة أبدية من الفراغ اللامتناهي.» تلك الليلة كانت في اليوم السابع من الشهر الثاني من عام ألفين واثني عشر، قال بونيفاسيو.
- هل تعلم أن في تلك الليلة حصل لي شيء غير عادي.
- ما هو؟ سألها وقد بدا عليه التعجب والاهتمام.
في تلك الليلة لم استطع النوم لقد اجتاحني شعور جارف كأن أحدهم يتكلم داخلي، فحملت دفتري ورحت أكتب وأكتب وأكتب حتى بدأت تتشكل ملامح كتاب صَدفة على الشاطئ، في تلك المسودة دونت التاريخ ومازلت احتفظ

بها، فهي أعز مقتنياتي، في تلك الليلة كنت طرفك المقابل الذي استجاب لصوتك المدوي، غير أن شَرطي كان صعبا، تعمدت ذلك حتى أحصل على قدري الذي أستحقه, قدري لا غيره، قالت ذلك وهي تشعر بالانشراح.

- سأَصْدُقُكِ قولا يا ماريانا، قبل تلك الليلة كنت أكتب خواطر وكلمات غنائية، ليس بذلك النضج، ربما الكلمة المدوية في الحقول تلك الليلة يمكن أن نعتبرها على غير المعهود مع أنها أكثر كلمة حملت أكبر شعور في حياتي، وبعد أن حصلت على كتابك بدأت رحلة النضج الحقيقية، لقد كتبت فيه على الصفحات الفارغة منه دونما شعور بالعالم حولي، وإلى غاية تمامه كنت إنسانا آخر، إنسان يحسن الكتابة والتعبير، ويحسن الإصغاء إلى قلبه وأعماقه ويجيد التواصل معها.

- نظرت إليه ماريانا باندهاش مع ابتسامة ضاحكة وقالت: إذن أنت من سببت لي الأرق تلك الليلة، وجعلتني بل أرغمتني أن أكتب كتابا لك، ليكون هو السبب في نضج قلمك وحَافزك لمراسلة فتاة أمريكية لا تعرف عنها شيئا، كلانا صنع الآخر بطريقته الخاصة.

- بقيت اللمسة الأخيرة، قال لها.

- أنا أنتظر فارسي قالت, وهي في قمة الغنج.

- لقد حان الوقت أن يحصل الرجل على القمر الذي يتطلع إليه، وحان الوقت الذي تسقط فيه جميع النجوم ليبقى القمر

وحده في السماء، وقف بونيفاسيو وأطال النظر لوجه ماريانا وقال لها

« أحبك »

سألته وفي عينيها نظرة افتخار تليق بحسنها الأخّاذ، مع ابتسامة تضاهي جمال القمر، وهي تنظر إليه كأنها طفلة كلها ثقة واعتداد بالنفس، وشيء من السحر ينسدل من عينها ليقتله ويحييه في آن واحد.

- ما مقدار حبك لي؟

قال لها.

- لا أدري.

اقترنت حاجباها، وانخفض رأسها قليلا وهو يهم بأن يُشيح عنه فينجلي ذلك الصبح الذي انبلج في قلبه ومن حوله وأشرق، فيعلن الاعتراض بشيء من الخيبة والانكسار.

لسان حالها يقول: كيف لا يدري مقدار حبه لي، وهل ينبغي قول هذه الكلمة في هكذا موقف.

كان سؤالا كله حب وزاوية لا يملك فيها قلبه إلا أن يفيض حبا، وينطلق لسانه بكلمة تحتوي كل الموقف، كلمة تخلد في الوجـــدان والروح، هكذا كان قلبها الشغوف يرجو ويتمنى، إنه سؤال واضح

ومحدد، لا تليق به إلا إجابة واضحة كالشمس، لا يحتاج التفكر, لا يحتاج التردد، يحتاج كلمة وعناق، كانت يداه

تمسكان بـذراعيها النحيلتـين، وقبـل أن تشـيح عنـه بكامـل وجهها الحسن، وتلملم نفسها من الهزة التي أحدثتها إجابته على سـؤالها، ترتفـع يـداه سـاميةً للمجـد، فتمسـك أنامـلـه أسفل ذقنها لتعيد وجهها مقبلا عليه كما كان وترفعه قليلا، لتلتقي عيناه بعينيها، كانت لحظـة انتشـاء مـع كامـل قـواه القَلبيـة والعاطفيـة، لـتعلن الكلمـة التـي تعيـد الـدفـء إلـى قلبها.

- قلت لك لا أعلم ليس لأني لا أعلم بل لأنه يزيد فـي كـل لحظة فكيف لي أن أعلم مقداره يا ماريانا.

ابتسمت وقد اغرورقت عيناهـا الجميلتـين بـدموع الحـب، ليمسح دموعها بظـاهر يـده، ثـم قبّـل شـفتيها وقبّـل أنفهـا المتورد من الخجل أو البرد وزاد الثالثة والرابعـة لخـديها الفاتنتين.

فتح علبة الخاتم التي كانت في جيبه، وقال لها هل تَقبلين أن تكوني زوجتي في هذا العالم وكل العوالم الأخرى.

نعم, أقبل أقبل, ثم عانقته بكامل الطفلة الموجودة داخلها.

انتهى 12 مارس 2021

صَدفة على الشاطئ

تتواصل جميع المخلوقات فيما بينها بأشكال مختلفة، كل نوع أو فصيلة حسب مؤهلاته الفيزيولوجية، وطبيعة وسطه البيئي، منها الحيتان التي تستخدم النداء على شكل ترددات من أجل الرفقة والتزاوج كما يعلم الجميع، ولعل الكثير منكم قد سمع قصة الحوت ذو التردد 52 وأهتم له غاية الاهتمام.

في الحقيقة نحن جميعا نشبه الحيتان وباقي المخلوقات في خلق رابط بيننا بوسيلة معينة أهمها اللغة (كلام -نبرة -صوت -لغة جسد) مع أهمية بالغة في الاستفادة من ظروف معينة لخلق ألفة وتواصل عميق، سواء كان الأمر عفويا أو مقصودا، لكن يبقى إيجاد لغة وأرضية مشتركة بيننا وبين من نريدهم يشكل تحديا صعبا على أغلبنا.

هذا ما عايشه بونيفاسيو رودريغيز وأراد تحقيقه لاستمالة ماريانا، أنا وأنت وبونيفاسيو مع جميع البشر مجرد حيتان تنادي بالتردد غير المناسب للشريك الذي تريده، الحقيقة أن هذا ما يجب أن نتعلمه في رحلتنا في الحياة، أن نصنع لغة التواصل السليمة والمشتركة بيننا، التي تسمح بنشوء علاقة دائمة ومثمرة، عكس ما ينشده التائهين في البحث عن علاقات متنوعة ومؤقتة.

مسعود براهيمي

الناشر : أشرف كرالتي
مدير الدار : أكرم كرالتي
للتواصل : 036.48.00.12
0556.77.74.59
0795.71.20.09
الماهر للطباعة و النشر و التوزيع
E.mail: dar.elmaher@outlook.fr
Facebook: الماهر للنشر و التوزيع
Facebook: أشرف كرالتي
العنوان: تعاونية الفلاح – العلمة – سطيف – الجزائر